الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وأثرهما في حفظ الأمة

تأليف

الدكتور عبدالعزيز بن أحمد المسعود

الجزء الأول

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المسعود، عبدالعزيز أحمد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر./ عبدالعزيز أحمد المسعود -ط٣.-

الرياض ١٤٣٧هـ.

٥٩٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٩٩٨٧ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أ. العنوان

ديوي ٢١٩ ١٤٠٨/ ١٤٣٧

رقم الإيداع: ١٤٠٨/ ١٤٣٧

ردمك: ٧ - ٩٩٨٧ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

«كنتم خير أمة أخرجت للناس

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»

قرآن كريم

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده،

فإن لم يستطع فبلسانه،

فإن لم يستطع فبقلبه،

وذلك أضعف الإيمان»

حديث شريف

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ لكان يستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

العماد الأصفهاني

المتوفى عام ٥٩٧هـ

قلت: إذا كان هذا قول الإنسان لنفسه فكيف بقول غيره فيه.

الباحث


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن نبينا وقدوتنا وإمامنا محمداً رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[1]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [2] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [3] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [4] .

---

(١) سورة النساء آية :١.

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة الحشر آية : ١٨.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم واللّه غفور رحيم ﴾ [1].

أما بعد:

فعندما عزمت على تسجيل رسالة الدكتوراة توكلت على اللّه، ثم أخذت أبحث في المخطوطات التي هي في مجال تخصصي ويكون فيها خدمة للإسلام والمسلمين فلعلّ اللّه ينفعني بذلك في الحياة وبعد الممات. وقد اخترت من بين المخطوطات «الرتبة في طلب الحسبة» للماوردي. ولكنني لم أجد سوى نسخة واحدة بعد البحث والتحري داخل الجزيرة العربية وخارجها من الدول العربية والإسلامية التي سافرت إليها لهذا الغرض وهذا ما جعلني أعدل عنها.

ومن خلال بحثي حول هذا الموضوع أحسست وتبينت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من الاحتساب أو هو الاحتساب وهو في الوقت نفسه ـ رغم أهميته ـ لم يُخْدم الخدمةَ الكافية كما خُدمت العلوم الأخرى. وهو أيضاً يشبع الرغبة الموجودة في نفسي في خدمة هذا الدين وإخراج عمل ينفع اللّه به المسلمين.

فاخترت هذا الموضوع لهذا وللأمور التالية:

أولاً: إن هذا الموضوع لم تكتب فيه الكتابات الكافية، ولا

---

(١) سورة الحديد آية ٢٨.

يعني هذا أننا نتجاهل كتابات السابقين؛ فالذين كتبوا في هذا الموضوع من العلماء الأفاضل مثل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ والغزالي وابن النحاس والخلال وغيرهم ـ رحمهم الله ـ يعتبر نواة وقواعد لمن جاء بعدهم، وكذلك ما ذكره العلماء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند مرورهم بالآيات والأحاديث التي تناولت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إلا أن مرادي من ذلك أن أقول إنَّ ما كُتِبَ في هذا الموضوع أقل مما يستحق؛ فهو بحاجة إلى المزيد من الكتابات والتأليف المستمر.

وأيضاً فإن كثيراً مما كتب جاء مبعثراً ومتفرقاً يحتاج إلى من يجمع بعضه إلى بعض ويرتبه ويشرحه ويضيف إليه ويحذف منه.

يقول عبد القادر أحمد عطا: «.. والآن نتحدث عن أصل هام من أصول حضارة القرآن لا قيامَ لشريعة الإسلام بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه، إذ هو الجهاد الدائم المفروض على كل إنسان مسلم.. ومن العجيب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما له من أهمية بالغة في ازدهار الحضارات الدينية وبما استحق العادلون عنه من لعنة الله، وبما له من أهمية في بناء الإيمان ونصرة دين الله، لم يظفر بعناية من الكُتَّاب المسلمين كما ظفرت فروع الدين الأخرى. فنحن لا نرى فيه مؤلفاً مستقلاً إلا هذه الرسالة[1] الملحقة بهذا البحث وكتاب الكنز الأكبر في الأمر

(١) يقصد بذلك كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر الخلال.

بالمعروف والنهي عن المنكر للصالحي الحنبلي وكتاباً آخر مجهول المؤلف ثم بحوثاً متفرقة منها ما كتبه الغزالي في الإحياء، وما أورده ابن حزم في «الفصل» و «المحلى» وما عرض له الماوردي وأبو يعلى في كتابيهما «الأحكام السلطانية» وغير ذلك من بحوث مبعثرة في المطبوعات والمخطوطات لا توازي أهمية الموضوع في الحفاظ على شريعة الإسلام من هجوم البدع وترهات التحريف. وقد عني الحنابلة بوجه خاص بهذا الموضوع وكانت لهم جولات علمية وعملية؛ فقد روى ابن الأثير في الكامل حركات الحنابلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يحقق لهم فضل اليقظة لهذا الأصل الرئيسي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبدو أن سلوك الإمام أحمد بن حنبل نفسه ـ رحمه الله ـ وبذله وقته في اتباع السنة، وشدة مراقبته لنفسه وللآخرين، كان العامل الأول في عناية الحنابلة بهذا الأصل الإسلامي الكبير»[1] فهذه الخلاصة تعطي فكرة عما كتب في الباب إضافة إلى ما ذكرناه من قبل.

ثانياً: إن الذي يلقي نظرة سريعة على واقع العالم الإسلامي فإن قلبه يتألم ونفسه تتقطع حسرات من كثرة ما يشاهد من المنكرات العظيمة المنتشرة في البر والبحر والجو فتجد في كل

---

(١) انظر إلى دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا على كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ٣٦، ٣٧. باختصار بسيط. دار الاعتصام.

شارع وفي كل منعطف: منكرات في البيوت، ومنكرات في الأسواق، ومنكرات في المساجد، ومنكرات في المقابر، ومنكرات في المتاجر، ومنكرات في المدارس وما يتجه الإنسان وِجهة إلا قابلته المنكرات ـ إلا من رحم ربك ـ قليلة كانت أو كثيرة صغيرة أو كبيرة.

وهي إن قلت أو اختفت في مكان مًّا فإنها كثيرة في الجهات الأخرى.

ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى من يكتب عنه بصورة مستمرة وينبه إليه ويذكّر المسلمين بالعاقبة الوخيمة التي تنتظرهم في الدنيا والآخرة إن استمروا على ذلك.

ثالثاً: تجدد المنكرات وتنوعها: فقد يكثر في زمن «مًّا» منكر معين ويأتي زمن آخر يتلاشى فيه ذلك المنكر ويأتي نوع آخر.

فتكثر في زمن «مًّا» المنكرات الاعتقادية وآخر الاقتصادية وثالث الأخلاقية وهكذا.

وقد تجتمع هذه الأنواع في زمن واحد كما هو الحال في عصرنا.

وهذا الأمر أيضاً يحتاج إلى الكتابة المستمرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لإيضاح حكم هذه المنكرات وخطرها وكيفية إنكارها وتحذير الناس من العقوبة بسبب تساهلهم في ارتكابها.

رابعاً: عندما تأملت في أقوال السلف الصالح ـ رضوان اللّه عليهم ـ ووصفهم للمنكرات الموجودة عندهم وكثرتها وتخوفهم من ضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واندراسه بل وتصريح بعضهم بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضعف ولم يكن له أهل ولا أنصار بل على العكس من ذلك.

أقول: إذا كان هذا الأمر قد حصل قبل مئات السنين فما عسانا نقول في الأمر والنهي والحال أشد سوءاً في زمننا الحاضر.

وسوف أذكر بعض أقوال العلماء لمعرفة أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف غفل الناس عن هذا الجانب المهم العظيم.

يقول الغزالي: «... فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث اللّه له النبيين أجمعين ولو طُوِيَ بساطه وأهمل علمه وعمله؛ لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد، واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس هذا القطب، عمله وعلمه، وانمحق بالكلية، حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وليس على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في اللّه لومة لائم. فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد

هذه الثلمة، إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها، مجدداً لهذه السنة الداثرة، ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها.. »[1].

والمتأمل في كلام الغزالي يظهر له منه الأمور التالية:

١- أنه بيَّن عظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه القطب الأعظم في الدين...

٢- ثم بين الخطر الكبير والأثر السيئ الذي يحصل إذا ما ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- ثم وصفه لزمانه وكثرة الفساد فيه وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ ومسألة الفساد كثرة وقلة تعتبر نسبية ـ.

٤- ثم بين الفضل الكبير والأجر العظيم الذي يحصل لمن قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قول ابن النحاس: « .. ولما رأيت ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد وهى جانبه وكثر مجانبه وعزت على الأكثرين مطالبه، فعز طالبه وتوعرت بعد السلوك مسالكه واندرست معالم السنة ورسمها، ولم يبق من حقائقها إلا اسمها، وتنوعت مقاصد الخلائق في الأذهان، فلم يخشَ الناسُ أحداً في الإعلام، وألقى الشيطان في قلوب الجاهلين أنه لا يُطالَبُ أحد بغير عمله يوم

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي من المقدمة.

الدين، وصار إنكار المنكر زلة عند العامة لا تقال، ومزلة لا يثبت عليها إلا أرجل الرجال، فمن أنكر قيل: ما أكثر فضوله، ومن داهن قيل: ما أحسن عشرته المعقولة، فعمت الخطوب والعظائم، إذ لم يبق إلا من تأخذه في الله لومة لائم، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ، وصار العالم الدالُّ طريداً، والجاهل الضالُّ حبيباً وديداً»[1].

فانظر كيف جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «ركناً».

ثم كيف بين صعوبة سلوك طريقه. وكيف يواجه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من العامة.

وكيف انقلبت الموازين عند الناس فأصبح الذي يأمر بالمعروف كثير الكلام، والمداهن معقول الكلام وكيف أصبح العالم طريداً.. والجاهل حبيباً..

وكلامه ـ رحمه الله ـ يتفق مع ما قاله الغزالي في كثير من الجوانب التي ذكرها.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين فإن رسالة الله إخبار وإنشاء فالإخبار: عن نفسه وعن خلقه مثل: التوحيد، والقصص الذي يندرج فيه الوعد والوعيد، والإنشاء الأمر والنهي والإباحة...»[2].

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، وتحذير السالكين من أفعال الهالكين. ابن النحاس ص ١٨. تحقيق رجائي بن محمد المصري مكتبة ابن الجوزي.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. شيخ الإسلام ابن تيمية. ص ١٥.

فشيخ الإسلام يبين لنا عظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه هوالذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله...

ويقول *النووي* ـ *رحمه الله* ـ في شرح مسلم «... واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه. وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالحَ والطالحَ وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[١]. فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم ـ ولا سيما وقد ذهب معظمه ـ ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾[٢].

وقال تعالى ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا

---

(١) سورة النور جزء من الآية: ٦٣.

(٢) سورة الحج جزء من الآية: ٤٠.

(٣) سورة آل عمران جزء من الآية: ١٠١.

(٤) سورة العنكبوت جزء من الآية: ٦٩.

يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللّه الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾[1].

واعلم أن الأجر على قدر النَّصَب.

ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من حصارها وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص دنياه وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها..»[2].

فلقد تحدث النووي ـ رحمه اللّه ـ عن تضييع أكثره ـ أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وأنه لم يبق منه إلا رسوم قليلة.

ثم بين أن هذا ـ أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عظيم وأنه قوام الأمر وملاكه.

ثم حذر الأمة من العقاب الشديد الذي يعم الصالح والطالح إذا كثر الخبث ولم تأخذ على يد الظالم ـ الظالم لنفسه ولغيره ـ وأعقب

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان: ٢، ٣.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم م ١ جـ ٢ ص ٢٣، ٢٤. الطبعة الأولى. المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩م.

ذلك بذكر النصوص المؤيدة لكلامه وختم كلامه بحثٍّ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر على الصبر والاحتساب والنصح للمسلمين وعدم الخوف أو المداهنة.

وبعد هذا العرض لأقوال العلماء تزداد الحقيقة وضوحاً في أهمية هذا البحث والكتابة في هذا الموضوع.

فكأن العلماء السابقين يوصون اللاحقين بل ويؤكدون ذلك من خلال كتاباتهم بالقيام بهذه المهمة العظيمة نظرياً وعملياً.

وهذا في الواقع من أقوى الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع. فأسأل الله العون والتوفيق والسداد وإصابة الحق.

هذا وكانت خطتي في البحث على النحو التالي:

أولاً: التمهيد وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة واصطلاحاً.

وقد عرفت الأمر ، والنهي، والمعروف، والمنكر، كلاً منها لغة واصطلاحاً. لما لهما من علاقة مباشرة في بحثنا. ، وقد أسهمت بتعريف اصطلاحي للمعروف والمنكر.

ثم عرفت الجهاد لغة واصطلاحاً وبينت حكمه ومن ثم أوضحت الوجوه التي يتفقان فيها والوجوه التي يختلفان فيها ـ أعني بذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الجهاد ـ .

المبحث الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد حاولت في هذا المبحث أن أجمع أقوال علماء التفسير والحديث والفقه في هذه المسألة واختلافهم فيها وهل حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين أو كفاية أو مسنون وأدلة كل فريق ومناقشة الأدلة.

وخلصت من ذلك بأن أقوالهم تتلخص في الآتي:

فمنهم من يقول: إنه فرض عين.

ومنهم من يقول: إنه فرض كفاية.

ومنهم من يقول: حسب الاستطاعة.

ومنهم من يقول: إنه سنة.

ومنهم من يقول: إن حكمه حكم ذلك المنكر.

وبعد ذلك بينت الراجح حسب ما هداني الله إليه من العلم.

المبحث الثالث: في قاعدة الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمبحث الرابع: متى يجوز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد جمعت بين المبحثين، الثالث والرابع؛ لأن المبحث الرابع يأتي نتيجة للمبحث الثالث.

وقد تحدثت عن قاعدة الشرع الهامة في النظر في المصالح والمفاسد وما الذي يفعله الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا

تزاحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد وبينت جهل بعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بهذه القاعدة.

وأوضحت ضرورة العلم بهذه القاعدة لكل القائمين بهذه المهمة، وبينت كم يضيع من المصالح ويحصل من المفاسد بسبب الجهل بهذه القاعدة.

كما ضربت أمثلة من الأخطاء الشائعة في هذا الوقت في موضوع المصلحة والمفسدة. ومنها:

البعد عن الوظائف الإعلامية بشتى أنواعها والنوادي الرياضية. وعدم مخالطة الأشخاص الذين يحتاجون إلى إصلاح. وتعجل النتائج، واستخدام القوة والعنف في غير موضعهما، ونحو ذلك.

وأما الباب الأول: فهو في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد ذكرت الآيات الكريمات التي تبين فضله وذكرت أقوال العلماء حولها...

وثنيت بذكر الأحاديث الواردة في ذلك وأقوال العلماء فيها.

الفصل الثاني: في فضل النصيحة وآدابها والدلالة على الخير.

وقد أوضحت في هذا الفصل أهمية النصيحة وأنها الدين.

كما قال الرسول ﷺ: «الدين النصيحة. الدين النصيحة. الدين النصيحة»[1] .

وأنها من أهم وسائل الإصلاح وعامل أساسي في تقليل المنكرات في المجتمع.

ثم بينت حكمها ، والأدلة الموجهة لها ، وشروط وجوبها...

ثم أوضحت الدلالة على الخير وكم من الحسنات العظيمة التي يحصل عليها الدال على الخير.

وختمت هذا الفصل بآداب النصيحة ومن أهم آدابها الإخلاص في النصح، ومراعاة المقام ، وكون المنصوح منفرداً.

الفصل الثالث: في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما ودرجاته.

وقد تحدثت عن الركن الأول «المحتسب» وشروطه وبينت الشروط المتفق عليها. وهي: الإسلام، والتكليف، والاستطاعة. والمختلف فيها وهي: العدالة، وإذن الإمام.

وقد ذكرت أقوال العلماء بأدلتهم وبينت الراجح منها. ثم تحدثت عن الركن الثاني: وهو المحتسب عليه وبينت النوع الذي يحتسب عليه.

وتحدثت عن الركن الثالث. وهو ما فيه الحسبة وتكلمت عن

---

(١) سيأتي تخريجه بالتفصيل عند الحديث عن النصيحة إن شاء الله ص١٥٦ من هذا البحث.

شروط إنكار المنكر ومنها:

كونه منكراً، وظاهراً من غير تجسس، وقائماً في الحال، وليس فيه اختلاف. وتحدثت عن كل شرط وضابطه.

ثم تحدثت عن الركن الرابع: وهو نفس الاحتساب وهو القيام الفعلي بهذه الوظيفة.

ثم تكلمت عن درجات الإنكار بشكل عام لارتباطها بهذا الركن. وسوف نتحدث عنها بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الثالث من هذا البحث إن شاء الله.

أما الفصل الرابع: فهو في خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الفرد والمجتمع.

وقد بينت في هذا الفصل خطر ترك الأمر بالمعروف وأثر ذلك على المجتمع. وأن الخطر يتمثل في الأمور التالية: منها:

١- اللعن والإبعاد من رحمة الله.

٢- عدم استجابة الدعاء.

٣- تعذيبهم بأنواع العقوبات.

والاستدلال على ذلك من الكتاب والسنة المطهرة.

وبينت أثر تركه على الفرد. من اسوداد القلب وبكاء العين من عذاب الله تعالى، وتبكيت الله لتاركه، وسخطه عليه.. وغير ذلك من أنواع العقوبات.

وأما الفصل الخامس: فهو في صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وقد ذكرت أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ومنها:

إخلاص العمل لله. وحيث أن هذه الصفة من أهم الصفات فقد بسطت القول فيها وبينت أثر هذه الصفة في قبول الأمر والنهي.

ومنها أن يكون عالماً ورعاً.

ومنها الرفق والحِلم والعفو.

ومنها التريث والتثبت.

ومنها الصبر؛ وقد تحدثت عن تعريفه وفضله والآثار الواردة في ذلك. وذكر نماذج من صبر الأنبياء ونبينا محمد عليهم من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ومنها أن يكون ذا أخلاق فاضلة، فلا يغضب سريعاً. وذكرت الغضب المحمود والمذموم والآثار المترتبة على الغضب.

إلى غير ذلك من الصفات اللازمة للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وأما الباب الثاني: فهو في بيان أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وظائف الأنبياء والسلف الصالح.

ولأهمية هذا الباب للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؛ فقد تحدثت فيه بشيء من التفصيل؛ لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هم

الصورة المترجمة لتوجيهات اللّه تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه.

وقد قسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: نماذج من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وقد اخترت من الأنبياء نوحاً وإبراهيم ومحمداً ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

النموذج الأول: نوح. وهو أول الأنبياء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وقد بينت كيف بدأ المنكر وانتشر الفساد ثم ذكرت نماذج من أمر نوح ـ عليه السلام ـ ونهيه وطريقة إقناعه لقومه ـ وما واجهه منهم. وكيف نصره اللّه عليهم.

أما النموذج الثاني: فهو إبراهيم ـ عليه السلام ـ باعتباره أبا الأنبياء ومن أولي العزم ولبلائه الكبير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد بينت منهج إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبراءته من أبيه عند عدم استجابته للأمر والنهي.

وتحدثت عن أمره لقومه دون تفريق بين عامتهم وخاصتهم. وكيف مارس إنكار المنكر بيده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكيف واجه من قومه من سب وشتم .. وأخيراً ما كان من إلقائه في

النار؛ ثم تحدثت عن هجرته وانتقاله من مكان إلى مكان للبحث عمن يقبل الأمر والنهي...

وأما النموذج الثالث: فهو خاتم الأنبياء وأفضلهم وأكثرهم بلاءً ـ محمد بن عبد الله ـ ﷺ.

وهو الذي حُفِظَت لنا سيرته بطرق صحيحة من أولها إلى آخرها، وهو الذي أمرنا الله بالاقتداء به ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾[1].

وقد تحدثت عن حياته الأولى بإيجاز، وعن المجتمع الذي عاش فيه وطبيعته.

وكيف بدأ الوحي. ثم بدايته بالأمر بالمعروف سراً وجهراً وعن إيذاء قومه له من أفراد وجماعات بسبب أمره ونهيه.

وذكرت صوراً من المحن التي واجهها الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة وصبره على ذلك وانتصاره في النهاية...

وأما الفصل الثاني: فهو نماذج من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في أمرهم ونهيهم.

وقد فصلت الحديث عن الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتحدثت عن اسم أبي بكر ولقبه وسبب تسميته بالصديق وعن إسلامه وفضله باختصار شديد.

---

(١) سورة الأحزاب جزء من الآية: ٢١.

ثم ذكرت نماذج من إنكاره للمنكر في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته؛ ولا سيما إنكاره على المرتدين ومحاربتهم حتى أعلى الله المعروف ومحق المنكر على يديه.

ثم تحدثت عن الفاروق ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نسبه ومولده ونشأته وفضله وأثره على المسلمين في الأمر والنهي، وجهره بذلك وعدم الخوف منهم، ثم هجرته وإنكاره للمنكر في المدينة.

وأما الفصل الثالث: فقد اخترت مواقف فقط من الصالحين وطريقة إنكارهم على العامة والخاصة وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم كإنكار عمر بن حبيب العدوي على هارون الرشيد، وأبي حازم على سليمان بن عبد الملك، وسعيد بن جبير على الحجاج.

وغير ذلك من الأمثلة البطولية التي تبين شجاعة سلفنا الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الباب الثالث: في درجات تغيير المنكر. وفيه فصلان:

الفصل الأول: النهي عن المنكر ودرجاته. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: القدرة والاستطاعة وضابطهما وقد بينت في هذا المبحث أن أوامر الشرع مبنية على القدرة والاستطاعة، كما تحدثت عن العجز الحسي والمعنوي. وضابط الاستطاعة.

المبحث الثاني: التغيير باليد وشروطه وضوابطه.

المبحث الثالث: التغيير باللسان ومراتبه.

ومن مراتبه:

* التعريف.

* النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله.

* الغلظة بالقول.

* التهديد والتخويف.

المبحث الرابع: التغيير بالقلب وبيان منزلته من الدين وحكم الرضى بالمنكر وإقراره.

المبحث الخامس: موقف الناهي من فاعل المنكر عند الإصرار عليه. ويدخل في ذلك الهجر والغلظة والبغض وقد تحدثت عن تعريف الهجر لغة واصطلاحاً والهجر الشرعي وأنواعه. وأقسام الناس بالنسبة للهجر.

الفصل الثاني: في التغيير على من هو أعلى وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التغيير على الملوك والأمراء. وقد بينت حكم دخول العلماء على الحكام وأثره السلبي عليهم، وأدلة الإنكار على السلطان وأسلوب الإنكار عليهم. وقد ذكرت نماذج من إنكار العلماء على السلاطين.

ثم تحدثت عن الإنكار على الأمراء باختصار شديد باعتباره امتداداً لما قبله.

المبحث الثاني: تغيير الابن على والده والزوجة على زوجها

وقد بينت في هذا المبحث عظمة حقوق الوالدين ووجوب برهما وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برٌّ لهما ولكن يجب أن يكون بالطريقة المناسبة ثم تحدثت عن إنكار الزوجة على زوجها.

المبحث الثالث: تغيير الضيف على مضيفه وقد ضربت أمثلة للمنكرات التي ينبغي أن ينكرها الضيف على مضيفه. مثل:

الإسراف في الوليمة، واستخدام أدوات اللهو والاختلاط والتبرج، والتصوير، وغير ذلك .

الباب الرابع: في بعض منكرات هذا العصر وخطرها وكيفية إنكارها. وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: التبرج والاختلاط والغش.

وقد تحدثت في هذا الفصل عن مكانة المرأة في الإسلام، وكيف أكرمها الله عز وجل باختصار.

ثم تحدثت عن مشروعية الحجاب والنصوص الواردة في ذلك وأقوال العلماء والخلاف في كشف الوجه واليدين ومناقشة ذلك ثم بينت الراجح بعد ذلك.

ثم تحدثت عن التبرج والاختلاط وأثر ذلك في فساد المجتمع. ثم الاحتساب عليهما.

وتحدثت بعد ذلك عن منكرات الأسواق ومنها الغش في المأكولات، والمشروبات، والملبوسات والمركوبات. ونحو ذلك.

الفصل الثاني: في المنكرات الاعتقادية:

وقد بينت فيه كيف بدء الانحراف في الاعتقاد وذكرت نماذج من المنكرات الاعتقادية كالشرك، والغلو، والطواف حول القبور وبناء القباب عليها. والنذور حولها، والسحر والكهانة والشعوذة، وشرك الطاعة، وغير ذلك من المنكرات المنافية للاعتقاد الصحيح.

وأما الفصل الثالث: فهو في المنكرات الإعلامية من تلفاز وإذاعة وصحف ومجلات.

وقد بينت خطورة هذه الوسائل وتأثيرها السيئ على المجتمعات في واقعها الحالي. حيث أن معظمها في أيد غير مأمونة.

وقد ذكرت أمثلة من المنكرات الموجودة فيها وأثبت بالأرقام من خلال دراسات أجريت تأثير هذه الأجهزة السلبي على المجتمعات من جميع النواحي.

الفصل الرابع: في بعض المنكرات السياسية:

وقد تحدثت عن أهم وأعظم الأمور التي يقع فيها الساسة منها.

الأمر الأول: الحكم بغير ما أنزل الله.

وقد عرفت في هذا الفصل القانون في اللغة والاصطلاح وتحريم الحكم فيه، ثم بينت وجوب تحكيم شرع الله وأوردت الأدلة الصريحة في ذلك، والجزاء الحسن لمن فعل ذلك، والوعيد الشديد لمن حاد عنه ثم تحدثت عن جهود الصليبيين في إبعاد المسلمين عن شريعة الله.

ثم ختمت هذا المبحث بأقوال علماء الإسلام في تحريم الحكم بالقوانين وحكم من فعل ذلك. وكيف يتم إنكار هذا المنكر.

ثانياً: موالاة أعداء الله تعالى ومحبتهم:

وقد تحدثت في هذا عن تعريف الولاء والبراء لغة وصطلاحاً وعن حقيقة العلاقة بين المؤمنين والكافرين.

ثم ذكرت صوراً من مخالفات الساسة في الولاء والبراء.

- الحرب والسلم في نظر الإسلام.

- إطلاق الحرية للكفار في بلاد المسلمين.

- السماح لمجلاتهم وجرائدهم وكتبهم في الانتشار في بلاد المسلمين.

السماح لهم بإظهار شعائرهم وإقامة الحفلات والأعياد ونحو ذلك.

- تولية أعداء الله الوظائف الهامة.

- العمل على تقوية اقتصاد الكفار.

الفصل الخامس: المنكرات الاقتصادية:

وقد تحدثت في هذا الفصل عن أخطر المنكرات الاقتصادية الذي مع خطورته أصبح مسموحاً به ويفعله العامة والخاصة. ألا وهو منكر الربا وقد عرفته لغة واصطلاحاً.

ثم ذكرت الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم الربا ثم أوضحت عقوبة آكل الربا.

ثم بينت حكم الفوائد الربوية. وذكرت فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة للعمل في البنوك الربوية والإيداع فيها.

ثم ختمت هذا الفصل في كيفية إزالة هذا المنكر.

الفصل السادس: في بعض المنكرات الاجتماعية:

وبما أنني قد تحدثت عن كثير من المنكرات الاجتماعية في الفصل الأول من الباب الرابع؛ فإن حديثي في هذا الفصل اقتصرت فيه على الكلام في المسكرات والمخدرات.

وقد عرفت في هذا الفصل الخمر لغة واصطلاحاً وما هو الذي يدخل تحت هذا التعريف، ثم الأدلة على تحريم الخمر من الكتاب والسنة.

ثم تحدثت عن أضرار المخدرات وخطرها على الفرد والمجتمع.

ثم ذكرت خلاصة ما جاء في المؤتمر العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات المنعقد في الجامعة الإسلامية.

ثم بينت عقوبة المتعاطي والمروِّج للمخدرات.

ثم ختمت هذا الفصل في كيفية إنكار هذا المنكر.

الباب الخامس: في أمور متفرقة:

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في حكم من نهى عن المنكر وهو متلبس به.

وقد تحدثت عن خلاف العلماء في هذه المسألة وبينت الراجح.

الفصل الثاني: في حكم التجسس على المنكرات وقد عرفت في هذا الفصل التجسس على المنكرات لغة واصطلاحاً.

ثم بينت التجسس المشروع وهو الذي فيه مصلحة عامة للإسلام والمسلمين.

كالتجسس على العدو، ومعرفة الرجال الأكفاء ونحو ذلك.

ثم تحدثت عن التجسس المحذور والأدلة الواردة في تحريم التجسس.

ثم تحدثت عن حكم التجسس على المنكرات.

وهل ما يفعله الحكام في هذا العصر من هذا النوع.

الفصل الثالث: حكم التستر على مرتكب المنكرات وقد تحدثت في مقدمة هذا الفصل عن وجوب ستر المسلمين وعدم تتبع عوراتهم وأوردت الأحاديث الدالة على ذلك.

ثم بينت حكم التستر على مرتكب المنكرات، وأنه لا ينبغي التستر على العاصين والمجرمين وأن ذلك محرم لما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة كما أوضحت أنه لا يجوز التستر على أصحاب البدع والمذاهب الهدامة من علمانيين وماسونيين وشيوعيين وغيرهم.

بل إنه يجب فضحهم حتى يتقي الناس شرهم.

الباب السادس: في أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الأمة.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأولي: في أثرهما على إقامة الشرائع .

وقد بينت في هذا الفصل أثرهما في إقامة الحدود وتطبيق شرع الله في جميع شؤون الحياة.

الفصل الثاني: في أثرهما على إقامة الشعائر.

وقد بينت في هذا الفصل أثرهما في إقامة الشعائر من صلاة وزكاة وحج إلى غير ذلك من الشعائر.

الفصل الثالث: أثرهما في الأمن من عقوبة الله.

وقد بينت كيف تحفظ الأمة من الكوارث الكونية إن هي أقامت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الرابع: من أثرهما استقامة أمور الناس بالعدل.

وقد بينت كيف يسعد الناس ويحصلون على حقوقهم كاملة غير منقوصة عندما يطبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الخامس: من أثرهما انحسار المنكر وذلة أهله.

وقد أوضحت كيف يختفي المنكر وينكمش ويذل عند قيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكذلك الحال يحصل للعصاة والمجرمين فإنهم يصابون بالذل والخزي والصغار عندما يقوم وينتصر جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخـــاتــمــة:

وقد بينت فيها أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث.

وكذلك المقترحات التي رأيتها مهمة وجديرة بالعناية.

ثم بعد ذلك عملت الفهارس التالية:

- فهرس للآيات القرآنية.
- فهرس للأحاديث النبوية.
- فهرس للأعلام.
- فهرس للمصادر والمراجع.
- فهرس للموضوعات.

أسأل الله العون والتوفيق والسداد.

الباحث

المبحث الأول

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: تعريف الأمر:

قال ابن منظور(١):

الأمر: معروف، نقيض النهي، أمره به وأمره إياه، يأمره أمراً وإماراً، فأتَمر أي قبل أمره. وقوله عز وجل ﴿ وأُمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ (٢) وقوله عز وجل: ﴿ أتى أمر اللهُ فَلا تستعجلوه ﴾ (٣) قال الزجاج: أمر الله ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب(٤) . وجاء في مقاييس اللغة:

أَمَر: (الهمزة والميم والراء) أصول خمسة: الأمر من المأمور، والأمر ضد النهي، والأَمَر النماء والبركة «بفتح الميم» والمَعْلَم، والعجب.

والأمر: الذي هو نقيض النهي. قال الكسائي: فلان يؤامر نفْسَيْهِ: أي

---

(١) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقبة بن منظور الأنصاري ولد سنة ٦٣٠ هـ أديب، لغوي، ناظم ناثر، مشارك في علوم. ولي القضاء في طرابلس وله مؤلفات كثيرة، منها مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، لسان العرب... توفي سنة ٧١١هـ انظر معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة م ٦ جـ١٢ ص ٤٦.

(٢) سورة الأنعام [٧١].

(٣) سورة النحل جزء من الآية [١].

(٤) لسان العرب جـ١ ص ١٢٥.

نفس تأمره بشيء، ونفس تأمره بآخر. وقال: إنه لأَمُور بالمعروف نَهِيٌّ عن المنكر.

قال ابن الأعرابي[1]:

أَمِّر فلانٌ على قومه إذا صار أميراً، ومن هذا الباب الإِمَّر: الذي لا يزال يستأمر الناس وينتهي إلى أمرهم.. قال الأصمعي: الإِمَّر: الرجل الضعيف الرأي الأحمق الذي يسمع كلام هذا، وكلام هذا فلا يدري بأي شيء يأخذ[2] .

وقال في تاج العروس: الأمر معروف وهو ضد النهي، الجمع أمور.. لا يكسَّر على غير ذلك وفي التنزيل: ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [3] ويقال: أمْر فلان مستقيم، وأموره مستقيمة[4] .

والأمر: بمعنى الطلب وهو نقيض النهي[5] .

---

(١) محمد بن زياد أبو عبد الله مولى بني هاشم المعروف بابن الأعرابي. كان من أحفظ الناس في الأيام والأنساب واللغة. وله مؤلفات منها معاني الشعر، تفسير القبائل وغيرهما. تاريخ بغداد ٥/٢٨٢-٢٨٥. نشر دار الكتاب العربي، بيروت. وطبعة مكتبة خانجي بالقاهرة.

(٢) أحمد فارس جـ١ ص ١٣٧، ١٣٨. تحقيق عبد السلام هارون دار الكتب العلمية. اسماعليان نجفي. إيران ـ قم. [معجم مقاييس اللغة] وانظر إلى الصحاح للجوهري جـ٢ ص ٥٨٠، ٥٨٢ وإلى القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزابادي جـ١ ص ٣٦٥.

(٣) سورة الشورى عجز آية [٥٣].

(٤) السيد محمد مرتضى الزبيدي جـ٣ ص ١٧ الطبعة الأولى. المطبعة الخيرية. مصر المجمدية.

(٥) المصباح المنير جـ١ ص ٢١.

أو هو قول القائل لمن دونه افعل [١] .

وقيل الأمر: إستدعاء الفعل بالقول على جهة الاستعلاء [٢] .

والأمر إذا أطلق فإنه يقتضي وجوب فعل المأمور به؛ والمبادرة بفعله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [٣] ـ رحمه الله ـ :

وأمر الله ورسوله إذا أُطلق كان مقتضاه الوجوب [٤] والدليل على ذلك. قوله تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [٥] .

والفتنة والعذاب الأليم لا يحصلان إلا لمن ترك واجباً.

وقد يخرج الأمر عن الوجوب لقرينة تصرفه إلى النْدب، والاستحباب،

(١) التعريفات للجرجاني ص ٣٧، ولمزيد من التفصيل في ذلك انظر المغني في أصول الفقه. الخبازي تحقيق د. محمد مظهر بقا ص ٢٧، ٣٠.

(٢) المدخل إلى علم أصول الفقه. معروف الدواليبي.

(٣) هو الحافظ العلم الفذ وحيد دهره وفريد عصره تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. ولد في شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ في مدينة حرّان. وهو الصابر المحتسب المجاهد ناصر السنة وقامع البدعة ومفتي الأمة. جاهد بيده ولسانه وقلبه وله مؤلفات كثيرة تزيد على ٣٠٠ مجلد وكانت وفاته في العشرين من ذي القعْدة سنة ٧٢٨ في القلعة. انظر إلى البداية والنهاية م ٧ جـ١٤ ص ١٣٥ إلى ١٤٠ والنجوم الزاهرة جـ٣ ص ٢٧١.

(٤) مجموع الفتاوى جـ٢٢ ص ٥٢٩.

(٥) سورة النور جزء من الآية [٦٣].

أو الإباحة، أو لمعان أخرى غير ذلك[1].

---

(١) قال الفخر الرازي[1]:

قال الأصوليون: صيغة افعل مستعملة في خمسة عشر وجهاً:

الأول: الإيجاب: كقوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ [٢].

الثاني: الندب: كقوله تعالى: ﴿ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾[٣]. ويقرب منه «التأديب» كقوله ـ عليه الصلاة والسلام «كل مما يليك»[٤].

الثالث: الإرشاد. كقوله تعالى: ﴿ واستشهدوا شهيدين ﴾ [٥] والفرق بين الندب والإرشاد، أن الندب لثواب الآخرة والإرشاد لمنافع الدنيا، فإنه لا ينقص الثواب بترك الاستشهاد في المداينات ولا يزيد بفعله.

الرابع: «الإباحة» كقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا ﴾ [٦].

الخامس: «التهديد» كقوله تعالى: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ [٧].

---

(١) أبو عبد الله أو أبو الفضل محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الملقب فخر الدين. فريد عصره، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل. له مصنفات عديدة. منها تفسير القرآن الكريم، المطالب العالية، نهاية العقول، المحصل...وكان يعظ الناس باللسانين العربي والعجمي وكانت ولادته في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة بالري وتوفي يوم الاثنين سنة ست وستمائة بمدينة هراة .

انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان جـ٤ ص ٢٤٨ إلى ٢٥٢ .دار صادر بيروت.

(٢) سورة البقرة جزء من الأية ٤٣ .

(٣) سورة النور جزء من الآية ٣٣ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه «سم الله وكل مما يليك» كتاب الأطعمة باب الأكل مما يليه جـ٣ ص ٤٣١ حديث ٥٣٧٨ .

(٥) سورة البقرة جزء من الآية [٢٨٢].

(٦) سورة الحاقة جزء من الآية [٢٤].

(٧) سورة فصلت جزء من الآية [٤٠].

... ...

السادس: «الامتنان» كقوله تعالى: ﴿ فكلوا مما رزقكم الله ﴾ (١) .

السابع: «الإكرام» كقوله تعالى: ﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ (٢) .

الثامن: «التسخير» كقوله تعالى: ﴿ كونوا قردة ﴾ (٣) .

التاسع: «التعجيز» كقوله تعالى: ﴿ فأتوا بسورة ﴾ (٤) .

العاشر: «الإهانة» كقوله تعالى: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (٥) .

الحادي عشر: «التسوية» كقوله تعالى: ﴿فاصبروا أو لا تصبروا ﴾ (٦) .

الثاني عشر: «الدعاء» كقوله تعالى ـ حكاية عن موسى عليه السلام ـ : ﴿ رب اغفر لي﴾ (٧) الآية.

الثالث عشر: «التمني» كقول الشاعر «ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ»(٨) .

الرابع عشر: «الاحتقار» كقوله تعالى ـ حكاية عن موسى عليه السلام ـ : ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ (٩) .

الخامس عشر: «التكوين» كقوله تعالى: ﴿ كن فيكون ﴾ (١٠) (١١) .

---

(١) سورة النحل جزء من الآية [١١٤].

(٢) سورة الحجر الآية [٤٦].

(٣) سورة البقرة جزء من الآية [٦٥].

(٤) سورة البقرة جزء من الآية [٢٣].

(٥) سورة الدخان آية [٤٩].

(٦) سورة الطور جزء من الآية [١٦].

(٧) سورة الأعراف جزء من الآية ١٥١ .

(٨) هذا البيت صدر بيت لامرئ القيس «المشهور عجزه» ـ بصبح وما الإصباح منك بأمثل ـ وهو في معلقته ص ١٨. طبعة المعارف سنة ١٩٦٩م.

(٩) سورة الشعراء جزء من الآية [٤٣].

(١٠) سورة يس جزء من الآية [٨٢].

(١١) ذكر هذه الصيغ، الفخر الرازي في كتابه المحصول في علم أصول الفقه جـ١ ص ٥٧ ، ٦١. دراسة وتحقيق د . طه جابر فياض العلواني. الطبعة الأولى. طباعة جامعةالإمام. وانظر إلى الإحكام في أصول الأحكام. الآمدي م ٢٠١ جـ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

معنى النهي

النهي: النون والهاء والياء أصل صحيح يدل على غاية وبلوغ. ومنه أنهيت له الخبر بلَّغْتُهُ إياه. ونهاية كل شيء غايته. ومنه نهيته عنه. وذلك لأمر يفعله، فإذا نهيته فانتهى عنه فتلك غاية ما كان وآخره وفلان ناهيك من رجل، ونهيك كما يقال حسبك. وتأويله أنه بجده وعنائه ينهاه عن تطلب غيره. والنُّهْيَة: العقل. لأنه ينهى عن قبيح الفعل[1] .

وجاء في لسان العرب:

النهي: خلاف الأمر: نهاه ينهاه نهياً فانتهى وتناهى كف... ونفس نهاة: منتهية عن الشيء.. وتناهوا عن الأمر وعن المنكر: نهى بعضهم بعضاً.. وفي التنزيل: ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ [2] [3] .

وجاء في تاج العروس:

النهي: خلاف الأمر نهاه ينهاه نهياً فانتهى وتناهى كف. ويقال هو نهو عن المنكر أَمُورٌ بالمعروف[4] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة. أحمد فارس جـ٥ ص ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) سورة المائدة آية [٧٩].

(٣) لسان العرب. ابن منظور جـ١٥ ص ٣٤٣، ٣٤٤.

(٤) السيد محمد مرتضى الزبيدي جـ١٠ ص ٣٨٠، ٣٨١.

وانظر القاموس المحيط. الفيروزابادي جـ٤ ص ٣٩٨. دارالحديث القاهرة.

وقال الجوهري[1] :

النهي: خلاف الأمر ونهيته عن كذا فانتهى عنه وتناهى أي كف. وتناهوا عن المنكر أي نهى بعضهم بعضاً.

ويقال: إنه لأمور بالمعروف نهو عن المنكر على فعول.

وفلان ناهية، أي نهيٌّ.

والنِهي بالكسر: الغدير في لغة أهل نجد.

والإنهاء: الإبلاغ. وأنهيت إليه الخبر فانتهى وتناهى، أي بلغ.

والنهَايَة: الغاية. يقال: بلغ نهايته[2] .

وجاء في القاموس المحيط:

نهاه: ينهاه نهياً ضد أمره فانتهى وتناهى وهو نهو عن المنكر أَمُورٌ بالمعروف، والنُهية بالضم الاسم منه وغاية الشيء وآخره كالنهاية والنِهاء مكسورتين، وانتهى الشيء وتناهى. وتنهّى تنهية بلغ نهايته وإليك أنهى المثل، ونُهى وأُنهى مضمومتين، ونَهى كسعى قليلة.

---

(١) إسماعيل بن حي،الجوهري أبو نصر أول من حاول الطيران، ومات في سبيل ذلك. لغوي من الأئمة ومن أشهر مؤلفاته: الصحاح، وله كتاب في العروض، ومقدمة في النحو. توفي عام ٣٩٣ هـ. انظر الأعلام للزِّرِكْلِيّ ١/٣١٣.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. جـ٦ ص ٢٥١٨ تحقيق أحمد عطار دار العلم للملايين بيروت.

والنهاية طرف العران في أنف البعير والخشبة يحمل فيها الأحمال .
والنهي بالكسر والفتح الغدير أو شبهه[1] .

والنهي: إذا أطلق اقتضى تحريم فعل المنهي عنه. لقوله تعالى: ﴿ وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [2] والأمر للوجوب.

ولأنَّ ارتكاب المنهي عنه معصية، بدليل إطلاق اسم المعصية على قربان الشجرة في قصة آدم عليه السلام: ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ [3] ولا يستحق اسم المعصية إلا بترك واجب[4] .

ويخرج النهي عن التحريم إلى معان أخرى لدليل يقتضي ذلك منها:

الأول: الكراهة أو التنزيه قال تعالى:﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾[5]
.الثاني: التقليل أو التحقير قال تعالى: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾ [6] .

الثالث: بيان العاقبة. قال تعالى:
﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ [7] .

---

(١) القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزابادي جـ٤ ص ٣٩٨ .

(٢) سورة الحشر جزء من الآية [٧].

(٣) سورة طه: جزء من الآية [١٢١].

(٤) انظر المغني في أصول الفقه. عمر الخبازي. تحقيق د. محمد مظهر بقا طباعة جامعة أم القرى. ص ٦٧.

(٥) سورة البقرة جزء من الآية [٢٣٧].

(٦) سورة طه جزء من الآية [١٣١].

(٧) سورة إبراهيم جزء من الآية [٤٢].

الرابع: الدعاء: ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [1] .

الخامس: الإرشاد يقول تعالى:
﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ [2] .

السادس: التأييس يقول تعالى:
﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ [3] [4] .

* * *

(١) سورة آل عمران جزء من الآية [٨].

(٢) سورة المائدة جزء من الآية [١٠١].

(٣) سورة التوبة جزء من الآية [٦٦].

(٤) انظر إلى كتاب الإحكام في أصول الأحكام للعلامة علي الآمدي تعليق عبد الرزاق عفيفي. م ١، ٢ جـ٢ ص ص ١٨٧.
وانظر إلى الأمالي الشجرية. ابن الشجري جـ١ ص ٢٧١، ٢٧٢.

معنى المعروف

عرف: العرفان العلم. ورجل عروف وعروفة: عارف، يعرف الأمور ولا ينكر أحد رآه مرة، والهاء للمبالغة. والعريف والعارف: بمعنى عليم وعالم.

وأمر عريف وعارف: معروف.

وعريف القوم: سيدهم. والعريف السيد والقيم؛ لمعرفته بسياسة القوم.

والعارف والعروف والعروفة: الصابر. ونفس عروف: حاملة صبور إذا حُمِلَت على أمر احتملته.

والمعروف: ضد المنكر. والعرف: ضد النكر. والمعروف والعارفة: خلاف المنكر[1] .

وقال في تاج العروس:

قال الراغب: المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، فهي أخص من العلم ويضاده الإنكار ويقال فلان يعرف الله ورسوله، ولا يقال يعلم الله متعدياً إلى مفعول واحد لما كانت معرفة البشر لله تعالى هى تدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر وأصله من عرفت أي أصبت عَرْفَه أي رائحته، أو من أصبت عرفه أي حده...)[2] .

---

(١) لسان العرب. ابن منظور جـ٥ ص ٢٨٩٩، ٢٩٠٠.

(٢) تاج العروس. السيد محمد مرتضى الزبيدي. جـ٦ ص ١٩٢.

وجاء في القاموس المحيط:

المعروف: ضد المنكر والعارف والعروف الصبور. والعرف بالضم: الجود والمعرفة موضع العرف من الفرس. والأعرف: ماله عرف والعرْفاء الضبُع لكثرة شعر رقبتها[1] .

وقال الجوهري:

العَرْفُ: الريح طيبة كانت أو منتنة. يقال ما أطيب عَرْفه.

والعَرْفَةُ: قرحة تخرج في بياض الكف.

والمعروف: ضد المنكر. والعرْفُ. ضد النكر.

والعُرْف أيضاً: من الاعتراف.

والعُرْفُ: عرف الفرس. وقوله تعالى: ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ [2] . أي يتتابعون كعرف الفرس، ويقال أرسلت بالعرف أي بالعروف والعُرْفُ والعُرُوفُ: الرمل المرتفع.

والتعريف: الإعلان. والتعريف إنشاد الضالة.

والعرّاف: الكاهن والطبيب...[3] .

هذا معنى المعروف في اللغة.

---

(١) «القاموس المحيط» الفيروزابادي جـ٣ ص ١٧٣، ١٧٤ .

(٢) سورة المرسلات آية [١].

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل الجوهري جـ٤ ص ١٤٠٠، ١٤٠٢.

معنى المعروف في الاصطلاح:

١- قال ابن منظور: المعروف: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات..[١]

٢- وقيل المعروف: الإيمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه[٢] .

٣- وقيل المعروف: اتباع النبي ﷺ [٣] .

٤- وقيل المعروف الدين الحق والإيمان بالتوحيد والنبوة[٤] .

٥- وقيل المعروف: توحيد الله والتصديق بنبوة محمد ﷺ . قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٥] .

٦- وقيل المعروف: التوحيد قاله أبو العالية[٦] .

٧- وقيل المعروف: ما عُرف حسنه شرعاً وعقلاً[٧] .

٨- وقيل المعروف: الإيمان وسائر أبواب البر[٨] .

---

(١) لسان العرب جـ٥ ص ٢٩٠٠.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن. الطبري م ٣ جـ٤ ص ٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م٢ جـ٤ ص ١٧٦ ومثله قال الشوكاني في فتح القدير جـ١ ص ٣٧٤.

(٤) ذكره الفخر الرازي في تفسيره عن القفال م ٤ جـ٨ ص ١٩٦.

(٥) ذكره الفخر الرازي في تفسيره عن ابن عباس م ٤ جـ٨ ص ٢٠٨.

(٦) زاد المسير في علم التفسير. عبد الرحمن بن الجزري جـ١ ص ٤٤٠.

(٧) تفسير كلام المنان. عبد الرحمن السعدي جـ١ ص ٤٠٦.

(٨) تفسير النسفي. عبد الله النسفي م ١ جـ١ ص ١٧٦.

وقال الطبري[1] أيضاً:

وأصل المعروف كل ما كان معروفاً ففعله مستحسن غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفاً؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله[2] .

٩- وقيل المعروف: كل ما أمر به شرعاً. قاله ابن مفلح[3] .

١٠- وقيل المعروف: ما أمر الله به ورسوله ﷺ مثل شرائع الإسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها. وكذلك الصدقة المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام، ومثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومثل الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومثل ما أمر الله به ورسوله من الأمور الباطنة والظاهرة..[4] .

١١- وقيل المعروف: هو كل ما عُرف في الشرع من خير وطاعة

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ أبو جعفر ـ مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، فقيه، أصولي، مجتهد. ولد في آمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤ هـ. كان من أفراد الدهر علماً، وذكاءً وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله. له مؤلفات كثيرة منها: جامع البيان، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار. توفي سنة ٣١٠هـ.
انظر معجم المؤلفين ١٤٧/٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٧/١٤، وتذكرة الحفاظ ٧١٠/٢.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن م ٣ جـ٤ ص ٣٠.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ١ ص ١٧٤.

(٤) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تحقيق د. صلاح الدين المنجد ص ١٦.

مندوباً كان أو واجباً. وسمي معروفاً لأن العقول السليمة تعرفه[1] .

١٢- وقيل المعروف: هو كل اعتقاد أو عمل أو قول أو إشارة أقرها الشارع الحكيم وأمر بها على وجه الوجوب أو الندب بالتوحيد والإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر والجنة والنار والصراط والحوض وغيرها من العقائد تعتبر معروفاً، والصلاة والصوم والزكاة والحج والصدقة تدخل ضمن دائرة المعروف وقول كلمة الحق، والأمر بالواجبات الدينية، والنهي عن المحرمات يدخل في دائرة المعروف[2] .

١٣- وقيل المعروف: اسم لكل ما أمر به الشرع من قول أو عمل أو اعتقاد[3] .

١٤- وقيل المعروف: هو كل ما عرف من الشرع الإسلامي قبوله واستحسانه وندبنا وحثنا إلى فعله والتمسك به[4] .

١٥- وقيل المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات[5] .

---

(١) ذكره البيانوني في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٧.

(٢) ذكره د. محمد أبو فارس في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص

(٣) قاله عبد المعز عبد الستار. في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٠.

(٤) قاله عبده غالب أحمد عيسى في كتابه أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص١٣.

(٥) ذكر هذا التعريف السفاريني في كتابه غذاء الألباب شرح منظومة الآداب جـ١ ص ٢١١ وهذا التعريف ذكره بنصه ابن منظور في لسان العرب. ولم يشر السفاريني إلى شيء من ذلك.

١٦- وقيل المعروف: كل قول أو فعل ينبغي قوله أو فعله طبقاً لنصوص الشريعة الإسلامية ومبادئها العامة وروحها، كالتخلق بالأخلاق الفاضلة، والعفو عند المقدرة، والإصلاح بين المتخاصمين، وإيثار الآخرة على الدنيا، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وإقامة المعاهد والملاجئ والمستشفيات، ونصْرة المظلوم، والتسوية بين الخصوم في الحكم، والدعوة إلى الشورى، والخضوع لرأي الجماعة وتنفيذ مشيئتها، وصرف الأموال العامة في مصارفها إلى غير ذلك[١] .

وهذا التعريف رغم طوله ليس بجامع ولا مانع، فقد أدخل ضمن التعريف أموراً لا تدخل في مفهوم المعروف شرعاً. كقوله «الخضوع لرأي الجماعة» إذْ لا بد أن يقيد ذلك بما وافق الشرع وكقوله «وتنفيذ مشيئتها» لا بد أن يقول الملتزمة لمشيئة الله تعالى. ولو عبر بغير هذه اللفظة لكان أسلم.

١٧- وقيل المعروف: كل فعل أو قول أو قصد حسن شرعاً[٢] .

تعريف الباحث:

رأى في التعريف أن يقال:

المعروف: كل ما أمر به الشارع من اعتقاد أو قول أو فعل أو إقرار على سبيل الوجوب أو الندب والإباحة. فهذا التعريف ـ في نظري ـ جامع مانع ولم أر من أشار إليه في المصادر والمراجع التي اطلعت عليها. وإذا تأملت في هذا التعريف وجدت أنه لم يترك من شاردة ولا واردة إلا وتدخل فيه. والعلم عند الله.

---

(١) التشريع الجنائي الإسلامي. عبد القادر عودة جـ١ ص ٤٩٢.

(٢) معالم القربة في أحكام الحسبة. محمد القرشي «ابن الأخوّة».

معنى المنكر

المنكر لغة: قال في لسان العرب:

نكر: النكر والنكراء الدهاء والفطنة، ورجل نَكِر ونُكُرٌ ومُنْكر من قوم مناكير داهية فطن، والإنكار: الجحود والمناكرة: المحاربة، وناكره أي قاتلة. وقوله تعالى: ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ [1] «أقبح الأصوات» والنكْرُ والنكُرُ: الأمر الشديد.

والمنكر من الأمر: خلاف المعروف. وقد تكرر في الحديث الإنكار والنكر وهو ضد المعروف[2] .

وجاء في القاموس المحيط:

والمنكر: ضد المعروف، والنَّكْراءُ الداهية، ومنكر ونكير فتَّانا القبور، والاستنكار استفهامك أمراً تنكره[3] .

وقال الجوهري:

المنكر: واحد المناكر.

والنكير والإنكار: تغيير المنكر. والنكر: المنكر قال تعالى: ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ [4] وقال تعالى: ﴿ لقد جئت شيئاً نكراً ﴾[5]

(١) سورة لقمان عجز الآية [١٩].

(٢) ابن منظور لسان العرب. جـ٨ ص ٤٥٣٩ باختصار. دار المعارف.

(٣) الفيروزابادي القاموس المحيط. جـ٢ ص ١٤٨ ـ دار الحديث ـ القاهرة.

(٤) هذه الآية لم يستشهد بها الجوهري وأوردتها لقربها من الشاهد.

(٥) سورة الكهف جزء من آية ٧٤.

وقد نَكُرَ الأمر بالضم، أي صعب واشتدَّ [١] .

أنكر الشيء: جهله وفي التنزيل: ﴿ فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ [٢] .

استنكر الأمر: استقبحه.

نَكَّرَ الشيء: غيره بحيث لا يعرف. وفي التنزيل العزيز: ﴿ نكروا لها عرشها ﴾ [٣] [٤] .

المعنى الاصطلاحي «للمنكر»:

المنكر: كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر[٥] .

وقيل: المنكر: كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه[٦] .

وقيل المنكر: محذور الوقوع في الشرع[٧] .

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري جـ٢ ص ٨٣٦، ٨٣٧. دار العلم للملايين. بيروت.

(٢) سورة يوسف جزء من الآية [٥٨] .

(٣) سورة النمل جزء من الآية [٤١] .

(٤) المعجم الوسيط جـ٢ ص ٩٨٩، ٩٩٠.

(٥) قاله ابن منظور ـ لسان العرب ـ جـ٨ ص ٤٥٣٩.

ومثل ذلك قال صاحب تاج العروس الزبيدي. جـ٣ ص ٥٨٤.

(٦) المعجم الوسيط جـ٢ ص ٩٩٠.

(٧) قاله الغزالي في إحياء علوم الدين م ٣ جـ٧ ص ٣٥ دار الفكر ١٣٥٦هـ.

وقيل المنكر: النهي عن مخالفة الرسول ﷺ [1] .

وقيل المنكر: الكفر بالله والتكذيب[2] .

وقيل المنكر: الشرك[3] .

وقيل المنكر: ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً[4] .

وقال الإمام الطبري[5] ـ رحمه الله ـ في تعريفه الاصطلاحي للمنكر: أصل المنكر: ما أنكره الله ورآه أهل الإيمان قبيحاً فعله. ولذلك سميت معصية الله منكراً؛ لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها[6] .

وقيل المنكر: الكفر وكل محظور وما استقبحه الشرع والعقل[7] .

وقيل المنكر: كل ما يكرهه الله تعالى[8] .

---

(١) قاله القرطبي.الجامع لأحكام القرآن م٢جـ٤ ص ١٧٦ . دار إحياء التراث العربي.

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره عن القتال م ٤جـ٨ ص ١٩٦ وقال الفخر الرازي: المنكر: النهي عن كل ما لا ينبغي.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي جـ١ ص ٤٤٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن تفسير كلام المنان. الشيخ عبد الرحمن السعدي جـ١ ص ٤٠٦ . تحقيق محمد النجار. مطابع الدجوي. القاهرة.

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٥.

(٦) جامع البيان في تفسير القرآن م ٣ جـ٤ ص ٣٠. دار المعرفة بيروت.

(٧) تفسير النسفي م ١جـ١ ص ١٧٤، ١٧٥ .

(٨) قاله السيوطي. الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ٥ ص ٣٠.

وقيل المنكر: كل قول وفعل وقصد قبحه الشارع ونهى عنه[1] .

وقيل المنكر: كا ما نهى عنه شرعاً[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه[3] ـ رحمه الله ـ :

والمنكر: الذي نهى الله عنه ورسوله. وأعظمه الشرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إلهاً آخر كالشمس والكواكب، أو كملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء أو رجل من الصالحين أو أحد من الجن، أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم، أو غير ذلك مما يدعى من دون الله، أو يستغاث به. أو يُسجَد له... ومن المنكر كل ما حرمه الله كقتل النفس بغير حق، وأكل أموال الناس بالباطل، بالغصب أو الربا أو الميسر، والبيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله ﷺ . وكذلك قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين وتطفيف المكيال والميزان والإثم والبغي. وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله ﷺ وغير ذلك[4] .

وقيل المنكر: كل فعل أو قول أو قصد قبيح شرعاً[5] .

---

(١) قاله الشهاوي. الحسبة في الإسلام. إبراهيم الدسوقي الشهاوي ص ٩ مكتبة دار العروبة ١٣٨٢، القاهرة.

(٢) قاله ابن مفلح في الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ١ ص ١٧٤.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣٥.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تحقيق صلاح الدين المنجد. ص ١٦، ١٧. دار الكتاب الجديد بيروت.

(٥) معالم القربة في أحكام الحسبة. ابن الأخوة. ص ٧٢ تحقيق د. محمد شعبان، صديق المطيعي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

وقيل المنكر: كل معصية حرمتها الشريعة سواء وقعت من مكلف أو غير مكلف، فمن رأى صبياً أو مجنوناً يشرب خمراً فعليه أن يمنعه، ويريق خمره، ومن رأى مجنوناً يزني بمجنونة، أو يأتي بهيمة، فعليه أن يمنع ذلك والمنع واجب سواء ارتكب المعصية في سر أو علانية[١] .

قوله «المنع واجب سواء ارتكب المعصية في سر أو علانية» نوافقه إذا كان علانية، لكن كيف يكون واجباً إذا كان الأمر سراً فالسرّ لا يعلمه إلا الله.

وقيل المنكر: هو كل ما ينكره الشرع، وينفر منه الطبع صغيرة كانت أو كبيرة. والمعاصي كلها منكرات لأن العقول السليمة تنكرها[٢] .

وقيل المنكر: كل ما أنكره الشرع ونهى عنه وحثنا على تركه والابتعاد عنه[٣] .

وقيل المنكر: هو كل اعتقاد أو عمل أو قول أنكره الشارع الحكيم ونهى عنه. فالشرك بالله والشعوذة[٤] والكهانة[٥] وضرب الودع[٦] ، والخط

---

(١) قاله عبد القادر عودة. التشريع الجنائي في الإسلام جـ١ ص ٤٩٢. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) قاله أحمد البيانوني. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٧. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

(٣) أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عبده غالب أحمد عيسى ص ١٣. دار الجيل.

(٤) الشعوذة: الكذب.

(٥) الكهانة: ادعاء علم الغيب.

(٦) الودعة: شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين. وضرب الودع: التمويه بمعرفة ما يجدّ في المستقبل.

في الرمل، والفتح في الفنجان والتمائم[1] والتولة[2] منكرات اعتقادية[3] والفتح في الفنجان يختلف عما ينفث في الفنجان فالنفث في الفنجان إذا كان مما ورد به الشرع فهذا جائز.

قال السيوطي: أجمع العلماء على جواز الرقى عند إجتماع ثلاثة شروط:

أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.

وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل لتقدير الله تعالى[4] .

قلت:

أو تكون مما ثبت أن النبي ﷺ أجازه.

وقيل المنكر: اسم لكل ما نهى عنه الشرع من قول أو عمل أو اعتقاد. وسبب تسميته: تشهد بفساده وتنكره وترفضه الفطر السليمة والعقول الرشيدة[5]

---

(١) التمائم: ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين وهو منهي عنه.

(٢) التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها[1] .

(٣) ذكره محمد عبد القادر أبو فارس في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن النمكر ص (١٧) الحاشية.

(٤) انظر فتح المجيد. شرح كتاب التوحيد. عبد الرحمن آل الشيخ ص ١٠٣.

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبد العزيز عبد الستار ص ١٠ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت - دمشق.

---

(١) راجع في ذلك فتح المجيد. شرح كتاب التوحيد. الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ. ص ٩٨، ١٠٤.

وقال محمد رشيد رضا[1] في تعريفه للمعروف والمنكر:

والمعروف ما تعرف العقول السليمة حُسْنَه وترتاح القلوب الطاهرة له لنفعه وموافقته للفطرة والمصلحة بحيث لا يستطيع العاقل المنصف السليم الفطرة أن يرده، أو يعترض عليه إذ ورد به الشرع.

والمنكر ما تنكره العقول السليمة وتنفر منه القلوب وتأباه على الوجه المذكور أيضاً. وأما تفسير المعروف بما أمرت به الشريعة، والمنكر بما نهت عنه فهو من قبيل تفسير الماء بالماء، وكون ما قلناه يثبت مسألة التحسين والتقبيح العقليين وفاقاً للمعتزلة، وخلافاً للأشعرية، مردود إطــلاقاً بأننا إنما نوافق كلاً منهما من وجه، ونخالفه من وجه اتباعاً لظواهر الكتاب والسنة، وفهم السلف لهما فلا ننكر إدراك العقول لحسن الأشياء مطلقاً، ولا نقيد التشريع بعقولنا، فإن من الشرع ما لم تعرف العقول حسنه قبل شرعه. وأن كل ما شرع الله تعالى يطاع بلا شروط ولا قيد[2] .

ويقول أيضاً: والمنكر الشرعي ما ينكره الشرع ويستقبحه، والمنكر العقلي والفطري ما تستنكره العقول الراجحة والفِطَرُ السليمة لمنافاته

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا محمد بن محمد بن علي القلموني البغدادي الأصل محدث مفسر مؤرخ أديب، [ولد سنة ١٢٨٢هـ].
سياسي. تعلم في بلده وفي طرابلس وبيروت، ثم رحل إلى مصر واتصل بمحمد عبده المصري وتتلمذ له. أصدر مجلة المنار. وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد. ثم سافر إلى سورية والعراق والحجاز وأوربا وعاد إلى مصر ومات فيها سنة ١٣٥٤هـ. انظر معجم المؤلفين م ٥ جـ٩ ص ٣١٠.

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ٢ ص ٢٢٧.

للفضائل والمنافع الفردية والمصالح العامة، والشرع هو القسطاس المستقيم في ذلك كله[1] .

ويظهر من هذا التعريف أن فيه تناقضاً فمرة يجعل الشرع هو القياس للمعروف والمنكر، ومرة يجعل العقل هو القياس فهو متأثر بالمدرسة العقلية.

ونعترض عليه بأمرين:

الأول: قوله: «إن تفسير المعروف بما أمرت به الشريعة، والمنكر بما نهت عنه فهو من تفسير الماء بالماء».

الثاني: قوله: « المنكر ما تنكره العقول السليمة وتنفر منه القلوب وتأباه».

فبالنسبة للأول نقول: إن ربطهم المعروف والمنكر بالشرع قول واضح وسهل وبسيط وقاعدة شرعية أصيلة بنفس الوقت؛ لأن الشريعة لا تأمر إلا بمعروف ولا تنهى إلا عن منكر. صحيح أن درجات المعروف والمنكر تتفاوت، ولكن يبقى المعروف معروفاً والمنكر منكراً حسب أمر الشرع ونهيه.

وأما بالنسبة للثاني: فنحن نعترض عليه من وجوه:

١- أننا في تعريف المعروف والمنكر نهدف إلى معرفة أمر الشارع ونهيه وما يترتب على ذلك. فلا بد من انقياد العقل لذلك.

٢- أن عقول الناس تختلف وتتباين حسب اعتقادها وعاداتها وصلاحها وقربها وبعدها من الشارع فقد يستحسن عقل هذا الأمر

---

(١) المرجع السابق جـ١٠ ص ٥٣٣.

ويستقبحه آخر، وقد يحصل العكس.

٣- عند اختلاف العقلين في التحسين أو التقبيح أي العقلين نأخذ به

٤- وبهذا يتبين فساد القول بأن المعروف أو المنكر مربوط بمعرفة العقل له وإنما المقياس في ذلك كله هو الشرع. والله أعلم.

تعريف الباحث للمنكر في الاصطلاح:

المنكر كل ما نهى عنه الشارع من اعتقاد أو قول أو فعل على سبيل التحريم أو الكراهة.

* * *

الفرق بين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد

لمعرفة الفرق بينهما لا بد من تعريف الجهاد لغة واصطلاحاً حتى يتبين لنا الفرق بينهما.

تعريف الجهاد لغة:

قال ابن منظور: الجَهْد والجُهد: الطاقة. وقيل الجَهدُ المشقة. والجُهد الطاقة.

والجَهْد: ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق فهو مجهود[1].

وقال الجوهري:

والجهد: المشقة. يقال جَهَدَ دابته وأجْهَدْها إذا حمل عليها فوق طاقتها.

وَجَهَدَ الرجل في كذا، أي جَدَّ فيه وبالغ، وجَهَدْت اللبن فهو مجهود، أي أخرجت زبده كله...

والجَهَاد بالفتح: الأرض الصلبة.

وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهاداً.

والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود[2].

---

(١) لسان العرب ابن منظور جـ٢ ص ٧٠٨.

(٢) الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري. تحقيق أحمد عطار جـ٢ ص ٤٦. وانظر القاموس المحيط. الفيروزابادي جـ١ ص ٢٨٦.

وجاء في المعجم الوسيط: جَهِدَ الناس: أجدبوا.

أجْهَدَ: دفع في الجهد والمشقة.

جاهد العدو مجاهدة وجهاداً قاتله.

واجْتَهد: بذل ما في وسعه[١] .

وقال ابن الأثير[٢] :

قد تكرر لفظ الجَهْد والجُهْد في الحديث كثيراً وهو بالضم الوسع والطاقة. وبالفتح المشقة. وقيل المبالغة والغاية، وقيل هما لغتان في الوسع والطاقة. فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير[٣] .

تعريف الجهاد في الاصطلاح:

الجهاد في الاصطلاح: قتال الكفار.

وقد سار على هذا التعريف معظم الفقهاء[٤] .

---

(١) المعجم الوسيط. جـ١ ص ١٤٧.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ فخر العلماء عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير. المحدث اللغوي. صاحب التاريخ، ومعرفة الصحابة، والأنساب. وغير ذلك. ولد سنة ٥٥٥هـ وتوفي سنة ٦٣٠هـ.

انظر إلى تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٣ جـ٤ ص ١٣٩٩. دار إحياء التراث العربي.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير جـ١ ص ٣٢٠.

(٤) الروض المربع. منصور البهوتي جـ٢ ص ١.

وقال ابن حجر[1] ـ رحمه الله ـ في الفتح:

بذل الجهد في قتال الكفار[2] .

وقيل الجهاد: بذل الوسع والطاقة وتحمل المشقة في مدافعة العدو الذي يبتغي انحراف الإنسان عن طريق الله عز وجل وأهداف دعوة الإسلام[3] .

وقيل: هو الدعاء إلى الدين الحق[4] .

وقيل الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوُسع في مدافعة العدو. والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر ـ ومجاهدة الشيطان ـ ومجاهدة النفس، قال ﷺ : «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»[5] [6].

قلت: والأولى أن يقال في تعريفه شرعاً:

---

(١) هو الحافظ ابن حجر العسقلاني علم الأعلام وأمير المؤمنين في الحديث. أحمد بن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني ولد في شهر شعبان سنة ٧٧٣هـ ومات والده وهو صغير فنشأ يتيماً، وكان شديد الذكاء فاشتغل أولاً بالتجارة بعد قراءة القرآن، وكان يقرأ الشعر ويتعاطاه ثم حبب إليه طلب الحديث فاجتهد فيه حتى بلغ الغاية. وله مؤلفات عظيمة أهمها فتح الباري الذي لم يصنف مثله.توفي سنة ٨٥٢. رحمه الله رحمة واسعة. شذرات الذهب. ابن العماد ٧/٢٧٠.

(٢) فتح الباري. شرح صحيح البخاري. جـ٦ ص ٣.

(٣) حقيقة الجهاد في الإسلام. د محمد نعيم ياسين ص ٣٥. دار الأرقم.

(٤) التعريفات. الجرجاني. نقلاً عن كتاب الجهاد الصفحة نفسها.

(٥) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ . طبعة دار المعرفة ص ١٠١.

(٦) بعد البحث والتحري عن هذا الحديث لم أجد له أثراً.

بذل الجهد لقتال الكفار ومن نهج نهجهم أو سلك سبيلهم من أجل إعلاء كلمة الله.

حكمه:

يكاد الفقهاء يجمعون على أن الجهاد من فروض الكفايات. إذا قام به من يكفي سقط الإثم والحرج عن الباقين.

قال ابن حزم[1] :

والجهاد فرض على المسلمين فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغورهم سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا[2] .

قال ابن مودود[3]: الجهاد فرض عين عند النفير العام، وكفاية عند

(١) هو العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي بالولاء الأندلسي القرطبي، وله مؤلفات منها المحلى، والفصل في الملل والنحل. ظاهري في الفروع. كان مولده في سنة ٣٨٤هـ وتوفي ٤٥٦هـ.

انظر إلى تذكرة الحفاظ ص ١١٤٦.

(٢) المُحلّى. ابن حزم جـ٧ ص ٢٩١.

وانظر إلى المغني لابن قدامة جـ٨ ص ٣٤٥، ٣٤٦.

وانظر إلى شرح فتح ابن همام الحنفي جـ٥ ص ٤٣٥، ٤٣٦.

(٣) هو عيسى بن مودود بن علي بن عبد الملك بن شعيب الملقب فخر الدين، صاحب تكريت، وهو من أتراك الشام. وكانت فيه فضائل، وله ديوان شعر حسن ورسائل مطبوعة.

وقتله إخوته سنة ٥٨٤ هـ بقلعة تكريت رحمه الله.

انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٩٨/٣.

عدمه. والنفير العام أن يُحتاج إلى جميع المسلمين، فلا يحصل المقصود وهو إعزاز الدين وقهر المشركين إلا بالجميع، فيصير عليهم فرض عين كالصلاة، وإذا لم يكن كذلك فهو فرض كفاية، (إذا قام به البعض سقط عن الباقين) كرد السلام ونحوه؛ لأن المقصود منه دفع شر الكفرة، وكسر شوكتهم، وإطفاء ثائرتهم، وإعلاء كلمة الإسلام، فإذا حصل المقصود بالبعض فلا حاجة إلى غيرهم والنبي ﷺ ـ كان يخرج إلى الجهاد ولا يخرج جميع أهل المدينة، ولأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فيكون على الكفاية، ولأنه لو وجب على جميع الناس لتعطلت مصالح المسلمين من الزراعات والصنائع، وانقطعت مادة الجهاد من الكراع والسلاح فلا يقدر المجاهدون على الإقامة على الجهاد فيؤدي إلى تعطيله، فإن لم يقم به أحد أثم جميع الناس بتركه كسائر فروض الكفاية[1] .

الفرق بينهما:

من خلال ما سبق من معرفة تعريف الجهاد لغة وشرعاً وحكمه يتضح الفرق بينهما. وهما يتفقان في أمور ويختلفان في أمور أخرى.

يتفقان في الأمور التالية:

ـ أنهما من فروض الكفاية على المشهور من أقوال أهل العلم.

ـ أن كلاً منهما يحتاج إلى جهد ومشقة وبذل وتضحية.

ـ أن القصد منهما السعي لإعلاء كلمة الله.

---

(١) الاختيار لتعليل المختار. عبد الله بن مودود الموصلي الحنفي. جـ ٢ ص ١١٧. دار المعرفة بيروت.

ـ إذا توفرت القدرة لهما فإن التغيير يكون باليد وإلا باللسان أو بالقلب.

ـ أن كلا منها يدخل فيه الأجر والاحتساب.

الفرق بينهما:

ـ أن الجهاد إذا أطلق فإنه ينصرف إلى مجاهدة الكفار بالسلاح غالباً.

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يشمل الكافر والمسلم في الإنكار، والغالب أن يكون في المجتمع المسلم.

ـ أن الجهاد يصاحبه القتال غالباً بخلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يندر فيه القتال.

ـ أن الجهاد يجب أن يكون تحت قيادة الإمام أو نائبه بخلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يقوم به الأفراد والجماعات.

* * *

المبحث الثاني

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عند البحث في معرفة هذا الحكم عند علماء التفسير والحديث والفقه، وأيضاً الكتب التي بحثت هذا الموضوع فإنك تجد أقوالاً كثيرة قد لا يستوعبها القارئ أو الباحث وقد يُنسي بعضها بعضاً من كثرتها. وقد يبدو للقارئ أن فيها تضارباً فيما بينها.

لذا فإنني سوف أحاول بإذن الله تعالى ترتيب هذه المسألة بشكل واضح تجعل القارئ يخرج بفائدة ويعرف أقوال العلماء دون تعب أو صعوبة.

الحكم العام:

أجمعت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يخالف في ذلك أحد.

قال أبو بكر الجصاص(١) :

أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من

---

(١) هو أحمد بن علي بن سعيد المروزي مولى بني أمية أبو بكر الجصاص قاضي من حفاظ الحديث. وله تصانيف ومسانيد ومن كتبه أحكام القرآن. ومن مسانيده مسند أبي بكر الصديق ولد سنة ٣٠٥هـ وتوفي ٣٧٠هـ.
الأعلام الزركلي ١٧١/١. دار العلم للملايين.

كتابه، وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه[1] .

وقال ابن حزم:

اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم[2] .

وقال النووي:

قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضاً من النصيحة التي هي من الدين[3] .

وقال الشوكاني[4] في قوله تعالى:

﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ الآية: في الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها[5] .

---

(١) أحكام القرآن. أبو بكر الجصاص جـ٢ ص ٥٩٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٤ ص ١٧١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ ص ٥١.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني. وهو الشيخ العلامة والبحر الفهامة. قاضي قضاة القطر اليمني. له مؤلفات كثيرة منها نيل الأوطار، الدرر البهية، وشرحه في الدراري المضيئة...وقد ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي ١٢٥٠هـ.

انظر إلى البدر الطالع جـ٢ ص ١١٤ مكتبة ابن تيمية القاهرة.

(٥) فتح القدير. الشوكاني جـ١ ص ٣٦٩.

وقال السهارنفوري[1] في شرح حديث:

«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب. الحديث. وهذا قول رسول الله ﷺ يدل صريحاً على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ قطعاً[2] .

نوع الاختلاف في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قلنا إن الأمة أجمعت على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنها اختلفت في وقوع هذا الواجب هل هو وجوب عيني أو كفائي أو وجوب عيني عند الاستطاعة ويتحول إلى القلب عند عدم القدرة.

ومدار هذا الاختلاف مبني على النصوص الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [3] .

٢- وقوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [4] الآية.

---

(١) اسمه عصمة الله بن أعظم بن عبد الرسول السهانفوري حاسب. له ضابط قواعد الحساب.انظر:

Mingana: Catalogue os anibic manuscriprs.

انظر معجم المؤلفين ٦/ ٢٨٢.

(٢) بذل المجهود في حل أبي داود. خليل السهارنفوري جـ١٧ ص ٢٦٧.

(٣) سورة آل عمران آية [١٠٤].

(٤) سورة آل عمران جزء من الآية [١١٠].

٣- ما ثبت عن طارق بن شهاب ﷺ قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان بن الحكم فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك. فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه. سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(١).

٤- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبداً، وقد طرحه رسول الله ﷺ (٢).

٥- ما ورد في الصحيحين ومسند الإمام أحمد وجامع الترمذي من حديث ابن مسعود ﷺ قال: دخل النبي ﷺ يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود كان في يده وجعل يقول:
﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾ الآية (٣) (٤).

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان. باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان م١، ٢جـ١ ص ٥٠.
ورواه الإمام أحمد في المسند جـ٣ ص ١٠، ٢٠، ٤٩.
ورواه الترمذي في سننه. أبواب الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب جـ٣ ص ٣١٧، ٣١٨ حديث رقم ٢٢٦٣.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب اللباس والزينة. باب في طرح خاتم الذهب م ٥، ٦ جـ٦ ص ١٤٩.

(٣) سورة الإسراء جزء من الآية [٨١].

(٤) صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب. باب هل نكسر الدنان التي فيها خمر =

٦- وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت اتخذت على سهوة[١] لها ستراً فيه تماثيل فهتكه النبي ﷺ . فاتخذت منه نمرقتين[٢] فكانتا في البيت يجلس عليهما[٣] .

٧- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إياكم والجلوس في الطرقات. فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدٌّ نتحدث فيها. فقال رسول الله ﷺ : فإذا أبيتم إلا الجلوس إذاً فأعطوا الطريق حقه. قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٤] .

= أو تخرق الزقاق. جـ٢ ص ٢٠١ حديث رقم ٢٤٧٨.

ومسلم.كتاب الجهاد والسير. باب إزالة الأصنام حول الكعبة م ٥.٦جـ٥ ص ١٧٣.

مسند أحمد جـ١ ص ٣٧٧.

سنن الترمذي. أبواب تفسير القرآن جـ٤ ص ٣٦٥ حديث ٥١٤٦.

(١) السهوة: الطاق، أو الخزانة، أو الرف.

(٢) نمرقتين: أي وسادتين.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المظالم والغصب. باب هل تكسر الدنان التي فيها خمر أو تخرق الزقاق. جـ٢ ص ٢٠٢ حديث ٢٤٧٩.

(٤) المرجع السابق الكتاب والجزء. باب أفنية الدور والجلوس على الصعدات جـ٢ ص ١٩٦ حديث ٢٤٦٥.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الاستئذان. باب قول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا ﴾ الآية. م٧.٨ جـ٧ ص ١٢٦. وفي كتاب اللباس والزينة. باب النهي عن الجلوس في الطرقات نفس الجزء السابق ص ١٦٥. والإمام أحمد في المسند جـ٣ ص ٣٦. وأبو داود في سننه. كتاب الآداب. باب الجلوس في الطرقات جـ٤ ص ٢٥٦ حديث ٤٨١٥.

٨- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم[1] ».

٩- وفي مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن جابر رضي الله عنه في حديث بيعة العقبة... فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا يا رسول الله: علام نبايعك؟ فقال: بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم»[2] الحديث.

١٠- وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أن حضره شيء، فتوضأ وما كلم أحداً قالت: ثم خرج. فلصقت في الحجرات أسمع ما يقول فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: يا أيها الناس إن الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم»[3] .

١١- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر[4] » الحديث.

---

(١) رواه الترمذي في سننه . أبواب الفتن. باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ٣ ص ٣١٧ حديث ٢٢٥٩.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٣ ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٦ ص ١٥٩.

(٤) المرجع السابق جـ١ ص ٣٨٩، ٤٣٦.

١٢- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[1] .

فهذه النصوص وأمثالها هي مدار الخلاف بين العلماء في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وخلاصة أقوالهم تنحصر فيما يأتي:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الشركة. باب هل يُقرع في القسمة، والاستهام فيه جـ٢ ص ٢٠٥، ٢٠٦ حديث ٢٤٩٣.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١- إن الأمر بالمعروف والنهـــي عن المنكـر فــرض عـــين.

٢- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر فـــــرض كفاية.

٣- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة.

٤- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سنة.

٥- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حكمه حكم ذلك المنكر..

أقوال العلماء في ذلك:

أولاً: إن الأمر بالمعروف فرض عين:

أي أنه يجب على كل واحد من المسلمين أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يعذر أحد بتركه.

١- قول الزَّجَّاج:

يقول في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ ومعنى ولتكن منكم أمة ـ والله أعلم ـ ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، وتأمروا بالمعروف ولكن «من» تدخل هنا لتحض المخاطبين من سائر الأجناس وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين. ومثل هذا من كتاب الله ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ ليس يأمرهم باجتناب بعض الأوثان ولكن المعنى: اجتنبوا الأوثان فإنها رجس..والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله جل وعلا: ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ ثم قال بعد ذلك: ويجوز أن تكون أمرت منهم فرقة لأن

قوله: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾ ذكر الدعاة إلى الإيمان، والدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه الناس. وليس الخلق كلهم علماء. والعلم ينوب فيه بعض الناس عن بعض وكذلك الجهاد[1] .

وقال أبو حيان[2]: ..وذهب الزجاج إلى أن من لبيان الجنس وأتى على زعمه نظائر من القرآن وكلام العرب ـ ويكون متعلق الأمر جميع الأمة ـ يدعون جميع العالم إلى الخير، الكفار إلى الإسلام والعصاة إلى الطاعة ـ وظاهر هذا الأمر الفرضية ـ[3] .

٢- وتقدم قول السهارنفوري في كلامه حول حديث الرسول ﷺ «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» الحديث. وهذا قول رسول الله ﷺ يدل صريحاً على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب قطعاً[4] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه. أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج جـ١ ص ٤٦٢، ٤٦٣ ط ١٩٧٢ تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي المكتبة العصرية. بيروت.

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي. نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرؤه ومؤرخه وأديبه. ولد بمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة سنة ٦٥٤. وكان يعظم شيخ الإسلام ابن تيمية ثم وقع بينهما خلاف في مسألة نحوية غضب بعدها على شيخ الإسلام. وله مؤلفات كثيرة منها البحر المحيط، إتحاف الأريب لما في القرآن من الغريب، التذليل والتكميل في شرح التسهيل. مات بالقاهرة سنة ٧٤٥. طبقات المفسرين للحفاظ الداوودي تحقيق علي محمد عمر. الناشر مكتبة وهبة ط١/ ١٣٩٢ هـ جـ ٢ ص ٢٨٦ إلى ٢٩١.

(٣)- تفسير البحر المحيط. أبو حيان التوحيدي جـ٣ ص ٢٠. الناشر مكتبة النصر الحديثة ـ الرياض.

(٤)- انظر صفحة « ٦٥» من هذا البحث.

٣- قول التلمساني[1] :

أما حكمه ففرض متأكد وواجب متعين ـ فلا أحد من المخاطبين إلا وقد تعين عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو في نفسه وأهله وعياله.

ثم يقول: وكذلك فيما حضر أحد مواقعة أحد المنكرات أو علمه فأمكنه القيام مع وجود الشروط وانتفاء الموانع وجب عليه ذلك.

ثم يقول أيضاً: فلا يسقط حرج من رأى منكراً أو علمه إلا القيام بتغييره على الفورية، بحيث لا يمر عليه زمن تفريط.

ثم يقول: وإذا كان ذلك واجباً على كل من علمه بحسب وسعه فهو على الأئمة والولاة والقضاة وسائر الحكام أوجب وآكد؛ لأنهم متمكنون من التغيير بعلو اليد وامتثال الأمر ووجوب الطاعة وامتثال الولاية»[2] .

٤- ويقول الشهيد عبد القادر عودة ـ رحمه الله ـ :

إن وضع واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عاتق الجاهل لن يؤدي إلى الأضرار التي يتوقعونها لأن الجاهل بطبيعة الحال لا يأمر ولا

---

(١) محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقياني. فقيه من أهل تلمسان ولي فيها قضاء الجماعة. له حفظ الشعائر، وتغيير المناكر.

انظر الأعلام للزركلي.

(٢) تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر لأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن قاسم العقياني التلمساني «متوفى ٨٧١هـ ص ٤ طبعة المعهد الفرنسي بداماس ١٩٦٧ م تحقيق علي الشوفي.

ينهى إلا ما هو ظاهر لا خلاف عليه كأداء الصلاة والنهي عن السرقة والزنا...»[1] .

٥- رأي أحمد الدمشقي الشهير بابن النحاس[2] ـ رحمه الله ـ

بعد أن نقل بعض الأحاديث: وفي هذه الأحاديث دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الجهاد المفترض على المسلمين وأنه في الأئمة الجائرين والأمراء والظالمين أفضل أنواعه[3] .

٦- رأي محمد عبده:

يقول في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ الآية. المفروض الذي ينبغي أن يحمل عليه خطاب التنزيل هو أن المسلم لا يجهل ما يجب عليه وهو مأمور بالعلم والتفرقة بين المعروف والمنكر على أن المعروف عند إطلاقه يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة، والمنكر ضده وهو ما أنكرته العقول والطباع السليمة ولا يلزم لمعرفة هذا قراءة حاشية ابن

---

(١) التشريع الجنائي جـ١ ص ٤٩٥.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن محمد أبو زكريا المعروف بابن النحاس: فرضي فاضل مجاهد من فقهاء الشافعية ولد في دمشق ورحل أيام تيمور لنك إلى مصر سكن (المنزلة) ولازم المرابطة والجهاد بثغر (دمياط). وله مؤلفات كثيرة منها المغنم في الورد الأعظم، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، وتحذير السالكين من أفعال الهالكين.. قتل شهيداً في معركة الفرنج مقبلاً غير مدبر سنة ٨١٤هـ. الأعلام ٨٧/١.

(٣) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذيرالسالكين من أفعال الهالكين ابن النحاس المتوفى (٨١٤هـ) ص ١٣.

عابدين على الدر ولا فتح القدير ولا المبسوط. وإنما المرشد إليه ـ مع سلامة الفطرة ـ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المنقولة بالتواتر والعمل، وهو ما لا يسع أحداً جهله ولا يكون المسلم مسلماً إلا به. فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلاً لا يعرف الخير من الشر ولا يميز بين المعروف والمنكر وهو لا يجوز ديناً[1] .

مناقشة هذا الرأي:

إذا كان قصدهم من الفرضية أن على كل مسلم أن يلاحق المنكرات وأن يهب لإنكارها وأنه إذا لم يشارك في منكر إنكار ما فهو آثم فهذا القول مردود لأن هذا الأمر متعذر.

وأما إذا كان قصدهم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعلق بكل مسلم على حسب طاقته وعلمه واستطاعته. فإذا قابله منكر «ما» فيلزمه الإنكار على حسب استطاعته ولا يترك هذا المنكر للجهات المعنية، وإن تركه فإنه آثم. فهو قول حسن.

لأنه يجب على الأمة إنكار المنكرات كلٌ على حسب طاقته وليس للجاهل أن ينكر على أمور فيها خلاف، أو تحتاج إلى اجتهاد لئلا يفضي ذلك إلى منكر أكبر منه. وإنما عليه أن ينكر في الأمور المعروف حكمها عند كل أحد ولا يعذر مسلم بجهلها مثل ترك الصلاة وشرب الخمر ونحو ذلك.

والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ـ محمد عبده ـ جـ٢ ص ٢٧.
وانظر إلى تفسير المنار. محمد رشيد رضا جـ٤ ص ٢٦ إلى ٢٨.

ثانياً- القول بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية:

١- قول القرطبي:

يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ .. « ومن » في قوله « منكم » للتبعيض ـ ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء ـ وليس كل الناس علماء. وقيل لبيان الجنس والمعنى لتكونوا كلكم كذلك.

قلت القول الأول أصح، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية[١] .

٢- وقال ابن كثير[٢] ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم ﴾ الآية. يقول تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ثم قال: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»[٣] .

ويفهم من ذلك أن ابن كثير ـ رحمه الله ـ يرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية.

---

(١) الجامع لاحكام القرآن. القرطبي. م٢ جـ٤ ص١٦٥.

(٢) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الأصل الدمشقي الشافعي. ولد ببصرى سنة ٧٠١ هـ برع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل ومن مشايخه شيخ الإسلام ابن تيمية ولازمه وأحبه حباً عظيماً. وله تصانيف مفيدة منها: التفسير المشهور، التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، والبداية والنهاية توفي سنة ٧٧٤هـ

انظر البدر الطالع. الشوكاني ١٥٣/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ١ ص ٣٩٠. دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ.

٣- قول أبي بكر بن العربي[١] ـ رحمه الله ـ :

يقول في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ الآية: دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ـ وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة الدين بإقامة الحجة على المخالفين. وقد يكون فرض عين إذا عرف المرء من نفسه صلاحية النظر بالجدال أو عرف ذلك منه»[٢] .

٤- قول أبي بكر الجصاص:

يقول في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾ الآية. قد حوت هذه الآية معنيين: أحدهما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآخر أنه فرض على الكفاية ليس على كل أحد في نفسه إذا قام به غيره؛ لقوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ وحقيقته تقتضي البعض دون البعض، فدل على أنه فرض كفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين ومن الناس من يقول: هو فرض على كل أحد في نفسه. ويجعل مخرج الكلام مخرج الخصوص في قوله: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ مجازاً كقوله تعالى: ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ ومعناه ذنوبكم. والذي يدل على صحة هذا القول[٣] أنه إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين كالجهاد، وغسل الموتى

---

(١) هو الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأشبيلي ولد سنة ٤٦٨هـ. كان متبحراً في العلم ثاقب الذهن عذب العبارة موطأ الأكناف كريم الشمائل ولي قضاء إشبيلية فحمد وأجاد السياسة وكان ذا شدة وسطوة ثم عزل وأقبل على التصنيف، صنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والتواريخ.. انظر إلى تذكرة الحفاظ م ٢ جـ ٤ ص ١٢٩٤.

(٢) أحكام القرآن ـ أبو بكر بن العربي ـ جـ١ ص ٢٩٢ طبعة دار المعرفة بيروت.

(٣) يقصد القول الأول وهو أنه فرض كفاية.

وتكفينهم والصلاة عليهم ودفنهم. ولولا أنه فرض على الكفاية لما سقط عن الآخرين بقيام بعضهم به(١) .

٥- قول الزمخشري(٢) :

يقول في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ مِنْ للتبعيض؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات؛ ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً.. وقيل «من» للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون ﴾ (٣) .

---

(١) أحكام القرآن. أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي. توفي سنة ٣٧٠ جـ٢ ص ٣٥. المطبعة البهية المصرية بميدان جامع الأزهر بمصر سنة ١٣٤٧هـ.

(٢) محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري صاحب الكشاف في التفسير، والمفصل في النحو، سمع الحديث وطاف في البلاد وجاور بمكة مدة وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره ويناظر عليه. وكان مولعاً بالعربية مشغوفاً بدراستها منقطعاً لروايتها وخدمة علومها. توفي ليلة عرفة عن ست وسبعين سنة. البداية والنهاية م ٦ جـ١٢ ص ٢١٩ وانظر إلى ترجمته في تفسيره جـ١ ص ٥.

(٣) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري م ١، ٢ جـ١ ص ١٩١.

٦- قول الفخر الرازي:

يقول في الآية مسألتان:

المسألة الأولى في قوله «منكم» قولان: أحدهما أن «من» هنا ليست للتبعيض لدليلين:

الأول: أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .

والثاني: هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه. ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس.

إذا ثبت هذا فنقول معنى هذه الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. وأما كلمة «من» فهي هنا للتبيين لا للتبعيض. كقوله تعالى: ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ كذا هنا. ثم قالوا إن ذلك وإن كان واجباً على الكل إلا أنه متى قام به قوم سقط التكليف عن الباقين. ونظيره قوله تعالى: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ فالأمر عام ثم إذا قامت به طائفة وقعت الكفاية وزال التكليف عن الباقين.

والقول الثاني: أن «من» هنا للتبعيض والقائلون بهذا اختلفوا أيضاً على قولين:

أحدهما: أن فائدة «من» هي أنه في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل النساء والمرضى والعاجزين.

والثاني: أن هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان:

الأول: أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل ربما دعا إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر. وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلاظة وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء ولا شك أنهم بعض الأمة.

والثاني: أنّا أجمعنا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية بمعنى أنه متى قام به البعض سقط عن الباقين وإذا كان كذلك كان المعنى ليقيم بذلك بعضكم فكان في الحقيقة هذا إيجاباً على البعض لا على الكل. والله أعلم[1] .

٧- قول ابن قدامة[2] ـ رحمه الله ـ :

يقول في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ : في هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين؛ لأنه قال «ولتكن منكم» ولم يقل: كونوا

(١) التفسير الكبير. الفخر الرازي جـ٤ ص ١٨٢.

(٢) عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ولد في جماعيل من قرى نابلس بفلسطين سنة ٥٤١هـ وتعلم في دمشق ورحل إلى بغداد وهو فقيه من أكابر الحنابلة له تصانيف منها المغني، روضة الناظر، المقنع، والعمدة. وكتب أخرى كثيرة. توفي سنة ٦٢٠ هـ. الأعلام ٦٧/٤.

كلكم آمرين بالمعروف، فإذا قام به من يكفي سقط عن الباقين واختص الفلاح بالقائمين المباشرين له»[1] .

٨- قول الغزالي[2] :

يقول الغزالي في قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ الآية. ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله «ولتكن» أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين؛ إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال: ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ فإذا قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين. وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة[3] .

٩- قول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ

.. والله تعالى كما أخبر بأنه (أي الأمة) تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ـ فقد أوجب ذلك على الكفاية منها بقوله ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [4] .

(١) مختصر منهاج القاصدين. لابن قدامة ص ١٢٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد فيلسوف متصوف ولد سنة ٤٥٠ في الطابران بخراسان. ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر وعاد إلى بلدته وله نحو من مئتي مصنف. ومن كتبه إحياء علوم الدين، والبسيط، ومنهاج العابدين... توفي سنة ٥٠٥هـ الأعلام ٢٢/٧.

(٣) إحياء علوم الدين. الغزالي جـ٧ ص ٥.

(٤) مجموع الفتاوى. ابن تيمية جـ٢٨ ص ١٢٥ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ .

ويقول في موضع آخر.. وهذا واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره[1] .

١٠- قول الإمام النووي[2] ـ رحمه الله ـ :

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف. ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو ـ أو لا يتمكن من إزالته إلا هو ـ كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف[3] .

١١- قول ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

قال عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو يشرح حديث «على كل مسلم صدقة»[4] وهو ـ أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ من فروض الكفايات[5] .

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥، ٦٦.

(٢) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي ولد في نوى سنة ٦٣١هـ. وهو علامة بالفقه والحديث تعلم في دمشق وأقام بها زمناً طويلاً. وله مؤلفات كثيرة منها منهاج الطالبين، والرقائق، شرح صحيح مسلم، الأذكار، رياض الصالحين.. توفي في نوى سنة ٦٧٦هـ. الأعلام ١٤٩/٨.

(٣) شرح النووي على الجامع الصحيح للإمام مسلم م ١ جـ٢ ص ٢٣ ط دار الفكر بيروت.

(٤) سيأتي تخريجه صفحة « ١١٨ » من هذا المبحث.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٣ ص ٣٠٩ .

خلاصة أقوالهم:

١- إن الأمر بالمعروف فرض كفاية كما هو قول عامة أهل العلم.

٢- إن الأمر بالمعروف واجب على كل مسلم بحسبه كما قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ

٣-إن الأمر بالمعروف فرض عين إذا عرف الإنسان من نفسه صلاحية النظر بالجدال، أو عرف منه ذلك كما قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ.

٤- أنه مقيس على الجهاد وغسل الموتى وتكفينهم والصلاة عليهم.. كما قال الجصاص.

ولكن الباحث نخالف هذا القياس حيث إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختلف عن الجهاد وإن كان يتفق معه في بعض الوجوه[1] ومن أهم الأمور التي يختلف معه. أن الجهاد يحتاج إلى قدرة وقيادة معينة، والأمر بالمعروف لا يحتاج إلى ذلك باعتبار أن المنكرات كثيرة ومتنوعة فمجرد مشاهدة المنكر فإنه يلزمه إنكاره.

٥- أن تعليلهم بالكفاية قولهم: أننا لو كلفنا كل الأمة فقد يحصل من الجاهل أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف أو يغلظ في وقت اللين ويلين في وقت الغلظة... كما قال الزمخشري والفخر الرازي وغيرهم.

لكننا نقول إذا طلبنا ذلك من كل الأمة فإننا نطلب من كل واحد بحسبه حيث أن الجاهل لا يطالب إلا بتغيير المنكرات المتفق عليها كترك الصلاة وشرب الخمر...

---

(١) انظر صفحة « ٦١، ٦٢» من هذا البحث.

٦- إنه يكون فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ

هذه خلاصة القائلين بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية.

وإذا تأملنا في هذه الأقوال وجدنا أنها لا تخرج عن أمرين تقريباً:

الأول: أنه إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عزيز الجانب فالمعروف موجود والمنكر ذليل ومفقود، حيث أن معظم الأمة مؤدية هذا الجانب ومحققة له. فإنه لا إثم على الآخرين بل يسقط عن الباقين.

الثاني: أنه إذا لم يكن سوى هذا الشخص للقيام بهذا الأمر أو أن المنكر ظاهر ومعلوم كونه منكراً وهو قادر على إزالته فإنه يجب عليه إزالته ولا ينتظر غيره يقوم مقامه. فيكون هذا القول قريباً ـ بالجملة ـ مع الذين يقولون: إنه فرض عين. ومقصودهم في ذلك اشتراك كل الأمة في إزالة المنكرات وعدم عذر أحد منهم عند استطاعته وكل بحسبه. والله أعلم.

ثالثاً ـ القول بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «حسب الاستطاعة»:

١- رأي الإمام أحمد بن حنبل[1] ـ رحمه الله ـ

---

(١) هو شيخ الأمة، وعالم أهل العصر ـ أبو عبد الله ـ إمام الحفاظ أحمد بن محمد ابن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي تجاوز ٧٧ سنة بأيام، كان إماماً في الحديث وضروبه، والفقه وأصوله ودقائقه، إمام ورع زاهد، رحالة في طلب العلم، صاحب المذهب الفقهي الحنبلي، له مؤلفات عديدة منها كتاب السنة، والمسند . مات سنة ٢٤١هـ. انظر شذرات الذهب ٩٦/٢ وما بعدها.

قال الخلال[1]: أخبرني محمد بن أبي هارون أن إسحاق بن إبراهيم حدثهم أنه قال لأبي عبد الله: متى يجب عليَّ الأمر؟ قال: إذا لم تخف سيفه ولا عصاه[2].

وقال: أخبرنا حرب بن إسماعيل قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم حدثهم أن أبا عبد الله سئل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب؟ قال: نعم قال: فإذا خشي؟ قال هو واجب عليه حتى يخاف فإذا خشي على نفسه فلا يفعل[3].

وقال: أخبرني محمد بن هارون، أن إسحاق بن إبراهيم حدثهم أنه سأل أبا عبد الله قال: قلت: رجل تكلم بكلام سوء يجب علي فيه أن أغيره في ذلك الوقت فلا أقدر على تغييره. وليس لي أعوان يعينونني عليه. قال: إذا علم الله من قلبك أنك منكر لذلك فأرجو ألا يكون عليك شيء[4].

ويتضح مما تقدم أن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الاستطاعة.

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المشهور بالخلال وهو فقيه محدث عالم بالتفسير واللغة، وله مؤلفات كثيرة منها علم أحمد بن حنبل. وجمعه ورتبه، كتاب السنة، كتاب العلل، كتاب الجامع. توفي سنة ٣١١هـ. وله من العمر سبع وسبعون سنة وقيل نيف على الثمانين تذكرة الحفاظ ٣/٧٨٥، الأعلام ١/٢٠٦.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأبي بكر أحمد الخلال. دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الكتب العلمية. بيروت ص ٣٦، ٣٧.

(٣) المرجع السابق ص ٣٨.

(٤) المرجع السابق ص ٤٠.

ولمزيد من التفصيل في ذلك انظر الصفحات ٣٩، ٤٠، ٤١ من المرجع نفسه.

٢- رأي ابن حزم الظاهري ـ رحمه الله ـ

يقول ـ رحمه الله ـ : والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على كل أحد على قدر طاقته. باليد فمن لم يقدر فبلسانه فمن لم يقدر فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ليس وراء ذلك من الإيمان شيء»[١] .

٣- قال القرطبي ـ رحمه الله ـ أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك. وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك. قال: والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً ولكنها مقيدة بالاستطاعة. قال الحسن: إنما يكلم مؤمن يرجى أو جاهل يعلم. فأما من وضع سيفه أو سوطه. فقال: اتقني اتقني فما لك وله. وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع تغييره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره[٢] .

٤- رأي ابن القيم ـ رحمه الله ـ : يقول ـ رحمه الله ـ : وهو واجب على كل مسلم قادر وهو فرض كفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره من ذوي الكفايات والسلطان، فعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم فإن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على القادر ما لا يجب

---

(١) المحلى. ابن حزم جـ١ ، ٢ جـ١ ص ٢٦. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٣، ٤ جـ٤ ص ٤٨.

على العاجز»[1] .

مناقشة هذا الرأي:

إذا نظرنا إلى هذا الرأي نجد أنه قريب من الذين يقولون إنه فرض عين؛ لأن الذين يقولون إنه فرض عين لا يلزمون ولا يلحقون الإثم بالمسلم عند عدم استطاعته، وعدم الاستطاعة يعفى معها أمور كثيرة.

بل مبدأ الاستطاعة قاعدة شرعية مسلمة في الإسلام للنصوص الواردة فيها كقوله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [2] . وقوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [3] .وغير ذلك من النصوص.

رابعاً: الذين يفصلون في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أصحاب هذا الرأي يقولون: إن الحكم يدور مع حكم ذلك المنكر فإن كان في ترك واجب وفعل محرم فالإنكار واجب وإن كان في ترك مندوب وفعل مكروه فمندوب.

١- قول ابن الأخوة[4] :

والإنكار في ترك الواجب وفعل الحرام واجب، وفي ترك المندوب وفعل

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ابن القيم الجوزية ص ٢٤٦. تقديم وتحقيق د. محمد جميل غازي، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع. جدة.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية [٢٨٦].

(٣) سورة التغابن جزء من الآية [١٦].

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة القرشي، ضياء الدين المحدث. ولد سنة ٦٤٨هـ، ومات سنة ٧٢٩. له معالم القربة في أحكام الحسبة مطبوع.
انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٨٥ - ٢٨٦ الأعلام ٧/ ٢٦٣.

المكروه مندوب[1] .

٢- قول الألوسي:

الأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر كذلك - إن قلنا إن المكروه منكر شرعاً وأما إن فسر بما يستحق العقاب عليه. كما أن المعروف ما يستحق الثواب عليه فلا يكون إلا واجباً وبه قال بعضهم[2] .

٣- قول ابن مفلح[3] :

والإنكار في ترك الواجب وفعل الحرام واجب وفي ترك المندوب وفعل المكروه مندوب ذكره الأصحاب وغيرهم[4] .

---

(١) معالم القربة في أحكام الحسبة. ابن الأخوة ص ٧٢.

(٢) روح المعاني الألوسي م٣، ٤ جـ٤ ص ٢٤، ٢٣.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج بن عبد الله المقدسي، القاضي برهان الدين أبو إسحاق بن الشيخ أكمل الدين بن الشرف أبي محمد العلامة صاحب الفروع في المذهب، الشمس المقدسي الراميني الأصل من نابلس من فلسطين الحنبلي يعرف بابن مفلح ولد سنة ٨١٥هـ له الآداب الشرعية والمنح المرعية مات ٨٨٤هـ.

انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ١٥٢/١ د معجم المؤلفين ١٠٠/١.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية. ابن مفلح جـ١ ص ١٩٤. وانظر إلى ما نقله السهارنفوري عن القاري: ثم اعلم أنه إذا كان المنكر حراماً وجب الزجر عنه وإذا كان مكروهاً ندب والأمر بالمعروف تبع لما يؤمر به فإن كان واجب فواجب وإن ندب فمندوب[1] .

---

(١) بذل المجهود في حل أبي داود خليل السهارنفوري جـ١٧ ص ٢٦٥.

مناقشة هذا الرأي:

أصحاب هذا القول يجعلون الإنكار في ترك المندوب وفعل المكروه فمندوباً. ولكننا إذا تساهلنا في ذلك ولم نأمر بفعل السنة وترك المكروه فإن هذا الأمر يؤدي إلى ترك السنن التي أمر بها المصطفى ﷺ وفعل المكروه الذي نهى عنه ﷺ لذا فإنني أرى وجوب الأمر بالمندوب والنهي عن المنكر. ولكن العقوبة هي التي تختلف فيُكتفى بالزجر ونحوه. والله أعلم.

خامساً ـ الذي يرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سنة:

قال الخلال: أنبأنا محمد بن مسعود الأنطاكي قال : حدثنا سهل بن صالح حدثنا أبو داود الطيالسي عن عبد الواحد بن زيد قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، أرأيت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفريضة هو؟ قال: لا يا بني، كان فريضة على بني إسرائيل، فرحم الله هذه الأمة وضعفهم فجعله عليهم نافلة»[1] .

وهذا القول لا يخفى ضعفه للأمور التالية:

١- لمخالفته للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة والتي تأمر المسلمين بالقيام به وتحذرهم من عقوبة تركه. ولو كان نافلة لم يرتب عليه الشارع الوعيد الشديد.

٢- أن هذا القول مخالف لإجماع الأمة وسلفها في قولهم إن الأمر بالمعروف واجب.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأبي بكر الخلال ص ٣٨.

٣- أن هذا القول يؤدي إلى انتشار الفساد والمنكرات وهذا يحرمه الدين الإسلامي.

٤- لعلّ مراد الحسن بقوله نافلة أي ليس بفرض عين ولكن على الكفاية. والله أعلم.

رأي الباحث في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قد تقدم آراء القائلين بحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناقشة هذا الآراء فلا داعي لإعادة ذلك مرة أخرى والذي أراه في هذه المسألة ـ والعلم عند الله ـ أن الأمر يحتاج إلى تفصيل من حيث المنكر «تغيير المنكر» وهو لا يخرج عن حالين:

الأولى: أن يكون مكلفاً من قبل الإمام أو نائبه فهذا لا يعذر بترك المنكر باتفاق العلماء عند القدرة على إنكاره. بل يجب عليه ملاحقة المنكر ويأثم بتركه للإنكار.

الثانية: أن يكون متطوعاً وهذا لا يخرج عن حالين:

١- أن يكون عالماً قادراً مجتهداً فهذا لا يعذر بترك النهي عن المنكرات بل يجب عليه الإنكار ويأثم عند تركه إنكار المنكر.

٢- أن يكون جاهلاً ضعيفاً. فهذا لا يجب عليه الإنكار إلا ما كان في مقدوره، وظاهر الحكم ـ أي بين كونه منكراً ـ كترك الصلاة وشرب الخمر ونحو ذلك. وأما ما عدا ذلك من المنكرات التي فيها خلاف أو تحتاج إلى اجتهاد فهذه ليس عليه إنكارها بل يجب عليه تركها لئلا يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر من ذلك.

ـ وخلاصة القول: أنه يجب على كل مسلم أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل على حسبه وعلمه وطاقته.

فلا نقول إنه فرض عين على كل أحد بمعنى أن المنكر إذا وجد وجب على كل الناس أن يهبوا لإنكاره وإذا لم ينكروا أثموا فهذا أمر متعذر.

ولا نقول إنه فرض كفاية إذا قام به طائفة سقط عن الباقين أو إذا قام به طائفة لم يلزم غيرهم القيام به.

وأقول: إنه يتعذر أن تكون هذه الطائفة قادرة على إنكار جميع المنكرات. فالمنكرات التي يشاهدها عامة الناس قد تكون أكثر من المنكرات التي تشاهدها تلك الطائفة المخصصة لإنكار المنكرات.

فلا بد من مشاركة جميع المسلمين في إنكار المنكرات، وكل على حسب علمه وطاقته وجهته.

حيث إن أمكنة وجود المنكرات كثيرة فقد توجد المنكرات في الأسواق والبيوت.

* * *

المبحث الثالث

(والرابع)

قاعدة الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومتى يجوز تركه

يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يعرف قاعدة الشرع في ذلك حتى يقدم عليه أو يحجم عنه.

فمعرفة القاعدة العامة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الأمور ومن أعظم الواجبات التي تعبَّدنا الله ـ سبحَانه وتعالى ـ بفعلها حيث أنه لا بد عند الأمر والنهي أن تكون المصلحة راجحة، إذ بهذا بعث الرسلَ وأنزلت الكتب وكل ما أمر الله به فهو صلاح أو فيه مصلحة، وكل ما نهى عنه الله فهو فساد أو فيه مفسدة.

وكل ما أمر به الرسول ﷺ فهو صلاح أو فيه مصلحة وكل ما نهى عنه الرسول ﷺ فهو فساد أو فيه مفسدة فحيث كانت مصلحة الأمر والنهي أعظم من مفسدته فهو مما أمر الله به، وحيث كانت مفسدة الأمر أو النهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الشارع به،

إذ الشارع جاء بجلب المصالح وتحصيلها ودفع المفاسد وتقليلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ :

«وجماع ذلك[1] داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح

---

(١) الأمر والنهي.

والمفاسد والحسنات والسيئات فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا تزاحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد. فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام:

وعلى هذا إذا كان الشخص والطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعاً أو يتركوهما جميعاً لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر، بل ينظر فإن كان المعروف أكثر أُمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته، وطاعة رسوله ﷺ وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب نهى عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر وسعياً في معصية الله ورسوله ﷺ .

وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما، فتارة يصلح الأمر وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها، وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها، ويذم مذمومها بحيث

لا يتضمن الأمر بالمعروف فوات معروف أكبر منه أو حصول منكر فوقه. ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه، وإذا اشتبهه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية وإذا تركها كان عاصياً. فترك الواجب معصية وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية..)[1] .

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يعرف متى يصلح الأمر فيأمر والنهي فينهى.. ولا يكن همه إزالة المنكر فقط صارفاً النظر عن الأمور التي تحدث بعد ذلك. فقد يحصل من المفاسد أكثر من زوال ذلك المنكر.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

فإنكار المنكر له أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة..)[2] .

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن تيمية. ص ٤١، ٤٢. وانظر إلى الفتاوى لابن تيمية جـ٢٨ ص ١٢٦، ١٣٠.

(٢) أعلام الموقعين. ابن القيم جـ٣ ص ٤. دار الجيل. بيروت ١٩٧٣.

فالمقصود من الأمر والنهي حصول المصلحة فذلك مقصود الشارع فإن وجدت المصلحة أو كانت هي الغالبة تعين الأمر والنهي.

يقول الشاطبي ـ رحمه اللّه ـ : فالمصلحة إذا كانت هي الغالبة عند مناظرتها مع المفسدة في حكم الاعتبار فهي المقصودة شرعاً. ولتحصيلها وقع الطلب على العباد ليجري قانونها على أقوم طريق وأهدى سبيل، وليكون حصولها أتم وأقرب وأولى بنيل المقصود، فإن تبعها مفسدة أو مشقة فليست بمقصودة في شرعية ذلك الفعل وطلبه، وكذلك المفسدة إذا كانت هي الغالبة فرفعها هو المقصود شرعاً ولأجله وقع النهي ليكون رفعها على أتم وجوه الإمكان حسبما يشهد له كل عقل سليم[1] .

فمعرفة هذا الباب أمر ضروري للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. وخاصة حينما تتداخل المصالح والمفاسد.

فأكثر الناس يميزون المصلحة الصريحة التي لا تشوبها شائبة ولا مفسدة ولا يخالطها ضرر. وأكثر الناس يملكون تمييز المفسدة المحضة الصريحة التي لا تشوبها مصلحة ولا يختلط بها شيء من النفع، ولكن المهم الذي يجب معرفته وهو الذي يختلط على كثير من الناس ويتعذر بل يتعسر عليهم الراجح منها، وذلك حين تتداخل المصالح والمفاسد وفعل ما يقتضيه الشرع. وكلما زاد التداخل وتقارب المقدار زادت صعوبة التمييز بينهما وفعل الراجح منها. فالفقه في هذه المسألة عظيم جداً.

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي جـ٢ ص ٢٦ . ٢٧ باختصار ولمزيد من التفصيل انظر من ص ٢٧-٤٨ من المرجع نفسه.
دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

يقول ابن تيمية :

«فقوم ينظرون إلى الحسنات فيرجحون تحصيلها وإن تضمنت سيئات عظيمة، وقوم ينظرون إلى السيئات فيرجحون تركها وإن تضمنت ترك حسنات عظيمة، والمتوسطون من يقارنون بين مقدار المصلحة ومقدار المفسدة فينفذون ما غلب خيره ـ وإن تضمن شراً ـ ويدعون ما غلب شره ـ وإن تضمن تفويت خير قليل ـ وإذا التبس الأمر عليهم وقفوا حتى يستبين، دون أن يلوموا غيرهم في هذه المواطن الاجتهادية التي تختلف فيها أنظار النظار[1].

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يفطن إلى المصلحة الراجحة لأنها مراد الشرع، وليحذر عند الترجيح والاختيار وتقدير المصالح والمفاسد من أن يزن الأمور بموازين خاصة أو عاطفية، وإنما يجب عليه أن يزن ذلك بميزان الشريعة وينظر إلى المصلحة الراجحة.

قال د. محمد سعيد البوطي.. إنما الغاية التي شرع من أجلها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إشاعة الحق في المجتمع وإزالة الباطل عنه بقدر الإمكان، وذلك عن طريق النصيحة لدين الله عز وجل وإنما يتم ذلك ضمن جو من الصفاء النفسي بعيداً عن الأغراض والأهواء والضغائن وبأسلوب موضوعي يستهدف مخاطبة الفكر والعقل ولا يتجه إلى جرح الشعور والنفس، وفي وقت لا يخشى فيه من الفضيحة والتشهير. ففي هذه الحالة وحدها يشرع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعامة المسلمين. أما في الحالات المخالفة الأخرى فإن التلبس بذلك لا يعدو أن يكون فتحاً لذريعة الشر في أي شكل من أشكاله وهو ما لا يرضاه الله سبحانه

---

(١) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٢٠ ص ٥٨ بتصرف بسيط وانظر أيضاً إلى ص ٥٠ , ٥٧.

وتعالى. ومن أجل ذلك كانت ضرورة النظر في آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد من ضرورة اقتحام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيفما كان السبيل بل كثيراً ما يكون هذا الاقتحام في حقيقته عند الله تعالى أشد من المنكر الذي يراد إزالته.

إن الذي يفجؤه منكر في طريقه أو عند جاره، فينقض إلى إنكاره من غير النظر إلى جانب المصالح والمفاسد فيستثير بذلك صاحب المنكر إلى الانفعال في منكره أو إلى التمادي فيه، إنما يتولى كبره في الحقيقة ذاك الذي زعم أنه سعى إلى إنكاره. فيرتكب بسبب ذلك إثم المشاركة فيه بعد أن كان مرجواً له الثواب والأجر على إزالته، وأهم ما يجب على المسلم ملاحظته في هذا الصدد هو التفريق بين الغضب لله تعالى والغيرة لدينه، والغضب للنفس وحب الانتصار لها...[1].

فلا بد أن يلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بجانب النظر في المصلحة والمفسدة، وأهم من ذلك إخلاص النية لله تعالى فلا يشوب أمره ونهيه شائبة من إرادة النفس وحظوظها لأن الإنسان قد يكون مبدأ أمره الإخلاص، ثم لا يلبث أن يتحول إلى الانتصار للنفس. ثم كأن يأمر رجلاً بالصلاة فيشتم المأمورُ الآمرَ، فينتقم الآمر لنفسه لأنه سَبَّه لا لأنه ترك الصلاة، وعلى ذلك فقس.

وإذا أمعن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر النظر في أقوال العلماء المستوحاة من نصوص الشرع عرف متى يأمر ومتى ينهى ومتى يقدم ومتى يحجم. والله المستعان.

---

(١) من أسرار المنهج الرباني. د محمد سعيد البوطي. ص ٨٥، ٨٦.

أمثلة من الأخطاء الشائعة ـ اليوم ـ في موضوع المصلحة والمفسدة:

إن قاعدة المصلحة والمفسدة ـ رغم أهميتها ـ فإنه يجهلها كثير من الناس فيتركون أموراً مهمة فيها مصلحة كبرىٰ للدين لتصورهم أن هذا من الكمال والورع وهم في الواقع يفوتون أموراً عظيمة ولو فعلوها لحموا جانباً كبيراً من الدين.

ويكبر الأمر حينما يلومون غيرهم بفعل أمر أو ترك أمر لقوة بصيرته وضعف نظرهم. ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية:

أولاً: البعد عن الوظائف المهمة:

أ - التلفاز:

لا يختلف اثنان في أهمية هذه الوسيلة وقوة تأثيرها علىٰ الناس - علىٰ اختلاف أجناسهم ومستوياتهم: الصغير والكبير، والذكر والأنثىٰ - وكثرة انتشارها فلا يكاد بيت من بيوت المسلمين إلا وفيه جهاز بل أكثر من جهاز تلفاز. والبيت الذي ليس فيه تلفاز يجد صاحبه معاناة من أولاده وأقاربه وجيرانه.

والساعات التي يقضيها الناس أمام التلفاز خاصة الأطفال خلال الأسبوع كثيرة جداً[1]. فهم يجلسون أمام شاشة التلفاز أكثر من جلوسهم مع دروسهم.

---

(١) سوف نتحدث عن التلفاز بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من الباب الرابع إن شاء الله.

ولكن رغم أهمية هذه الوظيفة فقد غفل عنها بعض الدعاة والمصلحون والمربون خوفاً من أمور لاتستوجب تركها.

فكان من الأولىٰ والأصلح أن يشترك أمثال أولئك بهذه الوسيلة المهمة ويوجهون من خلالها ويصلحون ويربون.

فكم يفوت من المصالح العظيمة بسبب بعد بعض المربين والمصلحين.
فيجب أن يكـون لدىٰ أولئك بعد في النظرة فلا ينظرون إلىٰ الأمور الصغيرة ويتركون الأمور الكبيرة.

وكذلك الحال بالنسبة للإذاعة يجب ألا يغفل عنها المربون والمصلحون فيشـاركـون فيهـا مشاركة فعلية في كل مايتاح لهم من البرامج اليومية أو الإسبوعية لما لها من التأثير الكبير علىٰ المستمعين.

وكذلك الحال بالنسبة للجرائد والمجلات يجب أن يشارك فيها الدعاة والمصلحـون والمربون مشاركة فعلية لما لها من الدور الكبير في التأثير علىٰ الرأي العام لدىٰ العامة والخاصة.
فإلىٰ يومنا هذا نجد أن بعض أولئك يتحرزون من المشاركة في هذه الوسائل لأسباب لاتعادل المصالح الكبيرة التي تركوها من أجلها.

ولا شك أن أولئك لم يمعنوا النظر في قواعد الشرع العامة وإلا لشاركوا في هذه الوسائل بل لطالبوا في الاشتراك في معظم الفقرات المقدمة.

ثانياً: النوادي الرياضية:

لاشك أن معظم الشباب علىٰ اختلاف أسنانهم يحبون الرياضة ويميلون إليها ميلاً شديداً ويقدمونها علىٰ أمور كثيرة.

والنادي هو المكان الذي يجتمع فيه محبو الرياضة علىٰ اختلاف أسنانهم، ويقضون معظم أوقاتهم.

ومكان بهذا الشكل يجب أن يكون محطة لدعوة الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، بل يجب أن يكون محطة لكل من يريد الإصلاح.

ولكن رغم أهميتها فقد غفل عنها بعض المصلحين والمربين وكان من الأولىٰ أن يدخلوا تلك النوادي ويختلطون بالرياضيين ويوجهونهم لا سيما وأن المشرفين عليها يرحبون بذلك.

وما هو ضرر أولئك عند اشتراكهم في هذه الأندية بل وما يضيرهم إذا ساهموا في الأنشطة الثقافية المختلفة في تلك النوادي لاشك أن لذلك أثرًا إيجابيًا كبيرًا في نفوس الرياضيين. بل ربما كان سبباً في إزالة بعض التصورات لدىٰ بعض الرياضيين حيث إن بعضهم يتصور أن الإسلام والناس الصالحين ضد الرياضة جملة وتفصيلاً. وماعلموا أن الإسلام حث علىٰ الرياضة ومزاولتها.

ومانتج هذا المفهوم الخاطيء إلا بسبب بُعْد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والدعاة والصالحين عن تلك الأماكن. فكانت المصلحة الشرعية تقتضي أن يختلط المصلحون الفاهمو للإسلام حقيقة في تلك الأماكن ويشتركوا في تلك الأندية اشتراكاً مباشراً حتىٰ يكون لهم دور في الإصلاح والتوجيه ولا تترك هذه الأندية.

والمهم أن نعرف أن سبب ذلك كله عدم العلم في موضوع المصلحة والمفسدة.

ثالثاً: عدم مخالطة الناس وخاصة الضالين والمنحرفين والمقصرين في الطاعة:

فبعض الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يتصورون أنه من الدين والورع عدم الاحتكاك بالأشخاص المنحرفين سواء كانوا من الأقارب أو من غيرهم. ولا يحاولون أيضاً أن يحضروا أماكن التجمعات التي

تحصل بسبب المناسبات حيث يوجد من بينهم من هو حالق لحيته أو يصبغها بسواد أو هو مقصر في بعض الطاعات فلا يحضرون لئلا يشاهدوا أولئك. كل ذلك يحدث بسبب جهلهم في موضوع المصلحة والمفسدة لأن أولئك لو تأملوا في حياة الرسول ﷺ لعرفوا أنه بعث في وسط الكفر والشرك وقمة الانحراف والفساد ومع ذلك لم يقرر مغادرة المكان بل كان ﷺ ينتهز فرصة تجمع الناس ويذهب إليهم ليبلغهم رسالة ربه، بل إنه وجد معاناة ومشقة وأذى من أولئك القوم ومع ذلك صبر وصابر واحتسب وجاهد في الله حق جهاده، حتى أعزه الله ونصره.

وكان ﷺ يبلغ دعوة ربه في أي مكان ولا تأخذه في الله لومة لائم.

فالمصلحة الشرعية تقتضي أن يختلط المصلحون والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بالمنحرفين والضالين، فجلوسهم مع أولئك أولى من جلوسهم مع أمثالهم، لأن أولئك هم أحوج للدعوة وتوضيح منهج الله لهم وترغيبهم وترهيبهم. فإما أن يهتدوا وإما أن تقوم الحجة عليهم.

وأما دعوى بعضهم أن المنحرفين والعصاة لا يسمعون الدعوة ولا يستجيبون للأمر والنهي فهذا وإن كان فيه شيء من الصحة أحياناً فإن عليه اعتراضاً من وجوه:

١- أن مثل هذا الجواب قد يحصل من أمثال أولئك ولكن يجب ألا يمنع من دعوتهم وأمرهم ونهيهم والصبر على ما يحصل من جراء ذلك. والقدوة في هذا الأمر هو الرسول ﷺ فكم أوذي وسخر منه واستهزئ به ولم يصده ذلك عن تبليغ دعوة ربه.

٢- إن كثيراً من الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين اختلطوا بأمثال أولئك وجدوا نتائج إيجابية طيبة واستجاب لهم كثير من الناس.

وهذا يؤكد أنه ليس كل المنحرفين والعصاة يرفضون الدعوة ولا يقبلون النصح والإرشاد والتوجيه بل كثير منهم متعطش لذلك.

٣- إن دعوتهم وأمرهم ونهيهم فيه حجة عليهم، ومعذرة إلى الله تعالى بالنسبة للآمر والناهي.

٤- إن الداعية والآمر والناهي ليسوا مطالبين بالنتائج وحصول الثمرة فهذا الأمر بيد الله تعالى: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾(١) ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾(٢) ﴿ إن أنت إلا نذير ﴾(٣).

وورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «عرضت عليّ الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد..»(٤) الحديث فهؤلاء أنبياء الله وهم مؤيدون بالمعجزات أحياناً ومع ذلك لم يهتد على أيديهم إلا قليل وربما لم يهتد على أيديهم أحد.

ولقد دعا نوح عليه السلام إلى ربه كثيراً ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية [٢٧٢].

(٢) سورة القصص جزء من الآية [٥٦].

(٣) سورة فاطر الآية [٢٣].

(٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح كتاب المرضى باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو جـ٤ ص ٣٧ حديث ٥٧٠٥.

خمسين عاماً ﴾ (١) .

وقال عن حال قومه ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ﴾ (٢) .

وهذا لم يؤثر على منزلته ـ عند الله تعالى ـ

فليتأمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في ذلك جيداً.

رابعاً ـ ومن الأخطاء الواقعة ـ اليوم ـ بسبب اختلال معرفة المصالح والمفاسد عند بعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر «تعجل النتائج» فهم يستخدمون القوة والعنف والقسوة ضد المخالفين في غير موضعها. وهذا قد يترتب عليه من المفاسد أضعاف المنكر الذي فعلوه أو حاولوا تغييره؛ لأنهم نظروا عند إنكار المنكر إلى زاوية واحدة، وأهملوا بقية الجوانب. فلا بد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن ينظر إلى تحقق المصلحة عند إرادة تغيير المنكر، والتأكد أنه لن يخلفه منكر مثله أو أكبر منه.

ولا يعني هذا أننا نلغي جانب استخدام القوة للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كلا، وإنما لا بد من النظر في المصالح والمفاسد التي تنتج بعد ذلك.

---

(١) سورة العنكبوت جزء من الآية ١٤.

(٢) سورة نوح آية [٥ ـ ٦].

متى يستخدم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر القوة:

١- أذا كانت الدولة الحاكمة غير مهتمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تركت الحبل على الغارب، فشاعت المنكرات وكثرت في المجتمع فلا مانع من استخدام القوة بل يجب استخدام القوة لإزالة المنكرات بعد مراعاة قواعد الشرع في ذلك.

٢- خشية وقوع المنكر وفوات أوانه ومثاله: لو شاهد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر رجلاً يريد اختطاف امرأة أو غلام أو يريد أن يشرب خمراً ونحو ذلك فهنا يجب استخدام القوة مع فاعل المنكر ودفعه ومنعه من ذلك.

٣- إذا لم يكن هناك هيئة مخصصة أو طائفة معينة يمكن الاستعانة بها لإزالة المنكر، أو كون هذه الهيئة أو الطائفة ضعيفة وغير قائمة بواجبها، فهنا تستعمل القوة المناسبة لإزالة المنكر.

وأما إذا وجدت هذه الهيئة المكلفة من قبل السلطان لإزالة المنكرات فيجب قصر القوة عليها حتى لا يحصل فوضى واجتهادات خاطئة تكون أضرارها أكبر من مصالحها.

٤- أذا كانت المصلحة ظاهرة بحيث لا يحصل أي مفسدة من جراء ذلك لا في وقت إنكار المنكر ولا بعده.

فبعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر - وفقهم الله وهم الغيورون على محارمه - تفور دماؤهم حينما يشاهدون محارم الله تنتهك علناً ولا مغير ولا منكر. فيفكرون بتغييرها بالقوة دون أن يفكروا بالنتائج التي

تترتب على تغييرهم لها. والآثار السلبية التي لو عرفوها لتمنوا أنهم لم يفعلوا. فقد يحصل بسبب ذلك ضياع أمور كثيرة من المعروف، ويؤدي إلى منع غيرهم بسبب إنكارهم.

٥- أذا كان التغيير متمشياً مع الدرجات التي وضعها الشارع الحكيم فلا يلجأ إلى القوة إلا بعد مخاطبة الفاعل وتعريفه بالمنكر ونهيه عن ذلك... فربما يكون مرتكب المنكر جاهلاً أو غير مكلف...

٦- أذا كان المنكر معروفاً بغزارة علمه ونور بصيرته أو أن يكون له مكانة في المجتمع. فإن هذا له أثر كبير في تغيير المنكر.

وإن لم يكن كذلك فعليه أن يستعين بمن هو مثل ذلك. ولقد كان لبعض السلف الصالح دور كبير في إزالة المنكرات ومحاربتها لما لهم من المكانة العظيمة عند الخاصة والعامة ولما لديهم من العلم الغزير ونور البصيرة وقوة الشخصية فقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يخرج ومن معه من الدعاة فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيكسرون أواني الخمور ويريقونها ويؤدبون أهل الفواحش..

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

وفي بكرة يوم الجمعة دار الشيخ تقي الدين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وشققوا الظروف وأراقوا الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش[١]

(١) البداية والنهاية. ابن كثير م ٧ جـ١٤ ص ١١. مكتبة دار المعارف ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٦٦.

ولمعرفة المزيد من هذه المواقف إلى ص ٨، ١٠، ١٣ من المرجع نفسه.

فلا بد إذاً من مراعاة هذه الضوابط عند إرادة تغيير المُنكر لأن قصد الشارع هو إزالة المنكر بحيث لا يخلفه منكر أكبر منه.

ثم إنه على العلماء واجب كبير في تبصير الدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لا سيما المتحمسين والمندفعين منهم. فعليهم إرشادهم وتوضيح قواعد الشرع لهم فهم أمانة في أعناقهم؛ لأن مثل أولئك لا يمكن أن يستجيبوا إلى أي أمر ولو صاحبه قوة.

ولكن سرعان ما يستجيبون للعلماء المخلصين الورعين الذين يعلمون أن هدفهم من نصحهم وإرشادهم التقرب إلى الله تعالى فقط[1] .

* * *

---

(١) ولابن القيم ـ رحمه الله ـ كلام نفيس في هذا الباب فليرجع إليه في كتابه مفتاح دار السعادة جـ٢ ص ١٤ إلى ٣٢.

الباب الأول

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفصل الأول

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن من أعظم الأمور التي يتقرب بها العبد إلى ربه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه أساس الدين، وبه تحرس حرمات الله، ويحمى شرعه، ويعز الحق والدين، ويذل الشر والباطل، لذا جاءت النصوص الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة تبين فضله وعظمته عند الله تعالى.

أ ـ الأدلة على فضله من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (١) .

سبب نزولها: قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة « رضي الله عنهم » وذلك أن مالك بن الضيف ووهب ابن يهوذا قالا: نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعونا إليه. فأنزل الله هذه الآية(٢) .

من المخاطب بهذه الآية؟ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة. وقال الضحاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة الدعاة الذين أمر الله بطاعتهم(٣) .

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية [١١٠] .

(٢) أسباب النزول. الواحدي ص ٧٨.

(٣) تفسير الطبري جـ٣ ص ٩.

وقال الحسن البصري ومجاهد وجماعة: الخطاب لجميع الأمة[1] .

وهذا القول هو الراجح - والله أعلم - فالخطاب يشمل جميع أمة محمد ﷺ وذلك للمرجحات التالية:

أ - أن الآية عامة وليس فيها تخصيص صريح يقيدها بالصحابة أو بطائفة منهم.

ب - النصوص الواردة في الكتاب والسنة والتي تبين فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [2] .

قال القرطبي - رحمه الله - وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط العدل[3] .

وقد فسر النبي ﷺ الوسطية بالعدل فقد

٢- ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ [4] .

قال «عدلاً»[5] .

---

(١) تفسير البحر المحيط جـ٣ ص ٢٨.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية رقم [١٤٣].

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ١، ٢ جـ٢ ص [١٥٣].

(٤) سورة البقرة جزء من الآية [١٤٣].

(٥) رواه الترمذي في سننه، أبواب التفسير جـ٤ ص ٢٧٥ حديث رقم ٤٠٣٩ وقال هذا حديث حسن صحيح.

٣- وعن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ : يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال لأمته: هل بلغكم فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، ويشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل ذكره ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (١) .

٤- وقوله ﷺ «نحن الآخِرون السابقون»(٢) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» جـ٣ ص ١٩٣، ١٩٤ حديث رقم [٤٤٨٧].

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الوضوء. باب في الماء الدائم جـ١ ص ٩٥، ٩٦ حديث رقم ٢٣٨.

ورواه أيضاً في كتاب الجمعة. باب فرض الجمعة جـ١ص٢٨٠ حديث رقم ٨٧٦.

ورواه أيضاً في كتاب الجمعة. باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم جـ١ ص ٢٨٥ حديث رقم ٨٩٦، كتاب الأنبياء باب ٥٤ جـ٢ ص ٥٠١ حديث رقم ٣٤٨٦، كتاب الأيمان والنذور، باب قوله تعالى: «لا يؤاخذكم باللغو في أيمانكم» الآية جـ٤ ص ٢١٤ حديث ٦٦٢٤، كتاب الديات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان جـ٤ ص ٢٧٠ حديث رقم ٦٨٨٧، كتاب التعبير، باب النفخ في المنام جـ٤ ص ٣٠٨ حديث رقم ٧٠٣٦، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله» جـ٤ ص ٤٠٣ حديث ٧٤٩٥.

٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال حين مرت جنازة فأثني عليها خيراً فقال: «وجبت وجبت وجبت» ثم مرّ عليه بأخرى فأثني عليها شراً فقال: «وجبت وجبت وجبت» فقال عمر: فدى لك أبي وأمي: مُرَّ عليك بجنازة فأثني عليها خيراً فقلت: «وجبت وجبت وجبت» ومر بجنازة فأثني عليها شراً. فقلت: «وجبت وجبت وجبت» فقال رسول الله ﷺ ـ : .. من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض»[1] .

فهذه النصوص تفيد بمضمونها عموم الأمة، وأن الخطاب ليس مقصوراً على الصحابة ولا على جزء منهم.

وقال القرطبي: قال علماؤنا أنبأنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه بما أنعم علينا من تفضيله لنا باسم العدالة وتولية خطير الشهادة على جميع خلقه، فجعلنا أولاً مكاناً وإن كنا آخراً زماناً كما قال عليه السلام «نحن الآخرون الأولون»[2] .

وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول ولا ينفذ قول غير العدول على غيرهم إلا أن يكون عدلاً»[3] .

وهذا القول يزيد ترجيحنا قوة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خيراً أو شراً من الموتى م ٣، ٤ جـ٣ ص ٥٣.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ١، ٢ جـ٢ ص ١٥٦، ١٥٧.

وقد اختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع، والمعنى وُجدتم خير أمة وعلى هذا فكان فعل تام، وقيل كان ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله: ﴿إن اللّه كان غفوراً رحيماً﴾ [1] . فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم خير أمة، وقيل معناه كنتم مذكورين في الأمم الماضية فأنتم خير أمة، وقيل معناه كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة»[2] .

وقال الرازي في تفسيره: المعنى أنكم «كنتم» في اللوح المحفوظ خير الأمم وأفضلها، فاللائق بهذا ألا تبطلوا على أنفسكم هذه الفضيلة وأن لا تزيلوا عن أنفسكم هذه الخصلة المحمودة وأن تكونوا منقادين مطيعين في كل ما يتوجه عليكم من التكاليف[3] .

وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال في قوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا الإسلام»[4] .

وقال قتادة: «هم أمة ـ محمد ـ ﷺ لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الإسلام فهم خير أمة أخرجت للناس»[5] .

---

(١) سورة النساء جزء من الآية [٢٣] .

(٢) روح المعاني الألوسي جـ٥ ص ٢٧٠ .

(٣) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الفخر الرازي جـ٤ ص ١٧٣ .

(٤) رواه البخاري. كتاب التفسير، باب «كنتم خير أمة أخرجت للناس» جـ٣ ص ٢١٠ حديث رقم ٤٥٥٧ .

(٥) تفسير العلامة أبي السعود جـ١ ص ٥٣٣ .

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ قال إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله »[1] .

فالله سبحانه وتعالى يخبر في هذه الآية الكريمة بأن أمة محمد ﷺ خير الأمم التي خلقت من قبل وذلك بسبب فضائل كثيرة منها أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وحري بكل مسلم يتلو هذه الآية أو يسمعها أن يطبق ما تدعو إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل عليه أن يطبقه على نفسه أولاً ثم على إخوانه المسلمين وغيرهم ثانياً، فيفعل الخير ويأمر به ويتجنب الشر ويحذر منه وليعلم أنه متى ترك هذا الجانب المهم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فإنه يفقد الفضيلة التي وصف الله بها المؤمنين.

لذا ينبغي لكل مسلم ولا سيما الدعاة أن يجعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزءاً من حياتهم.

٢- ويقول تعالى: ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [2] .

النجوى السر بين الاثنين أو الجماعة، تقول ناجيت فلاناً ونجا، وهم يتناجون ويتناجون، ونجوت فلاناً أنجوه نجوى أي أناجيه، فنجوت مشتقة من نجوت الشيء أنجوه: أي أخلصته وأفردته، والنجوة من الأرض المرتفع لانفراده بارتفاعه عما حوله. فالنجوى المسارّة[3] .

.(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب التفسير جـ٤ ص ٢٩٤ حديث رقم ٤٠٨٧.

(٢)سورة النساء آية [١١٤]. (٣) انظر الصحاح. الجوهري جـ٦ ص ٢٥٠١، ٢٥٠٣.

وقال جماعة من المفسرين: إن النجوى كلام الجماعة المنفردة أو الاثنين سواء كان ذلك سراً أو جهراً[1] .

وقيل النجوى: الإسرار في التدبير[2] .

معنى الآية: لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا فيما كان من أعمال الخير[3] .

وقال القشيري[4] :

أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره، ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه، والفتوة أن يكون سعيك لغيرك، وأما المعروف فكل حسن في الشرع معروف، ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قربة إلى الله وزلفى عنده، وإعلاء التواصي بالطاعة، ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه وتصدق بقلبه على الرضى بحكمه ولم يخرج بالانتقام لنفسه، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالهداية إلى ربهم وأصلح بين الناس بصدقه في حاله، فإن لسان فعله أبلغ في الوعظ من لسان نطقه[5].

---

(١) فتح القدير. الشوكاني جـ ص ٥١٤، ٥١٥.(٢) تفسير البغوي جـ١ ص ٤٧٩.

(٣) روح المعاني. الآلوسي جـ٥ ص ٤٠٣.

(٤) هو الإمام الزاهد القدوة أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي المفسر صاحب الرسالة القشيرية، له التفسير الكبير واسمه التيسير في علم التفسير، وله لطائف الإشارات. ولد سنة ٣٧٥هـ.ا

انظر سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ ٢٢٧/١٨ وما بعدها.

(٥) لطائف الإشارات، القشيري جـ١ ص ٣٦٣، ٣٦٤.

فالله سبحانه وتعالى بين أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس إلا ما كان فيه الحث على الصدقة وفعل المعروف والإصلاح بين الناس. وسوف نتحدث عن هذه الجوانب التي أشارت إليها الآية الكريمة باختصار:

أولاً ـ النجوى[1] وما ورد فيها:

ورد عن صفوان بن محرز[2] قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول: في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني أسترها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [3].

---

(١) تقدم تعريفها.

(٢) صفوان بن محرز تابعي مشهور، ثقة من أوساط التابعين، كان من عباد أهل البصرة، له فضل وورع. روى عن عبد الله بن مسعود والأشعري وابن حرام وعمران بن حصين وابن عباس. مات سنة ٧٤ هـ.

انظر الإصابة ٢/٢٠٣-٢٠٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى« ألا لعنة الله على الظالمين» جـ٢ ص ١٩٠ حديث ٢٤٤١.

ورواه ابن ماجة قريباً من هذا اللفظ باب فيما أنكرت الجهمية جـ١ص٦٥ حديث رقم ١٨٣.

ورواه الإمام أحمد بمسنده جـ٢ ص ٧٤.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه».

ويقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ حول قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ [1] .

يبدو أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بحاسة التنظيم الإسلامي، كانوا يجتمعون عندما تحزب الأمور ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيداً عن قياداتهم. الأمر الذي لا تقره طبيعة الجماعة الإسلامية، وروح التنظيم الإسلامي التي تقتضي عرض كل رأي وفكرة وكل اقتراح على القيادة ابتداءً، وعدم التجمعات الجانبية في الجماعة، كما يبدو أن بعض هذه التجمعات كان يدور فيها ما قد يؤدي إلى البلبلة وما يؤذي الجماعة المسلمة ـ ولو لم يكن قصد الإيذاء قائماً في نفوس المتناجين ـ ولكن مجرد إثارتهم للمسائل الجارية وإبداء الآراء فيها على غير علم قد يؤدي إلى الإيذاء، وإلى عدم الطاعة..»[2] .

فمن خلال هذه النصوص يتضح للداعية أن النجوى منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم، فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يفعل المشروع منها ويترك ويحذر من المنهي عنها.

---

(١) سورة المجادلة آية رقم [٩].

(٢) في ظلال القرآن جـ٦ ص ٣٥١٠.

ثانياً ـ الصدقة:

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ومنهم «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[1] الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة»[2] الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته. فقال: يا عبد الله ما اسمك. قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال: يا عبد الله لِمَ سألتني عن اسمي فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فماذا تصنع؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيها ثلثه»[3].

---

(١) رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة. م٣، ٤ جـ٣ ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق الكتاب والجزء، باب من جمع الصدقة وأعمال البر ص ٩١.

(٣) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الزهد والرقائق. باب الصدقة في المساكين م ٧، ٨ جـ٨ ص ٣٢٢، ٢٢٣.

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[1]

فهذه بعض الأحاديث النبوية التي تحث على الصدقة وترغب فيها فعلى الآمر بالمعروف أن يجود بماله أو بما فضل عن حاجته ويتصدق على المحتاجين لما للصدقة من الأثر الكبير في قبول أمره ونهيه.

ثالثاً ـ المعروف[2] :

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «كل معروف صدقة»[3] .

وورد عن النبي ﷺ «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق» قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوف» قالوا فإن لم يفعل؟ قال: «فليأمر بالخير ـ أو قال ـ بالمعروف» قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليمسك عن الشر فإنه له صدقة»[4] .

---

(١) المرجع السابق. كتاب البر والصدقة والآداب. باب استحباب العفو والتواضع. م ٧، ٨ جـ٨ ص ٢١.

(٢) المعروف تقدم تعريفه انظر ص «   ».

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة جـ٤ ص ٩٥ حديث رقم ٦٠٢١.

(٤) المرجع السابق الجزء والباب والصفحة حديث ٦٠٢٢.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح وفي الكلام إشارة إلى أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس منه فلا تختص بأهل اليسار مثلاً بل كل واحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال بغير مشقة[1] .

ففي هذا الحديث الشريف دعوة من الرسول ﷺ لأمته إلى فعل أنواعٍ من الخير، وإن قلت في أعين الناس فإن المسلم يثاب عليها، ومنها الأمر بالمعروف أو بالخير والإمساك عن الشر.

الإصلاح بين الناس:

ورد في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه «أن أناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلح بينهم»[2] الحديث.

وعن ابن شهاب أن حميدة بن عبد الرحمن أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة[3] أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً»[4] .

---

(١) فتح الباري. ابن حجر جـ١٠ ص ٤٤٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس جـ٢ ص ٢٦٥ حديث ٢٦٩٠.

(٣) هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية. أسلمت قديماً وبايعت وخرجت إلى المدينة مهاجرة. روى عنها البخاري ومسلم وثلاثة من أصحاب السنن.

انظر الإصابة في تمييز الصحابة جـ٤/٤٩١.

(٤) المرجع السابق ص ٢٦٦ حديث ٢٦٩٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة»[1] .

فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على فضل الإصلاح والدعوة إليه.

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يسلك هذه الطريق فهو جزء من رسالته.

ومن الآيات التي تدل على فضله:

٣- قوله تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [2] .

قال أبو السعود[3] في قوله تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلاً وآجلاً»[4] .

(١) المرجع السابق باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم ص ٢٧٠ حديث ٢٧٠٧.

(٢) سورة التوبة جزء من الآية [٧١].

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، الفقيه المفسر الأصولي، هو الإمام الكبير عالم الروم برع في جميع الفنون له تصانيف كثيرة أشهرها (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ولد سنة ٩٠٠ هـ ومات سنة ٩٨٢هـ.
انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني.

وقيل قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف[1] .

وأما قوله: ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ أي يأمرون بعبادة الله تعالى وتوحيده وكل ما أتبع ذلك، وينهون عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك»[2] .

فالآية تفيد أن المؤمنين جميعاً من رجال ونساء ينطلقون من قاعدة واحدة، وهي أنهم يأمرون بالأمور الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة وينهون عن كل ما خالف الشرع من العقائد الفاسدة والأعمال السيئة والأخلاق الرديئة، ومن هذا شأنه ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾ أي يدخلهم الله في رحمته ويشملهم بإحسانه[3] .

وقال الزمخشري في تفسيره: السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد والوعيد[4] .

إذاً فمن هذه صفته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإن الله سبحانه وتعالى يدخله في رحمته، وذلك فضل منه وتكرم وإحسان وليس من باب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ م ٣، ٤ جـ٤ ص ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن السعدي جـ ٣ ص ٢٦٤.

(٤) تفسير الكشاف م ١، ٢ جـ٢ ص ٢٠٣.

وقد تعقب ابن حيان هذا القول بقوله: «وفيه دفينة خفية من الاعتزال بقوله: السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة. يشير إلى أنه يجب على الله تعالى إثابة الطائع كما تجب عقوبة العاصي[1] .

---

(١) البحر المحيط جـ٥ ص ٧٠، ٧١.

الوجوب فالله ـ سبحانه ـ وتعالى لا يجب عليه شيء ولو عامل عباده بعدله لم ينج منهم أحد.

وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تبين ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً منها:

ـ ما ورد عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ :«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1] .

ـ وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2] .

٤- وقوله تعالى:﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ [3]

سبب نزولها:

قال الواحدي[4] :

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والآداب والصلة. باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم م ٧، ٨ جـ٨ ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣)سورة آل عمران آية رقم [١١٣، ١١٤].

(٤) هو الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن محرر بن مقويه الواحدي النيسابوري الشافعي المفسر المشهور من كتبه البسيط في التفسير، والوسيط، والوجيز. توفي بنيسابور سنة ٤٦٨هـ.

وانظر ترجمته في العبر في خبر من غبر للذهبي ٣/٢٦٧.

قال ابن عباس[1] ومقاتل[2] لما أسلم عبد الله بن سلام[3] وثعلبة بن سعية[4] وأسيد بن سعية[5] وأسعد بن عبيد[6] ومن أسلم من اليهود قالت أحبار اليهود: ما آمن لمحمد إلا شرارانا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. دعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، سُمِّي ترجمان القرآن، من فقهاء الصحابة، مات سنة ٦٨هـ بالطائف. تقريب التهذيب ١/٤٢٥.

(٢) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر. كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم. مات سنة ١٠٥هـ كثرت روايته للتفسير من أهل الكتاب. ميزان الاعتدال ٤/١٧٣-١٧٥ تقريب التهذيب ٢/٢٧٢.

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، وهو من ولد يوسف ابن يعقوب عليهما السلام، كان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، كان من علماء الصحابة، مات سنة ٤٣هـ. انظر أسد الغابة ٣/١٦٠.

(٤) ثعلبة بن سعية صحابي، كان يهودياً من بني هَدْل، وأسلم يوم قريظة حين نزلت على حكم سعد بن معاذ فمنع ماله ودمه، مات في حياة النبي ﷺ. انظر أسد الغابة ١/٢٨٨.

(٥) أسيد بن سعية وقيل: أسد، وقيل أسِيد، صحابي من بني االأهدل وهم بنو قريظة، أسلم في الليلة التي نزل في غدها بنو قريظة على حكم سعد، فمنع ماله ودمه.انظر أسد الغابة ١/٨٥.

(٦) هو أسد بن عبيد القرظي اليهودي، روى سعيد بن صبير وعكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن أسيد بن عبيد ومن أسلم معهم من يهود فآمنوا واصدقوا ورغبوا فيه، قال أحبار يهود وأهل الكفر: « ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارانا » فأنزل الله تعالى «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة». الآية أ.هـ أسد الغابة ١/٨٥.

آبائهم وقالوا لهم: لقد خنتم واستبدلتم بدينكم ديناً غيره فأنزل الله هذه الآية[1].

معنى الآية:

«ليسوا سواء» تفرقة بين هاتين الفرقتين من أهل الكتاب اليهود والنصارى وأنهم ليسوا سواء على وضع واحد في موقفهم من الإسلام والمسلمين، وإذا كانت الآية الكريمة قد فرقت بين الفرقتين فإنها لم تحدد أي الفريقين من أهل الكتاب هو المتجه إليه الحكم في قوله من أهل الكتاب.

«أمة قائمة» في إطلاق الحكم هكذا بحيث يدخل فيه الفريقان معاً حكم عظيمة تبين أنه في كلا الفريقين من أهل الكتاب اليهود والنصارى جماعات قائمة على الحق مؤمنة بالله واليوم الآخر تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر[2].

فمعنى الآية ليس أهل الكتاب على حد سواء، بل منهم المجرم ومنهم المسلم القائم على الحق المستقيم على الهدى التالي لآيات الله والساجد له والمؤمن بالبعث بعد الموت الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. ومن كانت هذه حاله فهو من «الصالحين» أي من جملة من صلحت أحوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه [3].

فالله سبحانه وتعالى أثنى عليهم لاتصافهم بالصفات المذكورة ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- وقوله تعالى: ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر

(١) أسباب النزول ـ الواحدي ص ٨٧.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ جـ١ ص ٥٦١.

(٣) انظر إلى زاد المسير. ابن الجوزي جـ١ ص ٤٤٢.

المؤمنين ﴾ [1] .

أخرج ابن أبي شيبة[2] وابن المنذر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال من مات على هذه التسع فهو في سبيل الله «التائبون العابدون»[3] الآية.

التائبون الراجعون إلى طاعة الله تعالى عن الحالة المخالفة للطاعة.

وهل المراد التوبة من الشرك أو من كل معصية أو الأظهر أنه من كل معصية؟

قال في فتح البيان «.. ثم قيل المراد بالتوبة عن الشرك والبراءة من النفاق وقيل من كل معصية »[4] .

«العابدون» المؤدون لما أوجب الله عليهم من الطاعات القولية والفعلية[5] .

---

(١) سورة التوبة آية [١١٢].

(٢) هو الحافظ عديم النظير الثبت النحرير عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن نواس العبسي مولاهم الكوفي ولد سنة ١٥٩هـ.

قال أحمد: أبو بكر صدوق هو أحب إليّ من أخيه عثمان وقال العجلي: ثقة حافظ. وقال الفلاس ما رأيت أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة. وله مؤلفات. منها: المسند، والمصنف وغير ذلك. قال البخاري مات في المحرم سنة ٢٣٥هـ. انظر إلى تذكرة الحفاظ ٤٣٢/٢ والأعلام ١١٧/٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير المأثور. السيوطي جـ٣ ص ٢٨١.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن. صديق خان جـ٤ ص ٢٠٥.

(٥) انظر تفسير التحرير والتنوير. محمد عاشور جـ١١ ص ٩١.

وتفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٢ ص ٣٩٢.

«السائحون الصائمون»[1]

«الراكعون الساجدون» المكثرون من الركوع والسجود في صلاة الفرض والنفل[2] .

«الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»

أي الآمرون بجميع ما أمر الله ورسوله بفعله والناهون عن جميع ما أمر الله ورسوله ﷺ بتركه.

قال المراغي[3] : أي الداعون إلى الإيمان وما تبعه من أعمال البر والخير والناهون عن الشرك وما بسبيله من المعاصي والسيئات[4] .

«والحافظون لحدود الله» أي الحافظون لشرائعه وأحكامه التي بين فيها ما يجب على المؤمنين اتباعه وما يحظر عليهم فعله منها ، وكذا ما يجب على أئمة المسلمين وأولي الأمور منهم إقامته وتنفيذه بالعمل في أفراد المسلمين وجماعتهم إذا أخلوا بما يجب عليهم حفظه منها[5] .

---

(١) زاد المسير ابن الجوزي جـ٣ ص ٥٠٦

(٢) المرجع السابق.

(٣) هو محمد مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، باحث مصري عارف بالتفسير، تولى مشيخة الأزهر، له مؤلفات عدة منها التفسير المشهور، وكتاب الأولياء والمحررين وبحوث في التشريع الإسلامي.
ولد عام ١٢٩٨هـ ومات سنة ١٣٦٤هـ.

انظر الأعلام ٣٢٤/٧.

(٤) تفسير المراغي جـ٤ ص ٣٤.

(٥) المرجع السابق.

«وبشر المؤمنين»

أي وبشر المؤمنين المتصفين بالصفات المذكورة في الآية الكريمة.

ففي هذه الآية دليل على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله أثنى عليهم وبشرهم.

وفي الآية إظهار في مقام الإضمار اعتناء بهم وتشريفاً لقدرهم وحذف المبشر به إشارة إلى أنه لا يدخل تحت الحصر بل لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1] .

٦- وقوله تعالى: ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾[2] .

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض «إلا قليلاً» أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيراً وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[3] .

فهذا دليل على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث إنه كان سبباً لنجاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وهلاك الآخرين.

---

(١) الصاوي على الجلالين جـ٢ ص ١٤٦.

(٢) سورة هود آية [١١٦].

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٤٦٥.

يقول الشيخ: عبد الرحمن السعدي:

«وهذا حث لهذه الأمة أن يكون فيهم بقايا مصلحون لما أفسد الناس قائمون بدين الله يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى ويُبَصِّرونهم من العمى، وفي هذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون وصاحبها يكون إماماً في الدين إذا جعل عمله خالصاً لرب العالمين[1] .

٧- وقوله تعالى: ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون. فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [2].

فالله سبحانه وتعالى يخبر عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق، فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا عل اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة «لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً» أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيكم إياهم قالت لهم المنكرة: «معذرة إلى ربكم» أي نفعل ذلك

---

(١) تفسير كلام المنان جـ٣ ص ٤٦٨، ٤٦٩.

(٢) سورة الأعراف من الآية [١٦٣] إلى الآية [١٦٥].

«معذرة إلى ربكم» أي فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «ولعلهم يتقون» ولعلهم بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم «فلما نسوا ما ذكروا به» أي فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة «أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا» ارتكبوا المعصية «بعذاب بئيس» فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحون ولا ارتكبوا عظيماً فيذمون»[1] .

وقد اختلف المفسرون في الفرقة الساكتة هل نجت أم هلكت؟

فقال القرطبي ـ رحمه الله ـ :

إن الطائفة التي لم تنه ولم تعص هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي قاله ابن عباس وقال أيضاً: ما أدري ما فعل الله بهم. وهو الظاهر من الآية. قال عكرمة: قلت لابن عباس لم قلت ما أدري ما فعل الله بهم: ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم فقالوا «لم تعظون قوماً الله مهلكهم» فلم أزل به حتى عرفته أنهم نجوا فكساني حلة»[2] .

ورجح أيضاً أبو السعود أن الفرقة الساكتة نجت يقول في قوله تعالى: «أنجينا الذين ينهون عن السوء» وهم الفريقان[3] .

والآية الكريمة لم تذكر صراحة إلا الفريقين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمهلكين.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٥٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ جـ٧ ص ٣٠٧.

(٣) تفسير أبي السعود جـ٢ ص ٤٢٣.

والأولى ـ عندي ـ :

ترك الخوض في أمرهم ونكل علم ذلك إلى الله تعالى. وإن كنا نجزم أن درجتهم أقل من درجة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. ويكفي في نزول درجتهم سكوت الله تعالى عنهم والله تعالى أعلى وأعلم.

والمهم أن نعرف أن الله سبحانه وتعالى بين لنا في هذه الآية الكريمة أنه أنجى الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر من العذاب الذي أصاب القوم. وهذا دليل على فضله وعظمته حيث كان سبباً في نجاة أهله..

٨ - قول الله تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [(١)] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : أجمع آية في القرآن هذه.

وقال أيوب عن عكرمة: أن النبي ﷺ قرأ على الوليد «إن الله يأمر بالعدل» الآية فقال الوليد: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر»[(٢)] .

وقد اختلف المفسرون في معنى العدل والإحسان في الآية.

فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ العدل: لا إله إلا الله. والإحسان أداء الفرائض.

وقيل العدل: الفرض والإحسان: النافلة.

---

(١) سورة النحل آية [٩٠].

(٢) تفسير البغوي جـ٣ ص ٨٢.

وقال سفيان بن عيينة[1] : العدل ههنا استواء السريرة، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية. وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : العدل الإنصاف والإحسان التفضل[2] .

وقيل العدل هو القيام على طريق الحق في كل أمر، فمن أقام وجوده على العدل استقام على طريق مستقيم فلم ينحرف عنه أبداً ولم تتفرق به السبل. والإحسان إحسان مطلق يتناول كل قول يقوله الإنسان وكل عمل يعمله، بل الإحسان هو الإيمان بالله على أتم صورة وأكملها بحيث لا يبلغ درجة الإحسان إلا من عَبدَ الله على هذا الوجه الذي بينه الرسول ﷺ «أن تعبد الله كأنك تراه»[3].

قلت: والعدل والإحسان يشمل كل ما ذكره المفسرون بل أوسع مما ذكروه بكثير والله أعلم.

«وإيتاء ذي القربى» يعني ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الأدنون والأبعدون منك فيستحب أن تصلهم من فضل ما رزقك الله فإن لم يكن لك فضل فدعاء حسن»[4] .

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ـ أبو محمد ـ الكوفي ثم المكي، ثقة، حافظ، فقيه، إمام حجة؛ إلا أنه تغير حفظه بآخره. وكان ربما دلس عن الثقات. مات ٩٨هـ وقيل ٩١هـ.

انظر تقريب التهذيب ٣١٢/١.

(٢) ذكر ذلك كله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن م ٥ جـ١٠ ص ١٦٥.

(٣) التفسير القرآني. عبد الكريم الخطيب جـ١٣-١٦ ص ٣٥١.

(٤) تفسير الخازن جـ٣ ص ١٣١.

«وينهى عن الفحشاء والمنكر» الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الأقوال والأفعال، «والمنكر» ما لا يعرف في شريعة ولا سنة «والبغي» الكبر والظلم والتطاول على الغير[1] .

«يعظكم لعلكم تذكرون» أي يعظكم بما يأمر وينهى طلباً لأن تتعظوا بذلك[2] .

فبين سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه ينهى عن الفحشاء والمنكر. فيكفي شرفاً للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أنهم ينهون عما ينهى عنه الله سبحانه وتعالى فهم في حقيقة الأمر منفذون لأمر الله تعالى داعين إلى تنفيذه.

٩- وقوله تعالى: ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [3] .

يقول الفخر الرازي: ولولا دفاع الله أهل الشرك بالمؤمنين من حيث يأذن لهم في جهادهم وينصرهم على أعدائهم لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان وعطلوا ما يبغونه من مواضع العبادة ولكنه دفع هؤلاء بأن أمر بقتال أعداء الدين ليتفرغ أهل العبادة وبناء البيوت لها. لهذا المعنى ذكر الصوامع والبيع والصلوات وإن كانت لغير أهل الإسلام[4] .

---

(١) المرجع السابق. (٢) تفسير أبي السعود جـ٣ ص ٣٩٥.

(٣) سورة الحج جزء من آية ٤٠ والآية ٤١.

(٤) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب م ١٢ جـ٢٣ ص ٤٠، ٤١.

وقيل لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد ﷺ المساجد[1] .

وقيل لولا دفع اللّه ظلم الظلمة بعدل الولاة، وقيل لولا دفع اللّه العذاب بدعاء الأخيار[2] .

والصوامع: قيل إنها صوامع الرهبان. قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد، وقيل إنها صوامع الصابئين. قاله قتادة.

وأما البيع فقيل: هي بيع النصارى. وأما الصلوات فقيل: إنها كنائس اليهود وقيل مساجد الصابئين.

وأما المساجد: فقيل مساجد المسلمين قاله ابن عباس[3].

ورُوي عن الحسن[4] أنها بأسرها أسماء المساجد، أما الصوامع فلأن المسلمين قد يتخذون الصوامع، وأما البيع فأطلق هذا على المساجد على سبيل التشبيه، وأما الصلوات فالمعنى أنه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوات ولخربت المساجد [5] ولا يخفى علي أو القول من بعد. والذي حمله

---

(١) فتح القدير ـ الشوكاني ـ جـ٣ ص ٤٥٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي. زاد المسير جـ٥ ص ٤٣٦، ٤٣٧.

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن البصري. واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم ثقة، فقيه، فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً، ويدلس. مات سنة ١١٠ هـ وقد قارب التسعين.

تقريب التهذيب ١٦٥/١.

(٥) تفسير الفخر الرازي م١١ جـ٢٣ ص ٤١.

على ذلك هو أنه لا يمكن أن يدافع عن هذه الأماكن والعبادة فيها باطلة ولكن المعنى: أن هذه الأماكن مع أنها مخصصة للعبادة لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها...[1] .

وقوله «ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز» أي ينصر دينه وأولياءه فهو قوي على نصر أوليائه والانتقام من أعدائه.

وقوله: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» هذا إخبار عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم الله في الأرض وبسط لهم الدنيا كيف يقومون بأمر الدين. وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله تعالى أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة «ولله عاقبة الأمور» أي مرجعها إلى تقديره وفيه تأكيد لما وعد من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته»[2] .

وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

«الذين إن مكناهم في الأرض» فحققنا لهم النصر وثبتنا لهم الأمر «أقاموا الصلاة» فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين، «وآتوا الزكاة» فأدوا حق المال وانتصروا على شح النفس، وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان، وسدوا خلة الجماعة، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج، وحققوا لها صفة الجسم الحي،

---

(١) انظر إلى الظلال ـ سيد قطب ـ جـ٤ ص ٢٤٢٥.

(٢) تفسير القرآن الجليل. المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي جـ٣ ص ٢٧٩.

«وأمروا بالمعروف» فدعوا إلى الخير والصلاح ودفعوا إليه الناس، «ونهوا عن المنكر» فقاوموا الشر والفساد، وحققوا بهذا وذاك الأمة المسلمة التي لا تبقي على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه. هؤلاء هم الذين ينصرون الله إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة معتزين بالله وحده دون سواه وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين»[1] .

فالله سبحانه وتعالى في آخر هذه الآيات وضع الأسس والقواعد للطائفة الحاكمة، وبين أن القيام بهذه القواعد سبب للتثبيت والنصر وأن الإخلال بها أو ببعضها سبب للهزيمة والإبعاد وربما يصحب ذلك عذاب. وهذه القواعد:

١- أن تقيم الصلاة في نفسها وفي مجتمعها وأن تؤدى كما يؤديها المصطفى ﷺ كاملة الشروط والأركان والواجبات...

٢- وأن تؤدي الزكاة من نفسها أولاً ثم هي تأخذها من الأغنياء وتردها على الفقراء والمحتاجين ثانياً.

٣- وأن تأتمر بالمعروف وتنتهي عن المنكر أولاً ثم هي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتناصر أهله وتحميهم وتعينهم على ذلك ثانياً.

فإذا حققت هذه الأسس كتب الله لها البقاء والنصر وإذا خالفت فلترتقب زوالها وخذلانها في أية ساعة من ليل أو نهار.

وهذا دليل واضح في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث إنه كان سبباً أساسياً في النصر إن أقيم أو الهزيمة إن ترك.

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ جـ٤ ص ٢٤٢٧، ٢٤٢٨.

١٠- قول الله تعالى: ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ [١] .

قال في البحر المحيط:

لولا تخصيص يتضمن توبيخ العلماء والعباد على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله تعالى والأمر بالمعروف [٢] .

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ : هلا ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان وأكل الربا في الحكم من اليهود من بني إسرائيل ربانيوهم وهم أئمتهم المؤمنون وساستهم العلماء، وأحبارهم وهم علماؤهم وقوادهم «عن قولهم الإثم» يعني قول الكذب والزور وذلك أنهم كانوا يحكمون فيهم بغير ما أنزل الله. ثم يقولون هذا حكم الله «وأكلهم السحت» يعني الرشوة [٣] .

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ : ما في القرآن أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم منها [٤] .

فالآية فيها تخصيص يتضمن توبيخاً من جهة، ومن جهة أخرى فإذا كان الله تعالى ذم كبار القوم لعدم قيامهم في بالأمر بالمعروف فإنه بالمقابل يحب الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى رَغَّب في الأمر بالمعروف وبيَّن فضله من خلال النصوص السابقة فإنه رَهَّب الذين يتركونه ولعنهم فقال تعالى:

---

(١) سورة المائدة آية رقم [٦٣] .   (٢) البحر المحيط. ابو حيان جـ٣ ص ٥٢٢ .

(٣) تفسير الطبري جـ٦ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .   (٤) المرجع السابق.

﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [١] .

أي لعنهم الله جل وعلا في الإنجيل والزبور على لسان هذين النبيين ـ عليهما السلام ـ بأن أنزل الله ـ سبحانه وتعالى: ملعون من يكفر من بني إسرائيل بالله أو بأحد من رسله عليهم السلام [٢] .

وقيل: لعن الأسلاف والأخلاف ممن كفر بمحمد ﷺ على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهما أعلما أن محمداً ﷺ نبي مبعوث فلَعَنَا من يكفر به [٣] .

«ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه» أي لم يكن اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لا شيء آخر، ثم فسر المعصية بقوله: «كانوا لايتناهون» لا ينهى بعضهم بعضاً «عن منكر فعلوه» للتعجب من سوء فعلهم مؤكداً لذلك بالقسم.

فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب [٤] .

وقيل لا ينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله وتهيؤوا له ولا ينهون عنه [٥] .

---

(١) سورة المائدة آية [٧٨، ٧٩].

(٢) روح المعاني الألوسي جـ٦ ص ٢١١ بتصرف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٣ جـ٦ ص ٢٥٢.

(٤) تفسير الكشاف ـ الزمخشري ـ جـ٢ ص ٤٢.

(٥) تفسير البيضاوي ص ١٥٩.

فالله سبحانه وتعالى لعن بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ بسبب أمور منها: أنهم لا يتناهون عن المنكرات الموجودة لديهم. وفي ذلك تحذير لأمة محمد ﷺ حتى لا يتهاونوا في هذا الباب.

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة موضحة هذا الجانب ومحذرة من مشابهة بني إسرائيل في تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم» إلى قوله «فاسقون» ثم قال: كلا والله لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتأخذنّ على يد الظالم أو لتأطرنه [1] على الحق أطراً أو لتقصرنه على الحق قصراً» وفي رواية «أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم» [2] .

فهذا الحديث يدل على الحث على القيام بالمعروف والنهي عن المنكر والحذر من تركهما. فقد يصيب الأمة ما أصاب بني إسرائيل من اللعن بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) «لتأطرنه» معناه لتردنه عن الجور، وأصل الأطر العطف أو الثني [1] .

(٢)رواهما أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي جـ٤ص١٢١، ١٢٢.

---

(١) مختصر سنن أبي داود للمنذري وبهامشه معالم السنن للخطابي وتهذيب السنن للإمام ابن القيم جـ٦ ص١٨٦.

الأدلة من السنة

على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأحاديث الواردة في فضله كثيرة جداً ولكننا سوف نقتصر على طرف منها:

١- ورد في الصحيحين ومسند أحمد وسنن النسائي[١] والدارمي[٢] عن سعيد بن أبي بردة[٣] عن أبيه[٤] عن جده عن أبي موسى الأشعري[٥] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: على كل مسلم صدقة. قال أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قال أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف

---

(١) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، الخراساني، الحافظ المحدث، كان رئيساً نبيلاً، حسن البزة، كبير القدر، كثير التهجد، يصوم صيام داود، المجاهد صاحب المصنفات منها: السنن الكبرى والصغرى وغيرها توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر شذرات الذهب ٢٣٩/٢ وما بعدها.

(٢) هو الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي ابو محمد الدارمي الحافظ. صاحب المسند. ثقة فاضل متقن. مات سنة خمس وخمسين ومائتين وله أربع وسبعون سنة. تقريب التهذيب ٤٢٩/١.

(٣) سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الكوفي، ثقة، ثبت. روايته عن ابن عمر مدلسة من الطبقة الخامسة تقريب التهذيب ٢٩٢/٢.

(٤) هو أبو بردة بن موسى الأشعري قيل اسمه عامر، وقيل الحارث. يروي عن أبيه، وعنه أولاده مات سنة أربع ومائة. تقريب التهذيب ٣٩٤/٢.

(٥) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ـ أبو موسى ـ الأشعري، صحابي مشهور، أقره عمر ثم عثمان. وهو أحد الحكمين بصفين. مات سنة ٥٠هـ وقيل بعدها. انظر تقريب التهذيب ٤٤١/٢.

أو الخير. قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال يمسك عن الشر فإنه له صدقة»[1].

فالرسول ﷺ في هذا الحديث ندب الأمة إلى نفع الخلق بالتصدق عليهم، صدقة حسية أو معنوية. فمن وجد الحسية فهو خير وإلا تصدق بالمعنوية ففيها خير، وإن أمكنه فعل ذلك كله فهو أفضل.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : فمن أمكنه أن يعمل بيده فيتصدق وأن يغيث الملهوف وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمسك عن الشر فليفعل الجميع [2] .

ويؤخذ من هذا الحديث أيضاً أن الرسول ﷺ ندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد يرد سؤال هنا ألا وهو. كيف جعل الأمر بالمعروف من الصدقات. وهو من فروض الكفاية؟

نقول يتعين هذا الأمر إذا حصل من غيره القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإلا لا يكون من باب الصدقات وقد أشار ابن حجر ـ رحمه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف جـ١ ص ٤٤٦ حديث ١٤٤٥.
ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف م ٣، ٤ جـ٣ ص ٨٣. دار الفكر .
والإمام أحمد في مسنده جـ٤ ص ٣٩٥.
والنسائي في سننه كتاب الزكاة، صدقة العيد م ٥، ٦ جـ٥ ص ٦٤. دار إحياء التراث العربي بيروت.
والدارمي في سننه كتاب الرقائق، باب على كل مسلم صدقة م١، ٢ جـ٢ ص ٣٠٩.

(٢) فتح الباري ابن حجر العسقلاني جـ٣ ص ٣٠٨.

الله ـ إلى هذه المسألة [1] .

٢- وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة. فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة. يجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» [2] .

٣- وفي رواية أخرى عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين وثلاثمائة مفصل فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار» [3].

٤- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» [4].

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٣ ص ٣٠٩.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح كتاب صلاة المسافرين. باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان ... م ١ . ٢ جـ٢ ص ١٥٨.

(٣) المرجع السابق. كتاب الزكاة، باب «بيان أن اسم الصدقة على كل نوع من المعروف» م ٣، ٤ جـ٣ ص ٨٢.

(٤) رواه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف جـ٣ ص ٢٢٨ حديث ٢٠٢٢.

ففي هذه الأحاديث الشريفة ترغيب من المصطفى ﷺ بفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهما سبب في نجاة العبد من النار.

٥- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه كما هو. قال: هات إنك عليه ـ أو عليها ـ لجريء. قلت: فتنة الرجل أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي. قال: ليس هذا أريد ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر قال: إذن لا يغلق أبداً. قلنا أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة. إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمَرْنا مسروقاً فسأله، فقال الباب عمر» [١] .

فهذا الحديث الشريف الصحيح دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في تكفير الذنوب التي تحصل بسبب الفتنة في الأهل والمال والولد والجار. وقد قرنه ﷺ بالصلاة والصوم والصدقة، وهما من أركان الإسلام، فهذا دليل على فضله وعظمته.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة جـ١ ص ١٨٣ حديث ٥٢٥.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في الفتنة التي تموج كموج البحر م ٧، ٨ جـ٨ ص ١٧٣.

وابن ماجة في سننه كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن جـ٢ ص ١٣٠٥ حديث ٣٩٥٥. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار التراث العربي.

٦- وعن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون. إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بُضْع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر[1].

ففي هذا الحديث دليل على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه يقوم مقام الصدقات المادية أو الحسية.

٧- وعن درة بنت أبي لهب[2] ـ رضي الله عنها ـ قالت قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر. فقال يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال: خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم» [3] .

فالرسول ﷺ يبين في هذا الحديث أن من أفضل الناس من اتصف بالصفات المذكورة في هذا الحديث ومنها أن يكون آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر.

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف م ٣، ٤ جـ٣ ٨٢.

(٢) هي دره بنت أبي لهب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ أسلمت وهاجرت إلى المدينة . انظر الإصابة ٤/٢٩٧-٢٩٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٦ ص ٤٣٢.

٨- وروى الأصبهاني من حديث أبي الدرداء عويمر قال: قلت يا نبي الله إن مع الإيمان عملاً؟ قال يرضخ مما رزقه الله. قال: قلت يا نبي الله: أرأيت إن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ به؟ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قال: قلت يا رسول الله إن كان عيياً لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال يعين صانعاً أو يصنع لأخرق. قال: قلت يا نبي الله إن كان أخرق ولا يستطيع شيئاً؟ قال يعين مغلوباً. قال قلت يا نبي الله أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مغلوباً؟ قال ما تريد أن تترك في صاحبك من خير. قال: يمسك أذاه عن الناس. قلت: يا نبي الله إذا فعل ذلك يدخل الجنة؟ قال: ما من مسلم أو مؤمن يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى يدخل الجنة» [١] .

فبين ﷺ في هذا الحديث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخصال التي تُدخل صاحبها الجنة.

ومن المتفق عليه بين الأمة أن العمل الواحد لا ينجي صاحبه من النار ولا يدخله الجنة. ولكن ـ إذا صح هذا الحديث ـ فإننا نقول أن يقوم الإنسان بالمفروضات والواجبات ويركز على بعض الخصال المندوبة فحينئذ يرجى له دخول الجنة .

والله أعلم.

---

(١) الترغيب والترهيب. المنذري. الحث على الصدقة ولو بترك الأذى جـ٢ ص ١٩.. وروى البخاري قريباً منه (عن أبي ذر) كتاب العتق. باب أي الرقاب أفضل جـ٢ ص ٢١٣ حديث ٢٥١٨.

٩- وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن المعروف والمنكر خليقتان ينصبان للناس يوم القيامة. فأما المعروف فيبشر أصحابه ويعدهم الخير وأما المنكر فيقول إليكم إليكم وما يستطيعون له إلا لزوماً» [١].

١٠- وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ما من رجل ينعش لسانه حقاً يُعْمل به بعده إلا أجرى الله عليه أجره إلى يوم القيامة ثم وفاه الله عز وجل ثوابه يوم القيامة» [٢].

فهذان الحديثان يبينان عظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضلهما حيث إن المعروف يبشر صاحبه والنهي عن المنكر يدافع عنه. وأن أجره يجري إلى يوم القيامة طالما أن ذلك العمل ناتج بسبب أمره ونهيه.

فهنيئاً للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لما ينالهم من الثواب الكبير والأجر العظيم في الدار الآخرة.

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٤ ص ٣٩١.

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص ٢٢٦.

الفصل الثاني

في فضل النصيحة وآدابها والدلالة على الخير

إن الإسلام دين الرحمة والعطف، فما شرع الله سبحانه وتعالى الإسلام إلا من أجل أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الشر إلى الخير، فأي أمر شرعه فهو خير للأمة ولو كان ظاهره التأديب والقتل﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾[1]. ولكن الإسلام يسلك بالمسلمين الطريق الأمثل فهو يرشدهم إلى الخير وإلى العلم حتى لا يقعوا في المحظور ومن ثم العقوبة، فشرع النصيحة وجعلها من الدين فلا يكمل دين المرء ما لم يتحل بها لما لها من الفضل العظيم ومن الأثر الكبير على الناصح والمنصوح.

والمسلم المخلص يتمنى ألا توجد المعصية على الأرض ويكون الناس كلهم صالحين مطيعين لله تعالى، فإذا رأى أخاه المسلم على معصية فإنه يتأثر تأثراً كبيراً لأمرين:

أولهما: أن هذا تجرأ وعصى الله تعالى.

وثانيهما: أنه عرض نفسه لعذاب الله تعالى لفعله المعصية.

وانطلاقاً من التوجيهات النبوية حيث يقول الرسول ﷺ :

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية ١٧٩.

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [1] .

ولكن شاءت حكمة اللّه تعالى أن يكـون ابن آدم خطاءً وجعل من سنته سبحانه وتعالى ألا يكون البشر في مستوى واحد من الطاعة فلا بد من وجود المعاصي وإلا لم يكن هناك نار ولا عذاب، وأياً كان هذا المجتمع فلا بد من وجود المعصية فيه قَلّت أو كثرت صغرت أو كبرت وذلك لحكمة يعلمها اللّه تعالى؛ لذلك شرع الإسلام مبدأ النصيحة لكي تكون من الوسائل المعينة على ترك المعصية وعدم الإقدام عليها، ولكي تكون حجة على العاصي أمام اللّه تعالى يوم القيامة. كما شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكي يكون وسيلة في عدم وقوع المعصية والدفاع عن شرع اللّه عند وقوعها.

وسوف نتحدث في هذا الفصل عن النصيحة والدلالة على الخير.

تعريف النصيحة:

«نصح» نصح الشيء خلص، والناصح الخالص من العسل وغيره وكل شيء خلص فقد نَصَحَ. والنُّصْحُ نقيض الغش مشتق منه نصحه وله نصحاً ونصيحةً ونَصاحةً ونِصاحة ونَصاحِيَةً قال اللّه تعالى: ﴿ وأنصح لكم ﴾ نَصحاً وهو باللام أفصح [2] .

وقال في القاموس المحيط:

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه جـ١ ص ٢١ حديث ١٣.

(٢) لسان العرب ابن منظور جـ٧ ص ٤٤٣٨.

رجل ناصح الجيب أي لا غش فيه، والناصح العسل الخالص وأنصح الإبل أرواها، وتنصّح تشبه بالنصحاء.. والتوبة النصوح الصادقة [١].

«ونصح» النصح تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه قال تعالى: ﴿ لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ [٢] وقال: ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ [٣] وقال تعالى: ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ﴾ [٤].

وهذا من قولهم نصحت الودّ أي أخلصته وناصح العسل خالصه [٥].

وقال القرطبي:

النصح إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش [٦].

وقال الخطابي:

النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له [٧].

---

(١) القاموس المحيط الفيروزابادي جـ١ ص ٢٦١.

(٢) سورة الأعراف جزء من الآية [٧٩].

(٣) سورة الأعراف الآية [٢١].

(٤) سورة هود جزء من الآية [٣٤].

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٩٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن م ٤ جـ٧ ص ٢٣٤.

(٧) جامع العلوم والحكم. ابن رجب الحنبلي ص ٧٨.

وقال أبو عمرو بن الصلاح [١] :

النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً [٢] .

وخلاصة هذه التعاريف: أن يخلص الإنسان نيته في قوله وفعله إذا أراد أن ينصح أخاه المسلم وغيره. فلا يقصد بذلك أي غرض من أغراض الدنيا أو الانتصار للنفس أو الانتقاص للمنصوح وأن يبذل جهده في النصح بأن يتحرى أحسن أسلوب لديه.

حكم النصيحة:

اختلف العلماء في حكم النصيحة، فذهب بعضهم إلى أنها فرض عين، وذهب بعضهم إلى أنها فرض كفاية، مع اتفاقهم على وجوبها.

جاء في إرشاد الساري: والنصيحة فرض كفاية على قدر الطاقة إذا علم أنه يقبل نصحه ويأمن على نفسه المكروه فإن خشي فهو في سعة [٣]

وقال ابن مفلح حول قول النبي ﷺ «والنصح لكل مسلم»[٤] : مراده ـ والله أعلم ـ أنها فرض على الكفاية، وقال المروذي: سمعت أبا عبد الله

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي، الشرخاني الشافعي المعروف بابن الصلاح ـ (تقي الدين أبو عمرو) ـ محدث، مفسر، فقيه، أصولي، نحوي، عارف بالرجال مشارك في علوم عديدة.
له تصانيف عدة مع ثقة في الديانة من أشهر مؤلفاته مقدمته في الحديث.
انظر شذرات الذهب ٥/٢٢١-٢٢٢.

(٢) المرجع السابق ص ٧٩.

(٣) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري. القسطلاني. جـ١ ص ١٥١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه.

يقول: قال رجل لمسعر: أتحب أن تُنْصَحَ؟ قال: نعم أما من ناصح فنعم وأما من شامت فلا.

وقال أيضاً: وظاهر كلام أحمد والأصحاب وجوب النصح للمسلم وإن لم يسأله ذلك كما هو ظاهر الأخبار، وقد روى الحاكم في تاريخه عن ابن المبارك أنه قيل له: التاجر يدخل عليه رجل مفلس وأنا أعرفه وهو لا يعرفه أأسكت أم أخبره؟ قال: لو أن خنّاقاً صحبك وأنت لا تعرفه وأنا أعرفه أأسكت حتى يقتلك؟» [1].

والذي يتأمل النصوص الواردة عن النبي ﷺ يتضح له أن النصيحة واجبة على المسلم تجاه أخيه المسلم إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

وسوف نذكر الشروط بعد ذكر الأدلة التي تبين وجوب النصيحة إن شاء الله تعالى.

ذكر الأدلة الموجبة للنصيحة:

١- ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «والنصح لكل مسلم» [2].

٢- ما ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [3].

---

(١) الآداب الشرعية ابن مفلح جـ١ ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) سوف نذكر هذا الحديث برواياته وتخريجاته مع شرحه في «فضل النصيحة» إن شاء الله.

(٣) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان. باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه جـ١ ص ٢١ حديث ١٣.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان. باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير م ١جـ١ ص ٤٩.

فهذا الحديث نص صريح في نفي الإيمان الكامل عن الشخص الذي لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ولا شك أن كل مسلم يحب لنفسه أن يصل إلى درجة عالية من الكمال عند الله تعالى وعند خلقه ولا يحصل ذلك إلا بالتناصح.

وقد يفعل المسلم المعصية أو تسول له نفسه الوقوع فيها وهو يعلم أنها محظورة شرعاً، ولكنه حينما ينصح فسرعان ما يستيقظ ضميره ويندم ويعود إلى رشده. وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب على المسلمين أن ينصح بعضهم بعضاً.

وقال النووي ـ رحمه الله ـ قال العلماء ـ رحمهم الله ـ :

معناه لا يؤمن الإيمان التام ولا أصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة، والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات. قال أبو عمرو ابن الصلاح: وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك على جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئاً من النعمة عليه وذلك سهل على القلب السليم وإنما يعسر على القلب الدغل عافانا الله وإخواننا [١] .

(٣) ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «للمؤمن على المؤمن ست خصال، يعوده إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويشمته إذا عطس، وينصح له إذا

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ١٦، ١٧.

غاب أو شهد» [1] .

ورواه ابن ماجة بلفظ آخر في آخره «ويحب له ما يحب لنفسه» [2] .

«قوله» وينصح له، أي يريد له الخير في جميع أحواله، وهو المراد بقوله «إذا غاب أو شهد» إذ الأحوال لا تخلو عن غيبة وحضور، والمقصود أنه لا يقصر النصح على الحضور كحال من يراعي الوجه بل ينصح لأجل الإيمان فيسوي بين السر والإعلان» [3] .

٤- حديث تميم الداري[4] عن النبي ﷺ أنه قال: «الدين النصيحة... ولأئمة المسلمين وعامتهم» [5] .

فقد جعل الرسول ﷺ عماد الدين وقوامه النصيحة للمسلمين عامتهم وخاصتهم.

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب الاستئذان والآداب. باب ما جاء في تشميت العاطس جـ٤ ص ١٧٦، ١٧٧. حديث ٢٨٨١ وقال الترمذي هذا حديث صحيح.

(٢) ورواه ابن ماجة في سننه. كتاب الجنائز باب ما جاء في عيادة المريض جـ١ ص ٤٦١ حديث ١٤٣٣.

(٣) حاشية الإمام السندي على سنن أبي داود م ٢ جـ٤ ص ٥٣، ٥٤.

(٤) هو تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، صحابي مشهور، كان نصرانياً وأسلم سنة ٩هـ، كثير التهجد، كان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان. مات سنة ٤٠ هـ.

انظر تقريب التهذيب ١/١١٣ وأسد الغابة لابن الأثير ١/٢٥٦.

(٥) سيأتي الحديث بتمامه ورواياته مع شرحه في فضل النصيحة إن شاء الله.

انظر صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٣٦، ٣٧.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على وجوب النصيحة وأنها فرض عين إذا توفرت فيها الشروط التالية:

١- أن يقدر على النصح فلا يكون هناك مانع حسي أو معنوي.

٢- أن يعلم أن المنصوح سوف يقبل نصحه ولم يكن هناك مانع أو توقع رد فعل من جراء النصح، ولا يترتب على النصح وقوع مفسدة. والذي يحدد ذلك الموقف نفسه مع فراسة المؤمن.

٣- أن يأمن على نفسه وماله من المكروه الضارّ.

قال ابن بطال: والنصيحة يجري فيه من قام به ويسقط عن الباقين، والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة» [١].

فالنصيحة عنده فرض كفاية، لكنها تكون فرض عين إذا توفرت الشروط التي ذكرها.

والذي يتأمل النصوص الواردة في فضل النصيحة [٢] فإن إيمانه سيدفعه إلى المسارعة إلى هذا الميدان حتى ولو كانت النصيحة سنة فضلاً من أن تكون فرض كفاية أو فرض عين «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» [٣].

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٣٩.

(٢) سنذكرها في المبحث التالي.

(٣) صحيح البخاري. كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل جـ٢ ص ٣٦١ حديث ٣٠٠٩.

فضل النصيحة والدلالة على الخير:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قول اللهّ تعالى إخباراً عن نوح ـ عليه السلام ـ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ﴾ [١] .

أي أتحرى ما فيه صلاحكم قولاً وفعلاً، وقيل أبلغكم أوامر الله ونواهيه وأرغبكم في قبولها، وأحذركم عقابه إن عصيتموه[٢] .

٢- وقوله تعالى إخباراً عن هود ـ عليه السلام ـ ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ [٣] أي ناصح لكم فيما أدعوكم إليه أمين، على ما أقول لكم لا أكذب فيه[٤] .

٣- ومثل ذلك قوله تعالى حكاية عن نبي الله صالح ـ عليه السلام ـ ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ [٥] .

فهذه النصوص القرآنية تفيد أن النصيحة من أبلغ ما يوجهها الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إلى قومهم، وأنها تؤدي ثمارها في حالة السلب والإيجاب بالنسبة للناصح. فإن قبلها القوم عاد نفعها عليه وعليهم في الدنيا والآخرة، وإن رفضوها فالنتيجة الحتمية هي العذاب لهم والأجر للناصح.

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية [٦٢].

(٢) روح المعاني. الآلوسي م ٤ جـ٨ ص ١٥٢.

(٣) سورة الأعراف آية [٦٨].

(٤) روح المعاني. الألوسي جـ٤ جـ٨ ص ١٥٦.

(٥) سورة الأعراف ٧٩.

إذاً فكل ناصح فهو مأجور على نصيحته مهما كانت النتائج، وذلك إذا خلصت نيته وعمل بتوجيهات الرب سبحانه وتعالى.

الأدلة من السنة المطهرة:

١- ما ورد عن أبي رقية تميم بن أوس الداري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١] .

وفي رواية أبي داود «إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم وأئمة المسلمين وعامتهم»[٢] .

وفي رواية للنسائي: «إنما الدين النصيحة...» وفي رواية له «إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة...»[٣] الحديث.

وفي رواية للترمذي «الدين النصيحة ثلاث مرات...»[٤] الحديث.

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام لحصولها م ١جـ١ ص ٥٣، ٥٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب، باب في النصيحة جـ٤ ص ٢٨٦ حديث ٤٩٤٤.

(٣) رواه النسائي في سننه. كتاب البيعة، النصيحة للإمام م ٤ جـ٧ ص ١٥٦، ١٥٧ «بشرح السيوطي وحاشية السندي» دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٤) رواه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب في النصيحة جـ٣ ص ٢١٧ حديث ١٩٩٠.

وهذا الحديث رواه أبو هريرة وتميم الداري وابن عمر وجرير وحكيم بن أبي يزيد عن أبيه وثوبان[1] .

هذا الحديث وإن اختلفت جمله وتعددت تأكيداته وتنوعت رواياته فمرماه واحد. فهو يعني أن النصيحة من أعظم أمور الدين بل هي أساس الدين. ويتضح ذلك من أقوال العلماء الآتية:

مكانة الحديث:

هذا الحديث جليل القدر وعظيم الشأن .

قال النووي: هذا عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام. وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه؛ بل المدار على هذا وحده[2] .

وقال الحافظ أبو نعيم: هذا الحديث له شأن عظيم. وذكر محمد بن أسلم الطوسي: أنه أحد أركان الدين[3] .

شرح الحديث:

النصيحة لله: معناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه ـ سبحانه وتعالى ـ من جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته،

---

(١) انظر سنن الترمذي جـ٣ ص ٢١٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٣٧.

(٣) جامع العلوم الحكم ابن رجب ص ٧٦.

والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمه وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف في جميع الناس أو من أمكن منهم...»[1] .

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : فالنصيحة لله وصفه بما هو له أهل والخضوع له ظاهراً وباطناً، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في رد العاصي إليه[2] .

إذاً فمعنى النصيحة لله تعالى بأن يكون مطيعاً لله بفعل أوامره وترك نواهيه، ووصفه بصفات الكمال والعظمة وتنزيهه من النقائص.

والنصيحة لكتابه «القرآن الكريم»:

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ هو التصديق به والعمل بما فيه[3] .

وقيل النصيحة لكتاب الله: تعلمه وتعليمه وإقامة حروفه في التلاوة وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه وحفظ حدوده والعمل بما فيه وذب تحريف المبطلين عنه[4] .

وقال النووي ـ رحمه الله ـ : وأما النصيحة لكتاب الله سبحانه وتعالى

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٣٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني جـ١ ص ١٣٨.

(٣) انظر سنن النسائي بشرح السيوطي م ٤ جـ٧ ص ١٥٧ وكذا قال السندي في حاشية المرجع نفسه ص ١٥٨.

(٤) انظر فتح الباري. شرح صحيح البخاري. ابن حجر جـ١ ص ١٣٨.

فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه...»[1] .

وليس كل ما ذكره العلماء من حق كتاب الله على سبيل الوجوب العيني، إذ لا يستطيع كل واحد من الأمة أن يقوم بما ذكره العلماء تجاه كتاب الله تعالى، والمهم في ذلك أن يتعلم كتاب الله ويعلمه ويعمل بأوامره ويجتنب نواهيه بقدر استطاعته.

ومن النصح لكتاب الله تعالى أن يسعى جاداً بإيجاد حلق القرآن في كل المساجد بقدر المستطاع وعلى وجه الخصوص مساجد الأحياء المسكونة، وكلما زادت الكثافة السكانية زادت الأهمية؛ ذلكم أن إقبال شباب المسلمين على المساجد وتعلمهم لكتاب الله تعالى فيه من الخير ما الله به عليم.

وسواء أقام هو نفسه بتدريس كتاب الله تعالى أم سعى بإيجاد معلم عن طريق أية جهة. فالمقصود بذل الجهد تجاه كتاب الله والسعي في تعلمه وتعليمه عبر الوسائل المختلفة وهذا جزء من النصيحة لكتاب الله تعالى.

النصيحة للرسول ﷺ :

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية خصوصاً والبشرية عموماً بالنبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٣٨. باختصار.

ويعلمهم الكتاب والحكمة. ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (١) .

وفي الوقت نفسه مُلئ قلبه بالرحمة والعطف على الأمة فهو حريص على نفعها دنيا وأخرى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

وورد في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ﴾ (٣) الآية، وفي عيسى عليه السلام ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٤) .

فرفع يديه وقال: «اللّهم أمتي أمتي وبكى» فقال الله عز وجل «يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك» فأتاه جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولانسوؤك»(٥).

لهذا وغيره وجب على الأمة حق عليهم تجاهه ﷺ وهو النصيحة له.

---

(١) سورة الجمعة آية [٢].

(٢) سورة التوبة آية [١٢٨].

(٣) سورة إبراهيم جزء من الآية ٣٦.

(٤) سورة المائدة الآية [١١٨].

(٥) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان. باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه وشفقته عليهم جـ١ ص ١٣٢.

ومعناها «تعظيمه بالقلوب وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها والاقتداء به في أقواله وأفعاله ومحبته ومحبة أتباعه»[١] .

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ والنصيحة لرسوله ﷺ الإيمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله، والتمسك بطاعته، وإحياء سنته، وانتشار علومه ونشرها، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة آله وأصحابه ونحو ذلك[٢] .

فالنصيحة للرسول ﷺ هي محبته حباً يفوق محبة النفس والأهل والولد والناس أجمعين.

ورد عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٣] .

والاقتداء به في العبادات والمعاملات، والأخذ والعطاء والحب والبغض، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﷺ .

النصيحة لأئمة المسلمين:

أي إعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة وسد خلتهم

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.ابن حجر جـ١ ص ١٣٨ باختصار وتصرف بسيط.

(٢) ذكر ذلك ابن رجب أبو عمرو بن الصلاح. جامع العلوم الحكم ص٧٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان، باب حب (الرسول ﷺ من الإيمان جـ١ ص ٢١ ، ٢٢ حديث ١٥ ورواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين. .الخ م ١ جـ١ ص ٤٩.

عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم. ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جمله أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم[١] .

وقال الخطابي:

ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، ولا يغرّون بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح[٢] .

ومن أهم النصيحة لهم الاتصال بهم وإخبارهم بعيوبهم بينهم وبينه وبيان حوائج الأمة والمجتمع، والأخطاء التي يقع فيها بعضهم أو بعض المسؤولين، وتوضيح نقاط الضعف لهم ولا سيما التي فيها ضرر على الأمة، وتذكيرهم بالله تعالى وباليوم الآخر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وحثهم على الزهد والورع ونحو ذلك مما فيه مصلحة لهم وللأمة.

وقد وردت بعض الأحاديث في الحث على مناصحة السلطان والدعاء له؛ منها:

ما ورد عن أنس ﷺ : «السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدى»[٣] .

---

(١) انظر فتح الباري جـ١ ص ١٣٨، وانظر إلى صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٣٨.

(٢) ذكر ذلك النووي عن الخطابي في شرحه لمسلم جـ٢ ص ٣٨. وانظر مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن للخطابي جـ٧ ص ٢٤٧.

(٣) انظر كنز العمال. الهندي جـ٦ ص ٥ حديث ١٤٥٨٣.

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح»[1].

وفي رواية:

«لا تشغلوا قلوبكم بسب الملوك ولكن تقربوا إلى الله تعالى بالدعاء لهم يعطف الله قلوبهم عليكم»[2].

فهذه الأحاديث تفيد الحث على مناصحة ولاة الأمور والنصح لهم وإذا كانت النصيحة مطلوبة من الرعية للراعي فإن النصيحة أيضاً مطلوبة من الراعي للرعية. بل ما ورد في ذلك من الأحاديث أصح وأصرح.

ورد في الحديث عن معقل بن يسار ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ «ما من أمير يلي أمور المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة»[3].

وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة»[4].

فالنصيحة من الراعي والرعية مطلوبة وهي في حق الراعي للرعية آكد؛ لأنه إذا صلح وأخلص فالغالب أن ذلك ينعكس على رعيته.

---

(١) المرجع السابق ص ٦ حديث ١٤٥٨٧.

(٢) المرجع السابق حديث ١٤٥٨٨.

(٣) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار م ١ جـ١ ص ٨٨.

(٤) المرجع السابق الجزء والصفحة.

النصيحة لعامة المسلمين:

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي تعني «الشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه»[1] .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : وأما النصيحة لعامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات[2] .

هذه أقوال العلماء في النصيحة لعامة المسلمين. ولقد أوضح الرسول ﷺ مجمل هذه الكلمة بأحاديث أخرى واضحة ومفصلة ومفسرة لهذه الكلمة لا تدع مجالاً لعرفها على حقيقتها. ومن هذه الأحاديث:

ـ ما ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[3] .

---

(١) فتح الباري جـ١ ص ١٣٨.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٣٩.

(٣) رواه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم جـ٤ص ٩٣حديث٦٠١١.

ـ ما صح عنه ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه»[1] .

فالرسول ﷺ شبه المؤمنين وعلاقتهم مع بعضهم كالبنيان الذي يشد بعضه بعضاً في قوته وتماسكه. فكان لزاماً على كل مسلم أن ينصح لأخيه المسلم، فإذا رأى فيه نقصاً في بعض أحواله حاول جاهداً بقدر استطاعته إصلاحه.

وعن جرير بن عبد الله[2] رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[3]. وفي رواية أخرى عن جرير قال: «بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم»[4]. وفي رواية للنسائي «وعلى فراق المشركين»[5].

---

(١) المرجع السابق ص ٩٦ حديث ٦٠٢٦.

(٢) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، صحابي جليل يكنى بأبي عمرو، وقيل بأبي عبد الله. أسلم قبل عشر من الهجرة، اشترك في حروب العراق في زمن عمر رضي الله عنه سكن الكوفة ثم قرقيسيا ومات فيها سنة ٥١ هـ وقيل ٥٤ هـ كان أجمل أهل زمانه حتى عُدَّ يوسف هذه الأمة.

انظر الإصابة ٢٣٢/١.

(٣) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة ... الخ جـ١ ص ٣٦ حديث ٥٧.

(٤) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان، باب بيان لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.... الخ م ١ جـ١ ص ٥٤.

(٥) سنن النسائي. شرح السيوطي. كتاب البيعة. البيعة على فراق المشرك م ٤ جـ٧ ص٤٧.

وفي رواية أبي داود عن جرير «قال: بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن أنصح لكل مسلم. قال[1] وكان إذا باع الشيء أو اشتراه قال: أما إن الذي أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك فاختر»[2] .

فهذا الحديث يفيد بعمومه وروایاته أنه يجب أن ينصح المسلم لأخيه المسلم في جميع جوانب الحياة وليس في جانب واحد بل دنيا وأخرى. وهذا الأمر هو الذي فهمه الصحابة - رضي الله عنهم - من توجيهات الرسول ﷺ في النصيحة للمسلمين. ولذلك نجد أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يطبقون ذلك في حياتهم العملية ولا أدل على ذلك مما فعله راوي الحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه فقد ذكر النووي في شرح مسلم: أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً، فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن. فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم. ثم لم يزل يزيدُ مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها. فقيل له بذلك فقال إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم[3] .

هكذا يفعل صحابة الرسول ﷺ في النصح للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم ولنا فيهم أسوة ﴿ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ﴾[4] .

---

(١) أي راوي الحديث عن جرير وهو أبو زرعة بن عمرو.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب، باب في النصيحة جـ٤ ص ٢٨٦ حديث ٤٩٤٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٤٠.

(٤) الممتحنة آية [٦]

ـ وما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حق المسلم على المسلم ست» قيل: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[2] .

ـ وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه»[3] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمن على المؤمن ست خصال ثم ذكرها ومنها«وينصح له إذا غاب أو شهد»[4] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه جـ١ ص ٢١ حديث ١٣.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام. م ٤ جـ٧ ص ٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه. أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تشميت العاطس جـ٤ ص ١٧٦ حديث ٢٨٨٠.

(٤) المرجع السابق الجزء والصفحة حديث ٢٨٨١. وقال الترمذي حديث صحيح.

والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه[1] .

فهذه الأحاديث المتقدمة تبين فضل النصيحة ولزومها بين المسلمين فقد جعلها الرسول ﷺ من الحقوق اللازمة وفي بعض الروايات من المعروف فإن لم تكن واجبة فهي مؤكدة الاستحباب.

فعلى كل مسلم أن يسارع إلى هذا الباب العظيم ولا سيما وأن الرسول ﷺ قال في آخر حديث من الأحاديث التي ذكرناها في فضل النصيحة «المؤمن مرآة المؤمن» فكأن المسلم ينظر إلى أخيه المسلم ويحاول أن يكمله من جميع النواحي، كما أن المشاهد للمرآة لا يشاهدها إلا من أجل إصلاح نفسه، والتأكد من حسن صورته وهيئته. كذلك الحال بالنسبة للمسلم تجاه أخيه المسلم. ولو عمل المسلمون بهذا الحديث وأمثاله لم يجد العاصون مجالاً للوقوع في المعاصي. ولكن المسلمين متخاذلون يرون إخوانهم صباح مساء كل يوم ـ إلا ما شاء الله ـ يقعون في الهاوية ومع ذلك لا ينصحونهم، بل إن بعض الناس يعيش مع أقربائه في المنزل ويجدهم يتهافتون على المعاصي ومع ذلك لا ينصحهم. نسأل الله العون والسلامة.

فضل الدلالة على الخير:

لما أن كانت الدلالة على الخير جزءاً من النصيحة وفرعاً منها حيث إن الهدف منها إرشاد الناس إلى طريق الخير وتحذيرهم من طريق الشر. فلذلك

---

(١) رواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب، باب النصيحة والحياطة جـ٤ ص ٢٨٠ حديث ٤٩١٨.

أحببنا الإشارة إلى ذكر بعض الأحاديث المرغبة في ذلك لكي تكون دافعاً للمسلمين فيهبوا لتنمية الخير وتكثيره وإصلاح ما فسد أو ما يحتمل الفساد ومن هذه الأحاديث:

١- ما ورد عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه» فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى فقال: «أين علي» فقيل: يشتكي عينيه فدعا له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء. فقال نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يُهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»(١) .

وفي رواية «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيهم يُعْطى» وفي رواية «كلهم يرجو أن يعطاها» فقال: «أين علي...» الحديث حتى قال في هذه الرواية «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً...»(٢) الحديث.

قال النووي ـ رحمه الله ـ في معنى قوله ﷺ «فوالله لأن يهدي الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الجهاد والسير. باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة. جـ٢ ص ٣٤٤، ٣٤٥ حديث ٢٩٤٢.

(٢) المرجع السابق. باب فضل من أسلم على يديه رجل جـ٢ ص ٣٦١ حديث ٣٠٠٩، المرجع السابق كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب جـ٣ ص ٢١، ٢٢ حديث ٣٧٠١، المرجع السابق كتاب المغازي، باب غزوة خيبر جـ٣ ص ١٣٧، ١٣٨ حديث ٤٢١٠.

بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وبيان تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها لو تصورت، وفي هذا الحديث بيان فضل العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة[1] .

ففي هذا الحديث يبين الرسول ﷺ الأجر الكبير والفضل العظيم الذي يحصل عليه المسلم إذا اهتدى على يديه أحد من الناس. فهداية رجل واحد على يديه خير له من الدنيا وما فيها؛ فكيف إذا اهتدى على يديه أكثر من واحد ؟!

٢- وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم. قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من وَرق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه. فقال رسول الله ﷺ :«من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[2] .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي. كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - م ٥ جـ١٥ ص ١٧٨، ١٧٩.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة م ٤ جـ٨ ص ٦١.

٣- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[1] .

٤- وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من دل على خير فله مثل أجر فاعلة»[2] .

٥- وعن أنس ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل يستحمله فلم يجد عنده ما يحمله فدله على آخر فحمله. فأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال: «إن الدال على الخير كفاعله»[3] .

فهذه الأحاديث العظيمة تحث المسلمين على المسارعة إلى فعل الخير والدلالة عليه وفتح أبوابه للناس. ومهما قل هذا الخير فقد يجعل الله تعالى من الخير القليل خيراً كثيراً. وكم من أسرة بل من قبيلة صلحت واهتدت بسبب دعوة واحد أو اهتداء واحد من أفرادها فانعكس ذلك على الأسرة أو القبيلة كلها. ولو تأمل الناس في قوله ﷺ :«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[4] وقوله «الدال على الخير كفاعله»[5] .لكان ذلك

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٦٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه. أبواب العلم، باب ما جاء أن الدال على الخير كفاعله. جـ٤ ص ١٤٧ حديث ٢٨٠٩.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

كافياً لأن يكون دافعاً قوياً يتحرك به الإنسان ويرشد الناس وينصحهم، ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر؛ لأن كل من يهتدي بسبب دعوته ونصحه وإرشاده فإن له قسطاً كبيراً من الحسنات تماثل الحسنات التي حصل عليها المهتدي، وهي أيضاً لا تؤثر على ما حصل عليه المهتدي. فيا له من فضل عظيم ودافع كبير يحصل بسبب النصيحة والدعوة إلى الخير والدلالة عليه.

فهنيئاً لمن سمع توجيهات المصطفى ﷺ وانطلق منفذاً لها في المجتمع.

ونزيد الأمر وضوحاً برواية ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين :رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[1] .

فالإسلام حرم الحسد لكنه أباح بل شرع هذا النوع من الحسد؛ لأنه يختلف عن الحسد الآخر والذي ينتج عنه الحقد والبغض والتنافر. فهذا من نوع، وذاك من نوع آخر، فالحسد المشروع المشار إليه في هذا الحديث يحصل بسببه التنافس في الأمور المشروعة التي يعود نفعها ومصلحتها على الأمة الإسلامية. فيحصل بسببه إغناء الفقراء والمحتاجين ونشر العلم وتعليم الجاهل. ومجتمع هذا طابعه فليبشر بالسعادة في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها م ـ جـ٢ ص ٢٠١.

آداب النصيحة

أولاً: الإخلاص في النصح:

من أهم آداب النصيحة الإخلاص في النصح بحيث لا يرجو من نصيحته إلا الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة. فلا يكون هدفه من النصيحة طمعاً مادياً أو غرضاً دنيوياً. ولا يكون هدفه من النصيحة الرياء أو السمعة. أو لكي يقال فلان مشهور بنصح الناس ونحو ذلك.

فكل هذه الأمور تؤثر في قبول النصيحة عند الله تعالى وعند المنصوح. ولقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بإخلاص نياتهم وأعمالهم وعباداتهم له ـ سبحانه ـ ولا شك أن النصيحة من أهم العبادات يقول تعالى مخاطباً رسوله وآمراً أن يخاطب الأمة بذلك:

﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾[1] . وقوله: ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ [2] . وقال تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [3] . وقال تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾[4].قال القرطبي: أي الذي لا يشوبه شيء. ونقل عن ابن العربي قوله: هذه الآية دليل على وجوب النية في كل عمل... »[5] .

فهذه الآيات تبين الارتباط الوثيق بين العمل والإخلاص فلا يقبل عمل بدون إخلاص مهما كبر هذا العمل.

---

(١) سورة الزمر الآية [١١].
(٢) سورة الزمر الآية [١٤].
(٣) سورة البينة جزء من الآية [٥].
(٤) سورة الزمر جزء من الآية [٣].
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٨ جـ١٥ ص ٢٣٢.

ويقول تعالى ﴿ إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾ [١] .

فقد رتب الله سبحانه وتعالى التوفيق بينهما عند وجود النية الصالحة الحسنة.

يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية :«فجعل سبحانه وتعالى صلاح النية سبباً في التوفيق بين الزوجين»[٢] .

وقال أبو العالية[٣] في قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ﴾ [٤] قال وصاهم بالإخلاص[٥] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[٦] الحديث.

فهذا الحديث يبين أن كل عمل مرتبط قبوله ورده بالنية فإن كانت

---

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم [٣٥].

(٢) المرجع السابق م ٣ جـ٥ ص ١٧٤.

(٣) هو رفيع بن مهران الرياحي ـ أبو العالية ـ مولاهم البصري من كبار التابعين. أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لسنتين. ثقة. عالم بالقرآت. مات سنة ٩٠ هـ.

انظر تهذيب التهذيب ٣/٣٨٤-٣٨٦.

(٤) سورة الشورى جزء من الآية [١٣].

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١ ص ١١.

(٦) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جـ١ ص ١٣ حديث ١.

النية صادقة صالحة وفق صاحبها لقبول عمله ونجاح مقصده ـ غالباً ـ وإلا رُدَّ ذلك العمل وأخفق في الوصول إلى المقصد[1] .

وقد نقل ابن رجب ـ رحمه الله ـ بعض الآثار عن بعض السلف تبين أهمية النية ودورها في قبول العمل، منها ما ورد عن عبد الله بن مطرف قال: «صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية».

وعن ابن المبارك قال: «رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية...»[2] .

ثانياً: مراعاة المقام:

فإن كان الناصح مخلصاً في نصيحته ولا يرجو بها إلا الله سبحانه وتعالى ولكنه لم يراع مناسبة المقام وبالتالي قد لا يوفق في نصيحته. لذا كان من المهم جداً أن يفطن الناصح لهذا الأمر وهو مناسبة المقام للنصيحة. وعلى الناصح أن يراعي النقاط التالية:

١- ألاَّ يكون المنصوح مشغولاً بأمر ما. فإنه إذا كان مشغولاً فلن يعطيك جلّ اهتمامه، فمن الخطأ أن توقفه وتحدثه عن خطأ وقع فيه وهذه حاله. فلن ينفتح إليك صدره ولو جامل وفتح لك أذنيه. وربما نفر منك، وربما أطلق لسانه عليك طالباً البعد عنه، كل ذلك بسبب عدم مراعاة المقام.

٢- ألاَّ يكون الشخص مع أحد أصدقائه أو أقاربه؛ لأنه إذا كان

(١) سيأتي شرح الحديث كاملاً ـ إن شاء الله ـ في صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحديث عن الإخلاص وأثره في قبول العمل ونجاح المقاصد.

(٢) انظر جامع العلوم والحكم. ابن رجب ص ١٢.

كذلك فقد لا يقبل النصح؛ لأنه يحب أن يظهر أمامهم بالكمال وأنت تنتقصه، وربما أخذته العزة بالإثم ووقع في محذور أكبر مما وقع فيه من قبل.

٣- وعلى ذلك يقاس بعض الأحوال. فالناصح يجب أن يكون مثل الصياد الذي يحتال للصيد. فهو يسلك طريقاً خفياً حتى يصل إلى صيده. وهكذا الناصح يسلك طريقاً جيداً حتى يصل إلى قلب المنصوح.

ثالثاً: أن يكون المنصوح منفرداً:

فكما أشرنا من قبل يحاول الناصح ألاّ ينصح أخاه المسلم إلا وهو منفرد به حتى يستطيع أن يتحدث معه في أي موضوع وبوضوح فلا يخشى رد فعل في ذلك.

ولقد أوصى السلف رضوان الله عليهم بهذا الجانب لأهميته قال أبو حاتم البستي[1] : النصيحة تجب على الناس كافة ... ولكن إبداءها لا يجب إلا سراً؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ومن وعظه سراً فقد زانه. ونقل عن ابن المبارك قوله: «كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره في ستر ونهاه في ستر فيؤجر في ستره ويؤجر في نهيه » ثم قال أبو حاتم: النصيحة إذا كانت نعت ما وصفنا ـ أي سراً ـ تقيم الألفة وتؤدي حق الأخوة»[2] .

---

(١) هو العالم الحبر والعلامة البحر أبو حاتم محمد بن حبان. أحمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي، الشافعي. صاحب المسند الصحيح كان حافظاً في الحديث ثبتاً، إماماً حجة. صاحب التصانيف منها: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . مات ٣٥٤ هـ في بست.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١٩٤ . ١٩٥ باختصار.

وقد روي عن الشافعي[1] ـ رحمه الله ـ أنه قال:

تعمدني بنصحك في انفرادي   وجنبني النصيحة في الجماعةْ
فإن النصح بين الناس نوع   من التوبيخ لا أرضى استماعهْ
وإن خالفتني وعصيت قولي   فلا تجزع إذا لم تعط طاعةْ[2]

رابعاً: أن يكون عالماً بما ينصح فيه:

فينبغي للناصح أن يكون متأكداً عما يريد أن ينصح فيه إما برؤية أو بإخبار ثقة هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن يكون لديه علم شرعي في هذا الجانب الذي سوف يتكلم فيه فيكون معه أدلة من الكتاب والسنة والقول الصحيح، حتى يكون ذلك عوناً له في قبول نصيحته؛ لأن بعض المنصوحين قد يكون لديه قوة في الحجة والمنطق فيسد الباب على الناصح ومن ثم يكون موقفه محرجاً[3].

---

(١) هو الإمام الكبير الجليل أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، فقيه عصره ينسب له المذهب الفقهي المعروف. حفظ القرآن وهو ابن ٧ سنين والموطأ وهو ابن ١٠ سنين وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي فقيه مكة وعمره ١٥ سنة. لازم الإمام مالك في المدينة ثم أقام في بغداد، ثم مصر. له مؤلفات كثيرة منها: الرسالة والأم، والأمالي الكبرى...الخ مات سنة ٢٠٤هـ.

انظر شذرات الذهب ٢/٩ وما بعدها.

(٢) ديوان الإمام الشافعي ص ٧٩.

(٣) سوف نتكلم عن ذلك بالتفصيل في صفات الآمر بالمعروف ... إن شاء الله.

خامساً: أن يستخدم الحكمة والأسلوب الحسن:

لقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ رسوله ﷺ بأن يدعو الناس بالأسلوب الحسن الهين السهل القريب الذي يجعل المنصوح يخجل فإن لم يقبل النصيحة حقيقة قبلها مجاملة. يقول تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [1] .

ويقول تعالى: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [2] .

والذي يسلك هذا الطريق فإنه يرى النتيجة بأم عينيه[3] .

سادساً: ألاّ يكون هدفه انتقاصاً:

فمن المهم جداً إشعار المنصوح بأن المقصود من النصيحة الرغبة الصادقة في إرادة الخير له ومحبته، وأنه لا يريد منه على ذلك جزاءً ولا شكوراً، وأن الذي دفعه لنصحه خوفه عليه من الوقوع في غضب الله تعالى.

ومتى شعر المنصوح بذلك فإنه في الغالب يقبل النصيحة.

هذه بعض الآداب التي ينبغي أن يأخذ بها الناصح وهناك آدابٌ أخرى تركناها للاختصار، وما ذكرناه فيه كفاية.

والله أعلم.

---

(١) سورة النحل جزء من الآية [١٢٥].

(٢) سورة فصلت جزء من الآية [٣٤].

(٣) سيأتي مزيد من التفصيل في ذلك في صفات الآمر بالمعروف إن شاء الله.

الفصل الثالث

في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطه

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أركان يقوم عليها ولكل ركن شروطه وهذه الأركان:

المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب.

أو هي: الآمر، والمأمور، والمأمور فيه، ونفس الأمر. قال الغزالي: اعلم أن الأركان في الحسبة عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة: المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب[١] .

الركن الأول: المحتسب[٢]

وهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

ويشترط فيه شروط منها ما هو متفق عليها ومنها ما هو مختلف فيها.

فالشروط المتفق عليها:

ـ الإسلام.

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ١٤.

(٢) قال الماوردي: الفرق بين المتطوع والمحتسب من تسعة أوجه:

أحدها: أن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية وفرضه على غيره داخل في فروض الكفاية.

الثاني: أن قيام المحتسب من حقوق تصرفه الذي لا يجوز أن يتشاغل عنه وقيام =

- والتكليف.

- والاستطاعة.

واختلفوا في شرطين هما:

العدالة. وإذن الإمام.

قال ابن النحاس: يشترط لإيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المتطوع به من نوافل عمله الذي يجوز أن يتشاغل عنه بغيره.

الثالث: أنه منصوب للاستعداء إليه فيما يجب إنكاره. وليس المتطوع منصوباً للاستعداء.

الرابع: أن على المحتسب إجابة من استعداه وليس على المتطوع إجابته.

الخامس: أن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ليأمر بإقامته وليس على غيره من المتطوعة بحث ولا فحص.

السادس: أن له أن يتخذ على إنكاره أعواناً لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب ليكون له أقهر وعليه أقدر وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعواناً.

السابع: أن له أن يعزر في المنكرات الظاهرة التي لا يتجاوز إلى الحدود وليس للمتطوع أن يعزر على منكر.

الثامن: أن له أن يرتزق على حسبته من بيت المال ولا يجوز للمتطوع أن يرتزق على إنكار منكر.

التاسع: أن له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع كالقاعد في الأسواق وإخراج الأجنحة فيه فيقر وينكر من ذلك ما أراه اجتهاده إليه وليس للمتطوع هذا..[1] قلت: وفي هذه الفروق نظر، فإذا كان المتطوع قادراً مستطيعاً فإنه يتفق مع المحتسب من ثمانية الوجوه المذكورة وغيرها ويخالفه من وجه واحد فقط ألا وهو أخذ الأجرة على الاحتساب فالمحتسب له ذلك. والمتطوع ليس له ذلك. والله أعلم.

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٤٠. دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ.

اتفاقاً بين العلماء ثلاثة شروط:

الإسلام والتكليف والاستطاعة. واختلفوا في شرطين هما: العدالة والإذن من الإمام[1] .

الشروط المتفق عليها

الشرط الأول: الإسلام:

هذا الشرط من أهم الشروط بل هو أساسها؛ لأن الحسبة ضرب من الولايات ولا ولاية للكافر على المسلم. يقول تعالى: ﴿ ولن يجعل اللّه للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾[2] . ولأن الهدف من الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة شرع اللّه تعالى ومطالبة الناس بفعل الأوامر وترك النواهي وهذا لا ينبغي إلا للمسلم. =

لأن الكافر كله منكر فكيف يسوغ له إنكار المنكر.

يقول الماوردي: وأما الإسلام فلا يخفى وجه اشتراطه؛ لأن هذه نصرة للدين فكيف يكون من أهله وهو جاحد لأهل الدين وعدو له وممنوع منه لما فيه من السلطنة وعز الأحكام؟ والكافر ذليل لا يستحق أن ينال عز التحكيم على المسلم[3] .

---

(١) الموازين مختصر تنبيه الغافلين للإمام ابن النحاس. اختصار وتهذيب رجائي بن محمد المصري المكي. الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. القاهرة ط الأولى ١٤٠٩ هـ.

(٢) سورة النساء جزء من الآية [١٤١].

(٣) الرتبة في طلب الحسبة. مخطوط. جامعة الإمام. رقم(٤٩٥) باختصار.

ويقول ابن الأخوة: ومن شروط المحتسب أن يكون مسلماً[1] ويقول المجيلدي[2] : ومن شروطه ـ يعني المحتسب ـ أن يكون مسلماً[3] وبعض العلماء يعبر بالإيمان بدلاً من الإسلام والمقصود واحد.

يقول الغزالي: وله شروط ـ أي المحتسب ـ وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً. ثم يقول: وأما الشرط الثاني وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه[4] فمرة عبر بالإسلام وأخرى بالإيمان،

ويقول الشهاوي: ويشترط «أن يكون المحتسب مؤمناً»[5] ومع أن هذا الشرط متفق عليه فإن بعض العلماء لم يذكره والسبب في ذلك أن هذا الشرط واضح ومعروف إذ لا يقبل أي عمل من الأعمال إلا بالإسلام لذلك لم يذكره بعضهم.

يقول الأستاذ عباس معتوق: وعند استعراض هذه الشروط[6] نجد أن شرط الإسلام لم يتعرض له معظم الفقهاء على اعتبار أنه أمر طبيعي[7].

والمهم أن نعرف أن شرط الإسلام في المحتسب شرط أساسي لا بد من توفره فيه.

---

(١) معالم القربة. ابن الأخوة. ص ٥١.

(٢) هو أحمد بن سعيد المجيلدي أبو العباس قاضي من فقهاء المالكية بالمغرب. توفي بفاس سنة ١٠٩٤هـ الأعلام ٢٠ جـ١ ص ١٣١.

(٣) التيسير في أحكام التسعير. المجيلدي ص ٤٣.

(٤) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ١٤، ١٥. دار الفكر.

(٥) الحسبة في الإسلام. الشهاوي ص ٤٣ مطبعة دار العروبة ١٣٨٢هـ القاهرة.

(٦) يقصد بذلك شروط المحتسب.

(٧) نظام الحسبة في العراق ص ٩٤. الطبعة الأولى بمطابع دار البلاد بجدة.

الشرط الثاني: التكليف:

ويقصد بالتكليف البالغ العاقل إذ أنه مناط التكليف بأحكام الشرع عموماً. والحسبة حكمها الوجوب كما تقدم بإجماع العلماء على ذلك[1] ولا وجوب إلا على المكلف وأما غيره فلا يلزمه أمر ولا نهي.

يقول ﷺ: رفع القلم عن ثلاث، عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى - في رواية - عن المجنون حتى يعقل أو يفيق، وعن الصبي حتى يكبر - وفي رواية حتى يحتلم»[2] .

يقول عبد الوهاب خلاف[3] : يشترط للمكلف لصحة تكليفه شرطان أحدهما: أن يكون قادراً على فهم دليل التكليف بأن يكون في استطاعته فهم النصوص التي يكلف بها من القرآن والسنة بنفسه أو بوساطة. والقدرة على فهم أدلة التكليف إنما تتحقق بالعقل؛ لأن العقل أداة الفهم والإدراك وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال.

---

(١) انظر الصفحة «٦٣، ٦٤» من هذا البحث.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الحدود، باب المجنون يسرق أو يصيب حداً جـ٤ ص١٣٩، ١٤٠ حديث ٤٣٩٨.

ورواه الإمام أحمد في المسند جـ٦ ص ١٠٠، ١٠١.

ورواه الدارمي في سننه. كتاب الحدود، باب رفع القلم عن ثلاثة م.، ٢ جـ٢ ص ١٧١ وقال الألباني حديث صحيح. انظر إرواء الغليل جـ٢ ص ٤ حديث ٢٩٧.

(٣) عبد الوهاب خلاف ولد سنة ١٨٨٨م في شهر مارس بكفر الزيات في مصر حفظ القرآن صغيراً والتحق بالأزهر تولى مناصب شرعية كثيرة وتوفي في ٢٠/١/١٩٥٦ م.

ولما كان العقل أمراً خفياً لا يدرك بالحس الظاهر فقد ربط الشارع التكليف بأمر ظاهر يدرك بالحس هو مظنة للعقل وهو البلوغ، ومن يبلغ الحلم من غير أن تظهر عليه أعراض الخلل بقواه العقلية فقد توافرت فيه القدرة على أن يكلف، وعلى هذا لا يكلف المجنون والصبي لعدم وجود العقل الذي هو وسيلة فهم دليل التكليف.

أما الشرط الثاني: فهو أن يكون المكلف أهلاً لما كلف به، والمقصود بالأهلية في مقامنا هذا أهلية الأداء لا الوجوب. وأهلية الأداء معناها: صلاحية المكلف لأن تعتبر شرعاً أقواله وأفعاله بحيث إذا صدر عنه الشيء منها كان معتبراً شرعاً، وترتب عليه حكم الشرع...»[1].

لذا اشترط العلماء في المحتسب أن يكون مكلفاً ـ بالغاً عاقلاً ـ .

قال الماوردي: وأما التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه[2] .

ويقول عبد القادر عودة: يشترط فيمن يأمر وينهى عن المنكر أن يكون مكلفاً أي مدركاً مختاراً وهذا الشرط لازم إذا نظر إلى وجوب الأمر والنهي لأن ترك القيام بالواجب يؤدي إلى مسؤولية التارك. ولا مسؤولية على غير المكلف طبقاً لقواعد الشريعة العامة، وعلى هذا فالأمر والنهي عن المنكر باعتباره واجب لا يجب إلا على المكلف[3] .

---

(١) علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف ص ١٣٤.١٣٦ باختصار.ط دار القلم الكويت. وانظر الإحكام في أصول الأحكام. الآمدي م ١، ٢، جـ١ ص ١٥١، ١٥٢ المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

(٢) الرتبة في طلب الحسبة. مخطوط. مكتبة جامعة الإمام رقم (٤٩٥) ص ٤.

(٣) التشريع الجنائي. عبد القادر عودة جـ١ ص ٤٩٦.

ومع أن العلماء يشترطون هذا الشرط إلا أنهم يجيزون للصبي المميز الذي لم يصل إلى سن التكليف الأمر والنهي وأنه يثاب عليه وأنه ليس لأحد منعه من ذلك؛ لأن الأمر والنهي قُرْبَة وهو من أهلها، كفعله للصلاة وسائر العبادات.

يقول الغزالي: أما الشرط الأول وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر. وأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل، حتى إن الصبي المراهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر، وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي وإذا فعل ذلك نال به ثواباً، ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف فإن هذه قُرْبَة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات...[1] .

قلت: لو قُصر الأمر له بالتغيير باللسان والقلب لكان أولى؛ لأن فعله قد يؤدي إلى ارتكاب ضرر أكبر وذلك من وجهين:

أحدهما: أن يضر بنفسه؛ لأن النفس المأمورة لا تقبل في الغالب ممن هو أصغر منها فربما أخذت المأمور العزةُ بالإثم فأوقع الضرر عليه. لكن إذا أمن من هذا الجانب، أو كان المنكر مع شخص يماثله، أو يقاربه في السن، فله ذلك.

ثانياً: عدم ضبطه للإتلاف فربما أدى به الفعل إلى إتلاف أشياء غير مأمور بها شرعاً. والله أعلم.

والعلماء الذين يجيزون له ذلك في الغالب لا يفصلون كيفية الإنكار ولعلهم يقصدون إنكاره باللسان والقلب.

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ١٤، ١٥.

يقول ابن النحاس: إن التكليف شرط لوجوب سائر العبادات. فلا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مجنون أو صبي؛ لأن القلم مرفوع عنهما. ولكن لو أنكر الصبي المميز جاز وأثيب على ذلك ولم يكن لأحد منعه لأنه قربة إلى الله وهو من أهل أدائها لا من أهل وجوبها. ثم قال بعد ذلك: قاله الغزالي والرافعي والنووي رحمهم الله وغيرهم ولا أعلم في ذلك خلافاً..»[1]

وقال ابن مفلح: وللمميز الإنكار ويثاب عليه لكن لا يجب[2] وكثير من العلماء الذين سلكوا هذا الطريق لا يفصلون في كيفية إنكار المميز للمنكر.

الشرط الثالث: الاستطاعة:

وهذا الشرط مأخوذ من قواعد الشريعة العامة وهي عدم تكليف المسلم ما لا يطيق. وهذا من سماحة الدين الإسلامي وعظمته وواقعيته في مراعاة ظروف الناس وأحوالهم. يقول تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾[3] .بينّ سبحانه وتعالى أنه لا يكلف أحداً فوق طاقته.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية: أي لا يكلف أحداً فوق طاقته وهذا من لطفه بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم[4] .

---

(١) الموازين، مختصر تنبيه الغافلين. ابن النحاس ص ١٥.

(٢) الآداب الشرعية. محمد بن مفلح جـ١ ص ١٨١.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية [٢٨٦].

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ ١ ص ٣٤٢.

وقوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [1] .

وقوله ﷺ «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه»[2] .

وقوله ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3] .

فهذه النصوص صريحة الدلالة في أن الإنسان لا يفعل أموراً فوق طاقته وأن الشرع لا يأمره بذلك.

وسوف نتحدث عن هذا الجانب بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الأول من الباب الثالث بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة التغابن جزء من الآية [١٦].

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الاعتصام بالسنة. باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ جـ٤ ص ٣٦١ حديث ٧٢٨٨.

ورواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح قريباً من هذا اللفظ. كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق فيه تكليف وما لايقع ونحو ذلك م ٤ جـ٧ ص ٩١.

ورواه الإمام أحمد في المسند جـ٢ ص ٢٥٨، ٤٤٨.

ورواه النسائي في سننه كتاب الحج في باب وجوب الحج م ٣ جـ٥ ص ١١٠، ١١١.

(٣) رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان. باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص م١/جـ١ ص ٥٠.

الشروط المختلف فيها

١- *العدالة:*

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في ذلك، فمنهم من رأى العدالة شرطاً في الاحتساب فلا يأمر إلا من كان عدلاً ملتزماً بأوامر الإسلام وآدابه. ومنهم من أجاز الاحتساب من الشخص ناقص العدالة.

وقبل أن نذكر أقوال العلماء لا بد من معرفة العدالة، وضابطها عند الفقهاء حتى تتضح المسألة تماماً.

تعريف العدالة في الاصطلاح:

١- تعريف الحنابلة للعدالة: استواء أحواله في دينه، واعتدال أقواله وأفعاله. ويعتبر لها شيئان: الصلاح في الدين وهو أداء الفرائض بسننها الراتبة، واجتناب المحرم فلا يرتكب كبيرة ولا يدمن على صغيرة[١] .

٢- ويعرفها الشافعية بأنها اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر فمن تجنب الكبائر والصغائر فهو عدل. ومن تجنب الكبائر وارتكب الصغائر فكان ذلك نادراً من أفعاله لم يفسق. وإن كان غالباً في أفعاله فسق[٢] .

٣- الأحناف يعرفونها بأنها: استقامة على أمر الإسلام، واعتدال

---

(١) الإقناع في فقه الإمام أحمد. الحجاوي المقدسي. جـ٤ ص ٤٣٧. تصحيح وتعليق عبد اللطيف السبكي. دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) المجموع شرح المهذب. النووي. بتصرف ج ٧ ص ٣٤٣.

العقل ومعارضة الهوى، وليس لكمالها حد يدرك ويُكتفى بأدنى حدودها وهو رجحان جهة الدين والعقل على الهوى والشهوة[1] .

ويعرفها الفخر الرازي من الأصوليين: بأنها هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ـ جميعاً ـ حتى تحصل ثقة النفس بصدقه. ويعتبر فيها الاجتناب عن الكبائر وعن بعض الصغائر...[2] .

قلت ويمكن أن يقال:

العدل: هو الذي استوى ظاهره مع باطنه وطابقت أقواله أفعاله. وفعل الأوامر وترك النواهي والتزم بآداب الإسلام ولم يخالف العرف المحمود.

* * *

---

(١) انظر: البحر الرائق. زين الدين الحنفي. جـ٧ ص ١٠٤. الناشر إيج. إم. سعيد كمبني ـ كراتشي.

وحاشية ابن عابدين جـ٤ ص ٢٢٥. مكتبة ومطبعة الحلبي. مصر ط الثانية ١٣٨٧ هـ.

(٢) المحصول في علم أصول الفقه. الفخر الرازي. جـ٢ القسم الأول ص ٥٧١.

القول الأول:

الذين اشترطوا العدالة في المحتسب وأدلتهم:

وقد ذهب إلى ذلك فريق من العلماء منهم:

١- الماوردي[١] حيث يقول في شروط المحتسب: «أن يكون عدلاً»[٢].

٢- وقال ابن الأخوة في شروط المحتسب: «أن يكون عدلاً»[٣].

٣- وقال المجيلدي في شروط المحتسب: «أن يكون عدلاً»[٤].

٤- وقال الفراء في شروط المحتسب: «أن يكون عدلاً»[٥].

---

(١) أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي كان إماماً في الفقه والأصول والتفسير والعربية. وكان ثقة. اتهم بالاعتزال في بعض المسائل بحسب ما فهم من تفسيره في موافقة المعتزلة فيها كالقدر، ولا يوافقهم في جميع أصولهم.

مات سنة ٤٥٠ هـ.

انظر شذرات الذهب ٢٨٣/٣ وما بعدها.

(٢) الأحكام السلطانية. الماوردي ص ٢٤١. دار الفكر ط٣ ١٣٩٤هـ.

(٣) معالم القربة لابن الأخوة ص ٥١.

(٤) التيسير في أحكام التسعير. المجيلدي ص ٤٣.

(٥) الأحكام السلطانية. القاضي أبو يعلى الفراء. تأليف د. محمد عبد القادر أبو فارس ص ٤١٤. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.

أدلتهم: ولهم أدلة نقلية وأدلة عقلية.

الأدلة النقلية:

ـ قول اللّه تعالى: ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [1] .

قال ابن كثير ـ رحمه اللّه ـ :

كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر اللّه؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنبهوا من رقدتكم وتبصروا من عمايتكم»[2] .

ولا شك أن في ذلك ذماً لهم.

ـ وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [3] .

واستدلوا من السنة بما يلي:

ـ حديث أنس الطويل وفيه أن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تُقرضُ شفاههم بمقاريض من نار، قال: قلت: من هؤلاء؟

---

(١) سورة البقرة آية [٤٤].

(٢) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ١ ص ٨٥.

(٣)سورة الصف آية [٢، ٣].

قال خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم»[1] .

ـ ما ورد عن أسامة بن زيد[2] ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ يجاء بالرجل يوم القيامة فليقى في النار فتندلقُ به أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار ويقولون: يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه. وكنت أنهاكم عن المنكر وآتيه»[3] .

الدليل العقلي:

ـ إن الأدلة الشرعية جاءت تذم من يخالف قولَهُ فعلَه، فكيف يأمر الناس بالمعروف وهو لا يفعله وينهى الناس عن المنكر وهو يفعله، إن ذلك أمر تنفر منه الفطرة السليمة.

ـ إن الأمر بالمعروف القصد منه إصلاح الناس وهدايتهم ودلالتهم على الخير فمن ليس بصالح بنفسه كيف يصلح الآخرين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٣ ص ٢٣١ . ٢٣٩.

(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي. ـ أبو محمد ـ وأبو زيد، صحابي مشهور، مات سنة ٥٤ هـ وهو ابن خمس وسبعين بالمدينة.

انظر تقريب التهذيب ١/٥٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب صفة النار وأنها مخلوقة، جـ٢ ص ٤٣٦ حديث ٣٢٦٧.

ورواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الزهد والرقائق. باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله م ٤ جـ ٨ ص ٢٢٤..

ـ ونقل الغزالي عنهم وجهاً ثالثاً وهو قوله:

«وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة.. فمن ليس بصالح في نفسه، فكيف يصلح غيره؟، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟. ثم قال وكل ما ذكروه خيالات»[1] .

القول الثاني: عدم اشتراط العدالة:

فذهب فريق من العلماء بعدم اشتراط العدالة في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو المحتسب عموماً.

فقالوا يجوز للمحتسب أن يأمر وينهى ولو لم يكن عدلاً ومنهم :

ـ قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ : وأما عدالة المنكِر فاعتبرها قوم وقالوا: ليس للفاسق أن يحتسب، وإنما استدلوا بقوله تعالى: ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [2] وليس لهم في ذلك حجة[3] .

ـ وقال النووي ـ رحمه الله ـ : قال العلماء ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما . فكيف يباح له الإخلال بالآخر[4] ؟.

---

(١) إحياء علوم الدين . الغزالي جـ٣ جـ٧ ص ١٥ .

(٢) سورة البقرة جزء من الآية [٤٤].

(٣) مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامة ص ١٢٤.

(٤) شرح صحيح مسلم. الإمام النووي م ١ جـ٢ ص ٢٣ .

ـ وقال الغزالي: وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول: هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها، فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلاً عمن دونهم..[1] .

ـ وقال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء[2] .

ـ ويقول ابن عبد القوي: في منظومته «الآداب الكبرى»:

ولو كان ذا فسق وجهل وفي سوى الذي قيل فرض بالكفاية ما حدد

يقول السفاريني [3] ـ شارح هذه المنظومة ـ : لو كان ذلك الآمر والناهي «ذا» أي صاحب «فسق» بأن فعل كبيرة ولم يتب منها أو أصر على صغيرة، إذ ليس من شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون فاعله عدلاً في المعتمد بل الإمام والحاكم والعالم والجاهل والعدل والفاسق في ذلك سواء.. وقال أيضاً: والحاصل أنه يجب على كل مؤمن مع الشروط المتقدمة [4] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان فاسقاً أو بغير إذن ولي أو حتى على جلسائه وشركائه في المعصية وعلى نفسه فينكر

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ١٥ .   (٢) المرجع السابق.

(٣) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي (فلسطيني) (الحنبلي) (أبو العون شمس الدين) محدث فقيه، أصولي صوفي، مؤرخ. مشارك في بعض العلوم ولد سنة ١١١٤هـ بسفارين، ومات سنة ١١٨٨هـ.

انظر تاريخ عجائب الآثار للجبرتي ٤٦٨/١ وما بعدها.

(٤) الإسلام، التكليف، القدرة.

عليها لأن الناس مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١) .

وقال الشهيد عبد القادر عودة: يشترط بعض الفقهاء هذا الشرط ـ العدالة ـ فيرون أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يصح أن يكون فاسقاً ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ (٢) .

ويقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ (٣) .

وعندهم أن هداية الغير فرع للاهتداء وتقويم الغير فرع للاستقامة، وأن العاجز عن إصلاح نفسه أشد عجزاً عن إصلاح غيره. ولكن الرأي الراجح لدى الفقهاء أن للفاسق أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأنه لا يشترط في الآمر أو الناهي أن يكون معصوماً عن المعاصي كلها؛ لأن هذا الشرط سد لباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٤) .

أدلتهم:

ـ حديث أبي هريرة الطويل عن النبي ﷺ وفيه «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(٥) .

---

(١) غذاء الألباب. لشرح منظومة الآداب. محمد السفاريني جـ١ ص ٢١٥، ٢١٩ باختصار.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية [٤٤].

(٣) سورة الصف آية [٢].

(٤) التشريع الجنائي في الإسلام. عبد القادر عودة جـ١ ص ٤٩٧، ٤٩٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأيمان والنذور، باب العمل بالخواتيم جـ٤ ص ٢١٠ حديث ٦٦٠٦.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار.. م ١ جـ١ ص ٧٤.

ـ عموم الآيات والأحاديث الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو المتضمنة تخويف من يأمر ولا يفعل أو ينهى ويفعل عامة ولم تشترط العدل في ذلك وتخصيصها يحتاج إلى دليل. وسوف تأتي الإجابة على بعض الأدلة:

ـ إجماع المسلمين من السلف والخلف على جواز الحسبة من كل مسلم، بل وجوبها على كل مسلم مع عدم اشتراط العصمة. والقائل إن المحتسب يجب أن يكون معصوماً يخالف الإجماع أو معظم أقوال العلماء وفي الوقت نفسه سد باب الاحتساب إذ لا عصمة إلا للأنبياء عليهم السلام.

ـ مزاولة الصحابة والتابعين للحسبة وهم غير معصومين وأجابوا عن أدلتهم بالآتي:

١- أما قوله تعالى: ﴿ أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ قال القرطبي ـ رحمه الله ـ إن توبيخ الآية بسبب ترك الفعل بالبر لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذم الله في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها فوبخهم به توبيخاً يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة[1] .

قال الغزالي في قوله تعالى: ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لا من حيث أمروا غيرهم ولكنّ ذكر أمر الغير استدلالاً به على علمهم وتأكيداً للحجة عليهم[2] .

٢- وأما قوله تعالى: ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ فالمقصود به

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٣ جـ٥ ص ٣٦٦.

(٢) إحياء علوم الدين الغزالي. م ٣ جـ٧ ص ١٨.

الوعد الكاذب[1] .

وقال الغزالي نحو ذلك[2] .

٣- وأما حديث «مررت ليلة أسري بي» وحديث أسامة «يؤتى بالرجل» فقال القرطبي ـ رحمه الله ـ دل الحديث الصحيح وألفاظ الآية على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه..»[3] .

الرأي الراجح:

والراجح عند الباحث ـ والعلم عند الله ـ أن المسألة تحتاج إلى شيء من التفصيل:

أولاً: بالنسبة لولاية الحسبة وهي التي يُقام بها بتكليف من الإمام أو نائبه. فإنه يجب على الإمام ألاّ يختار لها إلا من كان عدلاً، فإن لم يجد فالأمثل فالأمثل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : يجب على ولي الأمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل وإذا تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل وإن كان فيه كذب وظلم فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم والواجب إنما هو فعل المقدور[4] .

---

(١) تفسير الكشاف. الزمخشري م ٣ جـ٦ ص ١٠٨.

(٢) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ١٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي م ١ جـ١ ص ٣٦٦.

(٤) الحسبة في الإسلام. شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٤.

ثانياً: بالنسبة للمحتسب المتطوع فإنه لا يخلو من حالين ـ غالباً ـ

أ ـ أن يكون مرتكباً للمنكر الذي ينهى عنه لكنه يتستر ولا يطلع عليه أحد إلا الله. فهذا له أن يأمر وينهى ولو كان يترك المعروف ويفعل المنهي عنه.

ب ـ أن يكون مشهوراً بذلك معروفاً به، فهذا ليس له الإنكار إلا على من هو على شاكلته ويفعل ما يفعله فلهم أن ينكر بعضهم على بعض.

ولعل ذلك أقرب إلى الصواب جمعاً بين النصوص. والله أعلم.

٢- *إذن الإمام:*

اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في هذه المسألة على قولين فبعضهم يشترط إذن الإمام فلا يحق لآحاد الناس الأمر والنهي إلا بإذنه.

وبعضهم يقول إنه لا يشترط لإنكار المنكر إذن الإمام بل لكل واحد من أفراد المسلمين أن يأمر وينهى بغير إذنه.

أقوال العلماء:

ـ قال الغزالي: كونه ـ المحتسب ـ مأذوناً من جهة الإمام أو الوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد، فإن الآيات والأخبار تدل على أن كل من رأى منكراً فسكت عليه عصى، إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين م ٣ جـ٧ ص ١٩.

فالغزالي يرى فساد اشتراط إذن الإمام للمحتسب.

ـ وقال ابن مفلح: ولا ينكر أحدٌ بسيف إلا مع سلطان.

وقال ابن الجوزي: الضرب باليد والرجْل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح أو سيف يجوز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة، فإن احتاج إلى أعوان يشهرون السلاح لكونه لا يقدر على الإنكار بنفسه فالصحيح أنه إذ ذاك يحتاج إلى إذن الإمام؛ لأنه يؤدي إلى الفتن وهيجان الفساد وقيل لا يشترط في ذلك إذن الإمام[1] .

فابن مفلح وابن الجوزي يريان عدم اشتراط إذن الإمام في الإنكار وذلك في الأمور التي لا تحتاج إلى سلاح ونحوه. أما إذا كان هناك حاجة إلى سلاح فلا بد من إذن الإمام.

ـ وقال ابن قدامة: واشترط قوم كون المنكر مأذوناً فيه من جهة الإمام أو الوالي ولم يجيزوا لآحاد الرعية الحسبة وهذا فاسد؛ لأن الآيات والأخبار تدل على أن كل من رأى منكراً فسكت عنه عصى فالتخصيص بإذن الإمام تحكم[2] .

وهذا القول يماثل قول الغزالي تماماً.

ـ وقال ابن الأخوة بعد أن تحدث عن شروط المحتسب: ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين[3] .

---

(١) الآداب الشرعية. ابن مفلح جـ١ ص ١٩٥.

(٢) مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامة ص ١٢٤.

(٣) معالم القربة في أحكام الحسبة. ابن الأخوة. ص ٢٥.

وقال النووي: قال العلماء ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين ثم قال: قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية[1] .

ويقول التفتازاني: كان المسلمون في الصدر الأول وبعده يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر من غير نكير من أحد ولا توقيف على إذن فعلم أنه لا يختص بالولاة بل يجوز لآحاد الرعية القول والفعل[2] .

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [3] قال عمر بن عبد العزيز: ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمولى عليه[4] .

أدلة القائلين بعدم اشتراط إذن الإمام في المحتسب:

١- ما ورد أن مروان بن الحكم لما أخرج المنبر في يوم العيد وبدأ بالخطبة قبل الصلاة مخالفاً بذلك سنة النبي ﷺ قام إليه رجل وقال له

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ٢ ص ٢٣.

(٢) شرح المقاصد. سعد الدين التفتازاني جـ٢ ص ١٨.

(٣) سورة الحج ٤١.

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٣ ص ٢٢٦.

بصريح العبارة: يا مروان خالفت السنة، أخرجت المنبر في يوم عيد، ولم يكن يخرج فيه وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، فأيده على هذا الإنكار أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وقال أما هذا فقد قضى ما عليه[1] وقد ورد نحو من هذه الرواية بطريق أوضح.

٢- ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه، أو يأمر بشيء أمر به.

قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ـ وهو أمير المدينة ـ في أضحى أو فطر. فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجبذت[2] بثوبه فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة. فقلت له غيرتم ـ والله ـ فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم خير مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[3] .

فهذا الحديث والذي قبله يفيد الإنكار باللسان واليد وأنه لم يحتاج إلى إذن إمام بل هو إنكار على الأمير.

---

(١) سبق تخريجه انظر إلى الصفحة [٦٦] من هذا البحث.

(٢) أي جذبت، وهو مقلوب. انظر النهاية في غريب الحديث ابن الأثير جـ١ ص ٢٣٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب العيدين. باب الخروج إلى المصلى بغير منبر جـ١ ص ٣٠٣ حديث ٩٥٦.

٣- وعن الحسن أن عائذ بن عمرو، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد، فقال أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن شر الرعاء الحطمة(١) فإياك أن تكون منهم فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ فقال وهل كانت لهم نخالة؟! إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم(٢) (٣).

٣- ودخل أبو مسلم الخولاني(٤) على معاوية بن أبي سفيان(٥) فقال السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل: أيها الأمير فقال: السلام عليك

---

(١) الحطمة هو العنيف في رعيته، لا يرفق بها في سوقها ومرعاها بل يزحم بعضها ببعض ويحطمها في سعيها ورعيها وغير ذلك «النهاية».

(٢) انظر شرح مسلم. النووي جـ١٢ ص ٢١٦.

(٣) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل م ٣ جـ٦ ص ٩، ١٠.

(٤) هو أبو مسلم الخولاني الزاهد الشامي. اسمه عبد الله بن ثوب وقيل ابن أثوب وقيل غير ذلك. ثقة عابد، رحل إلى النبي ﷺ فلم يدركه عاش إلى زمن يزيد ابن معاوية من الطبقة الثانية.

تقريب التهذيب ٢/٤٧٣.

(٥) هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد مناف القرشي الأموي كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند في الفتح. وقيل كان إسلامه عام القضية إلا أنه كتم إسلامه. كتب لرسول الله ﷺ، تولى أميراً ٢٠ سنة وخليفة ٢٠ سنة توفي سنة ٦٠ هـ وهو ابن ٧٨ سنة.

انظر أسد الغابة ٤/٤٣٣ - ٤٣٦.

أيها الأجير فقالوا: قل أيها الأمير فقال: السلام عليك أيها الأجير فقالوا: قل أيها الأمير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول فقال: إنما أنت أجير استأجرك رب هذه النعم لرعايتها فإن أنت هنأت جرباها، وداويت مرضاها، وحبست أولاها على أخراها، وفاك سيدها أجرك، وإن أنت لم تهنأ[1] جرباها ولم تداو مرضاها ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها[2].

فكل ما تقدم يعد شاهداً على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول به آحاد الناس ولا يحتاج إلى إذن الإمام.

حجة من قال: إنه يشترط إذن الإمام للمحتسب:

١- إن ممارسة الاحتساب سلطة وولاية فلا يجوز ممارستها إلا بتكليف من الإمام.

٢- إن الاحتساب يحتاج إلى قوة وأعوان وهذا لا يتأتى إلا إذا كان بتكليف من الإمام.

٣- إن الحسبة لها مراتبها وللمراتب درجات فلا يعرفها إلا المحتسب وغيره قد يكون ضرره أكثر من نفعه.

٤- إن الاحتساب مهمة من مكنهم الله في الأرض وليس كل الناس ممكناً.

---

(١) هنأها طلاها بالقطران. القاموس المحيط الفيروزابادي جـ١ ص ٣٤.

(٢) انظر السياسة الشرعية. ابن تيمية ص ١٧ ، ١٨.

وقد أجاب من يرى عدم اشتراط الإذن بما يلي:

١- النصوص الواردة في الكتاب والسنة عامة ولم تخصص الأمر والنهي لطائفة دون أخرى.

٢- إنه ليس لأحد أن يقوم بكل جوانب الاحتساب إلا إذا كان مستطيعاً فكل واحد يأمر وينهى على قدر طاقته.

٣- إن الاحتساب ليس خاصاً بمن مكنوا في الأرض بل هو لعموم الناس.

٤- إننا لو قصرنا الحسبة على المكلفين من قبل الإمام فقط لكثر الفساد ولم يجد من يغيره.

القول المختار وبيان الراجح:

إذا تأملنا في القولين السابقين وجدنا أن القول بعدم اشتراط إذن الإمام في الحسبة أقوى وأرجح.

وذلك للأمور التالية:

١- عموم النصوص الواردة في الكتاب والسنة والتي تخاطب المسلمين عموماً ولم تخص طائفة بعينها. مثل قوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [١] . وقوله ﷺ «من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٢] .

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية ١١٠.

(٢) تقدم تخريجه انظر الصفحة (٦٦) من هذا البحث.

٢- الأحداث والوقائع والتي ترجمت تلك النصوص في زمن الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ.

٣- إننا لو قيدنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإذن الإمام لتعطل هذا الباب. فهل كل من شاهد منكراً يذهب لوالي الحسبة أو إلى الإمام ليعطيه إذناً بذلك؟! هذا محال.

تقييد هذا القول:

ولكننا نقول إن هذا القول يحتاج إلى شيء من التقييد، وذلك أن الأمور التي تحتاج إلى سل السيوف وإلى القتال وإقامة الحدود ونحو ذلك لا بد فيها من إذن الإمام سداً للذريعة، وحتى لا تكون الأمور فيها شيء من الفوضى وأما ما عداها فلا وقد أشار الغزالي إلى ذلك[١] .

يقول د. عبد الكريم زيدان: إن اشتراطهم ـ إذن الإمام ـ لا دليل عليه بل إن النصوص تدفعه، لأن كل مسلم يلزمه تغيير المنكر إذا رآه وقدر على إزالته دون اشتراط إذن من الإمام ويؤيد ذلك استمرار السلف الصالح على الحسبة دون إذن من الإمام فضلاً عن أن الحسبة تجري على الإمام نفسه فكيف يحتاج المحتسب إلى إذن منه للإنكار عليه.

وإن اشترطوا الإذن لبعض أنواع الحسبة وهي التي يجري فيها التعزير واتخاذ الأعوان واستعمال القوة فهذا الشرط له وجه قبول لابتنائه على المصلحة؛ لأن إباحة هذا النوع من الاحتساب لكل أحد قد يؤدي إلى الفتنة والفوضى ووقوع الاقتتال بين الناس بحجة الحسبة. وباشتراط الإذن تندفع

---

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي. م ٣ جـ٧ ص ٢٠.

هذه الأضرار فيلزم الإذن؛ لأن دفع الضرر واجب وما يستلزمه هذا الدفع يكون مشروعاً. ومع هذا التوجيه المقبول نرى جواز تغيير المنكر من المتطوع إذا أمن الفتنة، وإن استلزم التغيير اتخاذ الأعوان واستعمال القوة ومباشرة التعزير كلما كان ذلك ضرورياً ولا يحتمل التأخير حتى يتحصل الإذن[1] .

وبهذا يتبين أن الراجح عدم اشتراط إذن الإمام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ذلك لا يكون إلا في الحالات القليلة التي تحتاج إلى إشهار سلاح وقتال ونحو ذلك. والله أعلم.

* * *

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ص ١٨١.

الركن الثاني: المحتسب عليه

وهو فاعل المنكر أو المنكر عليه قبيح فعله ومن يتوجه إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد عرفه بعضهم بقوله:

١- أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكراً، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً[١] .

٢- كل إنسان يباشر أي فعل يجوز أو يجب فيه الاحتساب[٢] إذاً فلا بد أن يكون المحتسب عليه إنساناً ولا حسبة على غير الآدمي؛ لأن الحسبة تقدم على إنكار المنكر لحق الله تعالى وهذا لا يصدر إلا من الإنسان. إذ لا يوصف إتلاف الزرع من البهيمة أو قتلها للإنسان أو إيذاؤها له مثلاً منكراً في حقها حيث إنها ليست إنساناً ـ فلا تكليف إذاً ولا يعتبر منعها من ذلك حسبة.

يقول الغزالي: اعلم أن تسمية ذلك ـ الإنكار على البهيمة ـ حسبة لا وجه له إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر[٣] .

ولكن لو رأى بهيمة استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه منعها ؟ نقول نعم يجب عليه منعها إذا كان باستطاعته ولم يلحقه ضرر بذلك ولا يفوت عليه مصلحة. ولكن لا يُعد ذلك من باب الاحتساب، وإنما هو من

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ٤١.

(٢) أصول الدعوة. د. عبد الكريم زيدان ص ١٨٦.

(٣) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ٤١.

باب التعاون على البر والتقوى، ومن باب الحقوق الواجبة للمسلمين بعضهم على بعض. يقول ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1] ومن حقيقة حبك لأخيك أن تحفظ ماله إذا لم يلحقك ضرر بذلك...

يقول الغزالي:

«فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه؟ فإن قلتم إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره طَوَالَ عمره. وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير. فنقول هذا بحث دقيق غامض، فالقول فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في دينه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك. فذلك القدر واجب في حقوق المسلمين بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة، وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيمان من رد السلام، فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام، بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة. ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر فيه. فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه ذلك[2] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. جـ١ ص ٢١ حديث ١٣.

(٢) إحياء علوم الدين م ٣ جـ٧ ص ٤٣.

الصبي إذا ارتكب أو حاول ارتكاب المنكر:

إذا حاول الصبي ارتكاب المنكر فإنه يمنع منه تعويداً له على الابتعاد عن المنكرات منذ صغره، حتى يشب وقد عرف أن فعل ذلك منكر يكرهه الله ورسوله ﷺ وبالتالي فإنه يشب على طاعة الله تعالى والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

وأما إذا ارتكب المنكر فإنه يؤدب تأديباً يتناسب مع عمره حتى يستقر في ذهنه كراهية مثل ذلك.

قال ابن مفلح:

«ولا ينكر على غير المكلف إلا تأديباً وزجراً»(١) .

وقال أبو عبد الله بن عبد القوي في منظومة الآداب:

وأنكر على الصبيانِ كلَّ محرمٍ　　لتأديبهم والعلم في الشرع للردْ

قال الشارح وإنما ينكر عليهم ـ الصبيان ـ «ل» أجل «تأديبهم، وزجرهم عن ملابسة ما حرمه الله تعالى، ولا فرق بين كون الصبيان ذكوراً أو إناثاً (و) لأجل (العلم في الشرع) المراد بالشرع المشروع من الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه ﷺ فيستحب الإنكار عليهم لذلك يعني لتأديبهم وللعلم أن هذا في الشرع (با) لفعل (الردي) أي القبيح الذي لا ينبغي أن يقر فاعله ولو غير مكلف. فإذا علموا ذلك وقرّ قبحه في صدورهم لم يفعلوه(٢) .

---

(١) الآداب الشرعية. ابن مفلح جـ١ ص ٢٠٩.

(٢) غذاء الألباب. السفاريني جـ١ ص ٢٣٥، ٢٣٦.

وعلى هذا فإنه يحتسب على إنسان مكلف أو غير مكلف إذا صدر منه ما تجرى فيه الحسبة إلا أن الحكم نفسه يختلف من الفاعل فأحياناً يكون حراماً عليه ويعاقب عقوبة تتناسب مع فعله وذلك إذا كان مكلفاً. فأما إن كان غير مكلف فإنه يمنع من ذلك الفعل المحرم ولكن العقوبة تختلف فقد يُكتفى بالمنع فقط وقد يتبع ذلك الزجر والتخويف وقد يتبع ذلك الضرب البسيط حسب الشخص وحسب الفعل.

وخلاصة القول في ذلك: إنه يجب الإنكار على كل إنسان كائناً من كان أسواء كان من الأقارب أم من الأباعد وسواء أكان من عامة الناس أم من خاصتهم على اختلاف طبقات المجتمع ومستوياتهم ومراتبهم من ملك وأمير ووزير. وكل على حسبه وأيضاً على أصحاب الحرف والمهن المختلفة؛ لأن للإسلام حكمه فيما يباشرونه. وهو أداؤه على الوجه الصحيح السليم الخالي من الغش والبخس.

* * *

الركن الثالث: ما فيه الحسبة

وهو المنكر نفسه، الذي تجب إزالته وتغييره سواء أكان كبيراً أم صغيراً.

ورغم أن تغيير المنكر هو عبارة عن نصح وتوجيه وإرشاد ودلالة على الخير والمعروف وإن صحب ذلك تأديب ـ فإن له شروطاً تضبط تغيير ذلك المنكر لأنه فيه ضرب ـ أحياناً ـ أو إتلاف للمال أو نحو ذلك. وهذه الأمور تحتاج إلى شروط حتى لا يقع المنكِر أثناء تغييره في منكر مساوٍ أو أكبر.

شروط إنكار المنكر:

١- كونه منكراً.

٢- وقائماً في الحال.

٣- وظاهراً.

٤- وليس فيه اختلاف.

قال الغزالي:

وهو ـ أي ما فيه الحسبة ـ كل منكر موجود في الحال بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد[1] .

شرح هذه الشروط:

الشرط الأول: كونه منكراً:

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ٧ ص ٣٥.

والمنكر كل أمر نهى عنه الشارع الحكيم سواء أكان هذا الأمر محرماً أم مكروهاً وكل ما كان محذوراً في الشرع.

وكلمة منكر أعم من قولنا معصية فتطلق على كل فعل فيه مفسدة أو نهت عنه الشريعة. وإن كان لا يعتبر معصية في حق فاعله، إما لصغره، أو جنونه ولهذا إذا زنا المجنون أو همَّ بفعل الزنا أو شرب الصبي الخمر كان ما فعلاه منكراً يستحق الإنكار وإن لم يعتبر معصية في حقهما لفوات شرط التكليف وهو البلوغ في الأول والعقل في الثاني[1] بل إن الفعل الذي يخالف ما تعارف عليه المسلمون ولم يكن فيه نص صريح من حيث الكراهة والقبح يكون فيه الاحتساب؛ لأن عُرف المسلمين يتفق - في الغالب - مع قواعد الشريعة[2] فلو أن إنساناً جاء إلى المسجد للصلاة وقد لبس إزاراً من السرة إلى الركبة ووضع على عاتقه شيئاً يسيراً فقط فإن هذا ينكر عليه فعله ولو لم يكن محرماً؛ لأن فعله مخالف لعرف المسلمين ؛ ولأن الطباع السليمة المسلمة تنفر من ذلك؛ ولأنه بفعله عرض نفسه لحديث الناس والوقوع في عرضه.

وكذلك الحال لمن لبس من الرجال الثياب الضيقة أو الخفيفة التي تحدد العورة وتصف البشرة، أو إطالة الشعر لا لقصد السنة وإنما اقتداء بالغرب والمنحرفين فإن مثل ذلك يعتبر منكراً، لأن فيه نوعاً من التشبه بالفساق وأعداء الله.

---

(١) انظر إحياء علوم الدين م ٣ جـ٧ ص ٣٥، ٣٦.
وانظر أصول الدعوة. عبد الكريم زيدان ص ١٧٩.

(٢) وأي عرف يخالف أوامر الشرع فإنه مرفوض ويضرب به عُرْض الحائط.

ويندرج في المنكر جميع المنكرات سواء أكانت من صغائر الذنوب أم من كبائرها، وسواء أكانت تتعلق بحق الله تعالى أم بحق الآدميين.

ولكن يجب أن نعرف بأن الذي يملك الحكم عليه بأنه منكر أو غير منكر (الشرع). لأن هذا الوصف حكم شرعي. والحاكم حقيقة هو الله سبحانه ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ [1] فليس هناك مجال للعواطف والأهواء والأغراض. ودور العلماء في ذلك هو استنباط الحكم الشرعي من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والقواعد المستوحاة منهما. ومن ثم الحكم على هذا الأمر بأنه منكر أو غير منكر[2] .

الشرط الثاني:

أن يكون موجوداً في الحال. وهذا الشرط له ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: أن يكون قد همّ بفعل المنكر.

الحالة الثانية: أن يكون متلبساً بالمنكر.

الحالة الثالثة: أن يكون قد انتهى من فعل المنكر.

تفصيل هذه الأحوال:

الحالة الأولى: أن يكون قد همّ بفعل المنكر: وذلك بأن توجد مقدمات وعلامات ومؤشرات تدل على وقوع المنكر مثل: أن يرى رجلاً يتردد مراراً في أسواق النساء ويصوب النظر إلى واحدة بعينها أو رأى شاباً يقف كل

---

(١) سورة يوسف جزء من الآية ٦٧.

(٢) انظر أصول الدعوة. عبد الكريم زيدان. ص ١٠٢.

يوم عند باب مدرسة بنات ويصوب النظر إليهن. وليس له من حاجة غير ذلك. أو سمع رجلاً يتحدث بالهاتف ـ هاتف الشارع ـ بصوت مرتفع مع امرأة ويحاول أن يرتبط معها بموعد، أو رأى رجلاً يسأل بكثرة عن كيفية تصنيع الخمر، وطريقة تركيبه كل هذه الأمور تعتبر من المقدمات لفعل المنكر. فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في هذه الحالات الوعظ، والنصح، والإرشاد، والتخويف بالله سبحانه وتعالى، وبعقوبته والخوف من عذابه وبطشه. ويذكر له بعض النصوص القرآنية التي تبين أن الله سبحانه وتعالى مطلع عليه يسمع كلامه ويرى مكانه. مثل قوله تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾[1] .

ومثل قوله تعالى: ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [2].

وليكن ذلك بأسلوب فيه لين وعطف وإشفاق وليس فيه تجريح أو رفع صوت أو تشهير فهذه الأمور ربما دفعته إلى حالة تأخذه فيها العزة بالإثم. وليس هناك أحسن من هذا الأسلوب في هذه الحالة. والعلم عند الله.

الحالة الثانية: أن يكون متلبساً بالمنكر:

ومعنى ذلك أن تكون المعصية وصاحبها مباشر لها وقت النهي والتغيير. كمن هو جالس وأمامه كأس الخمر يشرب منه أو كمن هو أدخل

---

(١) سورة المجادلة آية [٧].

(٢) سورة غافر جزء من الآية [١٩].

امرأة أجنبية إلى داره وأغلق الباب عليهما ونحو ذلك. ففي هذه الحال يجب على الآمر بالمعروف والناهي المنكر الإنكار عليه ومنعه من ذلك طالما أنه قادر على إزالة المنكر ولم يخف على نفسه ضرراً أو أذى.

يقول القاضي عياض[1] ـ رحمه الله ـ حق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل ويريق المسكر بنفسه وينزع المغصوب ويرده إلى أصحابه[2] .

والإنكار عليه يكون بحسب فعل المنكر ومرتبة حكمه في الشرع.

الحالة الثالثة: أن يكون فاعل المنكر قد فعله وانتهى منه ولم يبقَ إلا آثاره، كمن شرب الخمر وبقيت آثاره عليه أو من عرف أنه ساكن أعزب وخرجت من عنده امرأة أجنبية ونحو ذلك. ففي هذه الحال ليس هناك وقت للنهي أو التغيير وإنما هناك محل للعقاب والجزاء على فعل هذه المعصية، وهذا الأمر ـ في الغالب ـ ليس من شأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ـ المتطوع ـ وإنما هو من شأن ولي الأمر أو نائبه فيرفع أمره للحاكم ليصدر فيه الحكم الموافق للشرع.

---

(١) هو ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض، القاضي العلامة، عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ، من أهل العلم والذكاء والتفنن، له مؤلفات عديدة منها: كتاب الشفا في شرف المصطفى، ترتيب المدارك في فقه الإمام مالك... الخ.
ولد بسبتة عام ٤٧٦ هـ ومات ٥٤٤ هـ.
انظر تذكرة الحفاظ ١٣٠٤/٤ وما بعدها.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي جـ١ ص ٥١.

يقول العلامة ابن نجيم[1] ... وأما بعد الفراغ منها ـ المعصية ـ فليس ذلك لغير الحاكم[2] .

وللآمر بالمعروف أن يخوفه بالله ويحذره من الوقوع في مثل ذلك مستقبلاً، ويذكّره بآثار المعاصي السيئة في الدنيا والآخرة.

الشرط الثالث:

أن يكون المنكر ظاهراً من غير تجسس.

لقد شمل الإسلام جيمع جوانب الحياة للمسلم وأعطى كل جانب منها حقه وضمن للإنسان أن يعيش في المجتمع آمناً مطمئناً محترماً وموقراً طالما أنه سالك الطريق المستقيم، وأما إذا حاد عن الطريق فإن الإسلام جعل لكل أمر معوج ما يناسبه من التقويم.

ومن الأمور التي شرعها الإسلام لاحترام الإنسان وأمنه النهي عن التجسس عليه.

فلا يجوز لأحد أن يدخل عليه بيته إلا بإذنه يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾ [3] .

---

(١) هو زين بن إبراهيم بن محمد الحصري الحنفي الشهير بابن نجيم، كان بحراً في العلوم، ألف العديد من المؤلفات أشهرها الأشباه والنظائر، وشرح المنار في الأصول.. وغيرها. انظر شذرات الذهب ٣٥٨/٨.

(٢) انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق جـ٥ ص ٤٢.

(٣) سورة النور آية [٢٧].

قال ابن جرير الطبري... ! والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إن الاستئناس الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأنس أهل البيت في الدخول عليهم مخبراً بذلك من فيه وهل فيه أحد ؟ وليؤذنهم أنه داخل عليهم فيأنس إلى إذنهم له في ذلك ويأنسون إلى استئذانه إياهم، وقد حُكي عن العرب سماعاً: اذهب فاستأنس هل ترى أحداً في الدار: فتأويل الكلام إذا كان ذلك معناه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ حتى تسلموا وتستأذنوا وذلك أن يقول أحدهم السلام عليكم أأدخل ؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير إنما هو حتى تسلمواوتستأذنوا[1].

ففي الآية نص من الله تعالى بتحريم الدخول إلى البيوت بغير إذن، بل إن الإسلام حرم أقل من ذلك وهو النظر إلى داخل البيت من أحد ثقوبه أو فتحاته. فأسقط الشارع الحكيم حد القصاص والدّية عمن فعل ذلك.

حيث ورد عن أبي هريرة ﵁ قال: قال أبو القاسم ﷺ :«لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح»[2] .

وما رخصت عين الجاني إلا لعظمة حرمة المسلم داخل بيته.

وإذا كان الإسلام حرم الدخول إلى البيت والنظر إلى داخله بغير إذن. فإن الإسلام أيضاً حرم التجسس. يقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ابن جرير الطبري م ٩ جـ١٨ ص ٨٨، ٨٩.

(٢) صحيح البخاري، باب من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له جـ٤ ص ٢٧٤ حديث رقم ٦٩٠٢.

اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ [١] الآية.

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله[٢] .

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ : ومعنى الآية خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»[٤] .

وفي رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً[٥].

ومعنى التحسس والتجسس قال بعض العلماء: الحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالجيم: البحث عن العورات، وقيل بالجيم التفتيش

---

(١) سورة الحجرات آية رقم [١٢].

(٢) تفسير مجاهد جـ٢ ص ٦٠٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٨ جـ١٦ ص ٣٣٣.

(٤) صحيح البخاري. باب «يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا» جـ٤ ص ١٠٣، ١٠٤ حديث رقم ٦٠٦٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي. باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها م ١٦ – ١٨ جـ١٦ ص ١١٨، ١١٩.

عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر. والجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير، وقيل بالجيم أن تطلبه لغيرك وبالحاء أن تطلبه لنفسك قاله ثعلب. وقيل هما بمعنى وهو طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال[1] .

وعلى كلٍ فإنه إن كان وقع اختلاف في معنى التحسس والتجسس فإن العلماء متفقون على تحريم التجسس بنص الآية الكريمة «ولا تجسسوا» وبنص حديث رسول الله ﷺ «ولا تجسسوا» وقد سبقت الإشارة إلى موضعها[2] .

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم»[3] .

فهذا نص صريح من الرسول ﷺ بأن التجسس وتتبع عورات المسلمين فمن وسائل إفساد المجتمع وقد ورد في ذلك بعض الآثار التي تبين وقوف الصحابة رضي الله عنهم عند هذا الحد، فلم يقدموا عليه بل إذا ما وقع من أحدهم ذلك لاجتهاد ظنه أُنكر عليه ذلك.

من ذلك ما ورد عن عبد الرحمن بن عوف قال: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجافًى على قوم لهم أصوات

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي م ١٦ جـ٦ ص ١١٩.

(٢) تقدم تخريجه قريباً. ص «٢١٧».

(٣) أبو داود جـ٤ ، كتاب الأدب باب النهي عن التجسس ص ٢٧٢ حديث رقم ٤٨٨٨ وقد صححه النووي وحسنه غيره. انظر تحقيق رياض الصالحين عبد العزيز رباح ـ أحمد الدقاق مراجعة شعيب الأرناؤوط ص ٦٠٣.

مرتفعة ولغط. فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى، قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه «ولا تجسسوا» وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم.

وقال أبو قلابة:

حدث عمر أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر مع أصحاب له في بيته فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال أبو محجن: إن هذا لا يحل لك. قد نهاك الله عن التجسس فخرج عمر وتركه[1] .

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر منهي عن التجسس إلا في حالات نادرة سنتحدث عنها في الفقرة التي تلي هذه، لأن من يفعل ذلك ينتهك عدة حقوق أساسية ثابتة شرعاً لمن تُجسس عليه، منها: حقه في حرمته في مسكنه، وحقه في حرية شخصه باطلاعه على سره، هذا من جهة ومن جهة أخرى يكون المتجسس قد استباح وسيلة محرمة للوصول إلى غاية. وسواء أكانت هذه الغاية محرمة أم مباحة، فإن ذلك محظور؛ لأنها إن كانت محرمة فالوسيلة إليها محرمة، وأما إذا كانت الغاية مشروعة فلا يصح أن يسعى إليها بوسيلة محرمة؛ لأن الغاية تأخذ حكم الوسيلة[2] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي م ٨ جـ١٦ ص ٣٣٣.

(٢) انظر حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة. د. عبد الوهاب الشيشاني ص ٣٩٤، ٣٩٥.

وانظر إعلام الموقعين ابن القيم جـ٣ ص ١٣٧.

وجوب التستر:

إن المسلم مأمور بأن يتستر ولايظهر معصيته أياً كانت هذه المعصية سواء أكانت مرئية كأن يخرج عند بابه ويضع الفيديو إلى جواره وفيه أفلام خليعة، أو المسموعة كأن يضع بآلة التسجيل شريطاً به غناء غرامي وموسيقى خليعة ماجنة ونحو ذلك، أو المشمومة كأن يظهر رائحة الخمر والمسكر بحيث يشمها من هو خارج المنزل أو قريباً منه ويتكلم معه؛ لأنه إذا فعل ذلك يكون قد أضاع الحق الذي أعطاه الإسلام له، ويكون بذلك قد عرض نفسه للإهانة والردع.

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ حيث يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين. وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويكشف ستر الله عنه»[1] .

ومعنى «المجاهرون» المعلنون لفسقهم ومعاصيهم. قال القسطلاني: والمجاهرون بكسر الهاء المعلنون بالفسق؛ لاستخفافهم بحق الله تعالى ورسوله ﷺ وصالحي المؤمنين وفيه ضرب من العناد[2] .

وقال ابن بطال:

في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله ﷺ وبصالحي

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه جـ٤ ص ١٠٤ حديث ٦٠٦٩.

(٢) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. القسطلاني جـ٩ ص ٤٩.

المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم. وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل فاعلها من إقامة الحد عليه إن كان فيها حد، ومن التعزير إن لم توجب حداً، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة. والذي يجاهر يفوته جميع ذلك. وفي المجاهرة بالمعصية تحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه أو شهده[1].

قلت:

ومصداق كلام ابن بطال ما ورد عن صفوان بن محرز أن رجلاً سأل ابن عمر كيف رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا. فيقول: نعم. فيقول: عملت كذا وكذا. فيقول: نعم. فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم»[2].

فالإسلام لا يقر المجاهرة بالمعصية أياً كانت صغيرة كانت أم كبيرة. لما لها من الآثار السيئة الكبيرة ليس على فاعلها فقط وإنما على المجتمع. إذ في المجاهرة بالمعصية تشجيع الناس عليها، وإبعاد الحياء عنهم بفعلها وتسهيل ارتكابهم لها، فكأن المجاهر رسم طريقاً لمن أراد أن يفعل كفعله.

* * *

---

(١) انظر حاشية رياض الصالحين. ص ١٢٥. تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد الدقاوي.

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأدب. باب ستر المؤمن على نفسه جـ٤ ص ١٠٤ حديث ٦٠٧٠.

موقف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا ظهرت علامات المنكر:

عرفنا حكم الإسلام في التجسس وعرفنا أيضاً أنه لا يجوز للمسلم أن يجاهر بالمعصية.

ولكن ما هو موقف الناهي عن المنكر. إذا ظهرت أمارات المنكر وهو داخل البيت. كأن تفوح رائحة الخمر، أو تسمع آلات الموسيقى والطرب أو تسمع أصوات المغنيات والمطربات ونحو ذلك؟

فذهب بعض العلماء إلى أنه لا يجب الإنكار في هذه الحال.

قال في غذاء الألباب: وأمّا تسور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الأئمة مثل: سفيان الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي عنه[1] .

وأما الماوردي فيقسم المنكر في هذه الحال إلى قسمين:

الحالة الأولى: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها ففي هذه الحال يجوز للناهي أن يتجسس.

الحالة الثانية: ما خرج عن هذا الحد وقصر عن حد هذه الرتبة فلا يجوز التجسس عليه وكشف الأستار عنه[2] .

وقد استدل القائلون بعدم التجسس على أولئك بالأمر الوارد عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه أُتي إليه برجل فقيل له: هذا فلان تقطر

---

(١) غذاء الألباب. السفاريني جـ١ ص ٢٦٤.

(٢) الأحكام السلطانية ص ٢٥٢.

لحيته خمراً. فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به[1] وأيضاً عموم الآيات والأحاديث الواردة عن النهي عن ذلك وذهب بعض العلماء إلى أنه في هذه الحالة يجوز التجسس عليهم واقتحام البيت إذا تحققت تلك الأمارات.

قال الخلال: أخبرني محمد بن أبي هارون أن مثنى الأنباري حدثهم. قال: سمع أحمد بن حنبل حس طبل في جواره فقام إليهم ونهاهم.

وقال أيضاً: أخبرني محمد بن علي الوراق أن محمداً بن أبي حرب حدثهم قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يسمع المنكر في دار بعض جيرانه قال: يأمره. قلت: فإن لم يقبل؟ قال يجمع عليه الجيران ويهول عليه.

وقال أيضاً: أخبرني منصور بن الوليد أن جعفر بن محمد النسائي حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله سئل عن الرجل يمر بالقوم يغنون. قال: إذا ظهر له هم داخل. قلت: لكن الصوت يسمع في الطريق. قال: هذا قد ظهر عليه أن ينهاهم[2] .

وقال الغزالي: إلا أن يظهر ـ المنكر ـ ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار

---

(١) أبو داود جـ٤ . كتاب الأدب. باب النهي عن التجسس رقم ٤٨٩٠. قال النووي في رياض الصالحين رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم. وقال محقق رياض الصالحين سنده صحيح. انظر رياض الصالحين صفحة٦٠٣.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الخلال ص ٦١ تحقيق عبد القادر أحمد عطا.

فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي، وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة[1] .

وقال ابن الجوزي: من تستر بالمعصية في داره وأغلق بابه لم يجز أن يتجسس عليه، إلا أن يظهر ما يعرفه كأصوات المزامير والعيدان فلمن سمع ذلك أن يدخل ويكسر الملاهي، وإن فاحت رائحة الخمر فالأظهر جواز الإنكار[2] .

والقول الثاني أرجح وهو جواز التجسس ووجوب الإنكار على من جاهر بالمعصية؛ لأن النصوص الواردة في النهي عن التجسس خاصة بمن لم يجاهر بمعصيته، وأما من جاهر بمعصيته فإنه لا يشمله هذا التكريم؛ لأن فعل المجاهر ينتج عنه أمور تخالف قواعد الشرع ونوضح المسألة بما يأتي:

أولاً: إن الرسول ﷺ أمر بالتستر وقال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين»[3] فبفعله خالف أمر الرسول ﷺ وخرج من العافية.

ثانياً: إنه بفعله هذا يكون قد نزع الحياء الذي شرعه الإسلام للمسلمين «الحياء لا يأتي إلا بخير»[4] «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[5] .

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣ جـ٧ ص ٣٧.

(٢) غذاء الألباب. السفاريني جـ١ ص ٢٦٢.

(٣) تقدم نصه بكامله وتخريجه.

(٤) رواه البخاري. كتاب الأدب. باب الحياء جـ٤ ص ١١٣ حديث ٦١١٧.

(٥) رواه البخاري. كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت جـ٤ ص ١١٣ حديث ٦١٢٠.

ثالثاً: إن هذا المجاهر قد ينتج عن فعله هذا ترويج الفاحشة وفعل المنكرات في المجتمع المسلم، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، بل المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة.

رابعاً: وأما استدلالهم بخبر ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وأنه أُتِيَ برجل تقطر لحيته خمراً فقال: إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به[1] .

فهذا الخبر مردود عليهم من وجهين:

الوجه الأول: إن هذا الخبر يخالف صريح وصحيح قول الرسول ﷺ . حيث حدث مثل هذه الصورة وأمر الرسول ﷺ بإقامة الحد عليه.

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتِيَ النبي ﷺ برجل قد شرب الخمر قال: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بنعله والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاه الله. قال: لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان»[2] .

فإذا كان هذا في حق من قد شرب الخمر فما هو شأن من تقطر لحيته خمراً؟

الوجه الثاني: إن هذا الخبر لا ينفي أن ابن مسعود رضي الله عنه أقام الحد عليه أو أمر بإقامته.

فكان ابن مسعود يقول إننا لم نبحث عنه ولم نؤمر بالبحث عنه فلمّا أن

---

(١) تقدم تخريجه ص «٢٢٣».

(٢) فتح الباري. شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني جـ١٢.

ظهر لنا فعله فسوف نأخذ به. حيث قال ابن مسعود «ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به» وما أشد ظهور المنكر في هذه الصورة.

فمن هنا نقول في مشروعية الاحتساب على من جاهر بالمعصية. والله أعلم.

الشرط الرابع: ألاَّ يكون المنكر من المسائل المختلف فيها:

فيجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ألا ينكر على الناس في المسائل المختلف فيها كأن تكون هذه المسألة جائزة عند بعض الأئمة وممنوعة عند بعضهم والفاعل لها مقلداً لإمامه المجيز لهذه المسألة مثلاً:

يقول الغزالي:

فكل ما هو محل اجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد. نعم لو رأى الشافعي شافعياً يشرب النبيذ فهذا في محل نظر والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى أن المجتهد يجوز أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا أن الذي أدى اجتهاده في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقي من المذاهب أحبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين م ٣ جـ٧ ص ٣٧ ، ٣٨. وانظر صفحة ٣٨، ٣٩ من المرجع نفسه.

وقال أبو الحسن الماوردي: واختلف الفقهاء من أصحاب الشافعي هل يجوز له ـ المحتسب ـ أن يحمل الناس فيما ينكره من الأمور التي اختلف الفقهاء فيها على رأيه واجتهاده أم لا ؟ على وجهين: أحدهما وهو قول أبي سعيد الاصطخري أن له أن يحمل ذلك على رأيه واجتهاده، فعلى هذا يجب على المحتسب أن يكون عالماً من أهل الاجتهاد في أحكام الدين ليجتهد رأيه فيما اختلف فيه.

والوجه الثاني: ليس له أن يحمل الناس على رأيه واجتهاده، ولا يقودهم إلى مذهبه لتسويغ الاجتهاد للكافة، وفيما اختلف فيه، فعلى هذا يجوز أن يكون المحتسب من غير أهل الاجتهاد إذا كان عارفاً بالمنكرات المتفق عليها[1] .

وقال عبد الكريم زيدان: الواقع أن الخلاف إما أن يكون سائغاً وإما أن يكون غير سائغ ولكل حكمه:

١- الخلاف السائغ يمنع من الاحتساب على رأس بعض الفقهاء وقال آخرون: يجوز للمحتسب أن ينكر على فاعل المنكر المختلف فيه بشرط أن يكون المحتسب مجتهداً.

٢- الخلاف غير السائغ وهو الخلاف الشاذ أو الباطل الذي لا يعتد به لعدم قيامه على أي دليل مقبول كالذي يخالف صريح القرآن والسنة الصحيحة المتواترة المشهورة أو إجماع الأمة أو ما علم من الدين بالضرورة فمثل هذا الخلاف لا قيمة له ولا يمنع المحتسب من الإنكار والاحتساب[2] .

---

(١) الأحكام السلطانية. الماوردي ص ٢٤١.

(٢) أصول الدعوة. عبد الكريم زيدان ص ١٨٣.

ولعل الأرجح ـ والله أعلم ـ أنه ليس للمحتسب أن يحمل الناس على مذهبه إلا أن يكون مجتهداً وإذا كان مجتهداً فله ذلك. ولكن الأحرى أن لا ينتسب المجتهد إلى مذهب معين بل إنه يعمل بما ترجح لديه من الدليل. وإن كان يعمل بمعظم وبكثير من مسائل أحد المذاهب فعمله هذا على حسب ظهور الدليل له في هذه المسائل مثلاً.

وأيضاً لا يشترط أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من أهل الاجتهاد. لأننا لو شرطنا ذلك لتعطل الأمر والنهي ولعمت المنكرات لافتقار المجتهدين.

والنصوص الشرعية خاطبت الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تخاطب المجتهدين منهم فقط يقول تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (١) .

ويقول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٢) .

ولم يثبت أن الرسول ﷺ نهى أحداً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم اجتهاده ولا عن الصحابة أنهم نهى بعضهم بعضاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم اجتهاده.

فتخصيص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمجتهد يحتاج إلى مخصص.

---

(١) سورة آل عمران آية [١١٠].

(٢) صحيح مسلم. خرج في فضل حكم الأمر بالمعروف.. ص «٦٦».

فتبين من ذلك أن للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يمارس ذلك ولو لم يكن من أهل الاجتهاد. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد في رواية المروذي: لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم»[1] وله رواية أخرى خلاف ذلك.

قال في رواية الميموني في الرجل يمر بالقوم يلعبون بالشطرنج ينهاهم ويعظهم، وقال أبو داود: سمعت أحمد سئل عن رجل مَرَّ بقوم يلعبون بالشطرنج فنهاهم فلم ينتهوا فرمى به فقال: قد أحسن[2] .

فالإمام أحمد أقره على فعله بل أيده عليه مع الخلاف المذكور في الشطرنج.

ولأحمد رواية ثالثة: لا ينكر على المجتهد بل على المقلد، روى إسحاق ابن إبراهيم عن الإمام أحمد أنه سئل عن الصلاة في جلود الثعالب، قال: إذا كان مُتَأَوِّلاً أرجو أن لا يكون به بأس، وإن كان جاهلاً ينهى ويقال له: إن النبي ﷺ نهى عن ذلك[3] .

وقال الخلال: أخبرنا عصمة بن عصام حدثنا حنبل قال: قلت لأبي عبد الله: ترى الرجل إذا رأى الرجل لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا يقيم أمر صلاته ترى أن تأمره بالإعادة؟ قال: يحسن صلاته أو نمسك عنه. ثم قال: إن كان يظن أنه يقبل منه أَمَرَه، وقال له ووعظه حتى يحسن الصلاة فإن الصلاة من تمام الدين[4] .

---

(١) الآداب الشرعية. ابن مفلح جـ١ ص ١٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٨٨.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الخلال ص ١٠٦، ١٠٧. دار الإعتصام.

وقال أيضاً: أخبرني الحسن بن عبد الوهاب، أن إسماعيل بن يوسف حدثهم. قال: حدثنا يعقوب حدثنا عبد الرحمن حدثنا محمد بن النضر قال: سأل رجل الأوزاعي قال: من آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر؟ قال: من ترى أنه يقبل منك[1] .

وفي الغالب من على خلاف مذهبك لا يقبل منك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصواب ما عليه جماهير المسلمين أن كل مسكر خمر يجلد شاربه ولو شرب قطرة واحدة لتداوٍ أو غير تداوٍ.

وقال في كتاب بطلان التحليل قولهم ومسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل.

أما الأول فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعاً قديماً وجب إنكاره وفاقاً.

وإن لم يكن كذلك فإنه ينكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول المصيب واحد، وهم عامة السلف والفقهاء، وأما العمل إذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره أيضاً بحسب درجات الإنكار. كما ذكرنا من حديث شارب النبيذ المختلف فيه وكما ينقض حكم الحاكم إذا خالف سنة وإن كان قد اتبع بعض العلماء.

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا اجتماع والاجتهاد فيها مساغ فلا ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً.

وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الخلال ص ١٠٧.

مسائل الاجتهاد. كما اعتقد ذلك طوائف من الناس والصواب الذي عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ إذا عدم ذلك الاجتهاد لتعارض الأدلة المقاربة أو لخفاء الأدلة فيها وليس في ذكر كون المسألة قطعية طعن على من خالفها من المجتهدين كسائر المسائل التي اختلف فيها السلف وقد تيقنا صحة أحد القولين فيها مثل كون الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بوضع الحمل. وأن الجماع المجرد عن إنزال يوجب الغسل.

وقال أيضاً: من أصر على ترك الجماعة ينكر عليه ويقاتل عليه أيضاً في أحد الوجهين عن استحبابها، وأما من أوجبها فإنه عنده يقاتل ويفسق إذا قام الدليل عنده المبيح للمقاتلة والتفسيق كالبغاة بعد زوال الشبهة...»[1] .

وقال النووي ـ رحمه الله ـ : إن المختلف فيه لا إنكار فيه لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق[2] .

الركن الرابع: نفس الاحتساب ودرجاته:

وهو القيام الفعلي بهذه الوظيفة من أمر بفعل حكم معين من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك مما أمر الإسلام بفعله أو نهيه عن أمر حرمه

---

(١) انظر كتاب الآداب الشرعية. ابن مفلح جـ١ ص ٨٩، ١٩٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٠.

أو نهى عنه الإسلام كشرب الخمر أو استعمال آلات اللهو والطرب ونحو ذلك.

وهذه الأمور تختلف كيفية إزالتها أو طلب فعلها؛ لأن الناس يتفاوتون في ذلك، فمنهم العالم بهذا الأمر أو النهي ومنهم الجاهل به. ومنهم المطيع ومنهم العاصي، ومنهم المسالم ومنهم المعاند.

لذلك وضع العلماء لهذا الركن درجات مستنبطة من قواعد الشرع العامة يستخدمها المحتسب أثناء أمره ونهيه فيستخدم كل درجة في وقتها ومكانها المناسبين. وهذه الدرجات هي:

١- التعرُّف.

٢- التعريف.

٣- النهي.

٤- الوعظ.

٥- النصح.

٦- السب والتعنيف.

٧- التغيير باليد.

٨- التهديد بالضرب ثم إيقاعه.

وسوف نتحدث عن هذه الدرجات بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الثالث من هذا البحث بإذن الله.

الفصل الرابع

خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الفرد والمجتمع

لم يخلق الله الجن والإنس عبثاً، وإنما لحكمة عظيمة وغاية سامية، فقد خلقهم لعبادته وطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه وهيأ لهم الأسباب التي تعينهم على القيام بذلك.

ولذا فإن الله سبحانه وتعالى سيسأل كل مقصر عما أمر به وسيحاسبه محاسبة دقيقة على ذلك.

يقول تعالى: ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعملون ﴾ (١) ويقول تعالى: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ (٢) .

ويقول تعالى: ﴿ كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ (٣) ويقول تعالى: ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (٤) .

وسوف يُخرج له يوم القيامة كتاباً قد دُون فيه كل عمل ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ (٥) ويقول تعالى: ﴿ ووضع

---

(١) سورة الحجر الآيتان [٩٢، ٩٣].

(٢) سورة الصافات الآيات [٢٢، ٢٣، ٢٤].

(٣) سورة الانفطار الآيتان [١١، ١٢].

(٤) سورة «ق» آية [١٨].

(٥) سورة الإسراء الآيتان [١٣، ١٤].

الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا وليتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ (١) .

وغير ذلك كثير من الأدلة التي تبين مسؤولية الإنسان عما عمل.

ومن ثم فالمطيع فليبْشر بالسعادة في الدنيا والآخرة، وأما العاصي والمخالف والتارك لأمر الله فهذا له عقوبتان في الدنيا والآخرة ـ غالباً ـ وإن أفلت من عقوبة الدنيا فعذاب الآخرة ينتظره.

ومن أعظم الأمور التي يسأل عنها المسلم تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا كان لزاماً على كل مسلم أن يقوم بهذا الركن العظيم حتى يقي نفسه من عذاب الله تعالى العاجل أو الآجل.

خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على «المجتمع»:

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه خطر جسيم وشر مستطير ويتمثل ذلك في الأمور التالية:

١- اللعن والإبعاد من رحمة الله:

يقول الله تعالى: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (٢) .

فحكم الله عليهم باللعن وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله بسبب

(١) سورة الكهف الآية [٤٩].

(٢) سورة المائدة الآيتان [٧٨، ٧٩].

تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنتهم في أفعالهم.

يقول القرطبي: لا ينهى بعضهم بعضاً ـ فهو ـ ذم لتركهم النهي ، وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم[1] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» ثم قال: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم» إلى قوله «فاسقون»[2] الحديث.

فأي شيء أعظم من لعنة الله تعالى ـ نعوذ بالله من لعنته ـ فما هو موقف الإنسان إذا وقعت عليه لعنة الله؟. كيف تكون حاله في الدنيا والآخرة؟ وهو يعلم أنه ملعون بسبب فعله. إن هذا الأمر يكفي لأن يكون رادعاً مخوفاً من التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ - *عدم استجابة الدعاء:*

ومن الأخطار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدم استجابة الدعاء.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. م ٣ جـ٦ ص ٢٥٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي جـ٤ ص ١٢١، ١٢٢. حديث ٤٣٣٦.

ورواه ابن ماجة في سننه عن أبي عبيدة قريباً من هذا اللفظ. كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ٢ ص ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ حديث ٤٠٠٦.

فقد يحصل بسبب ترك الأمر والنهي عذاب أو مقدماته ومن ثم يرفعون أيديهم إلى الله سائليه أن يكشف ما بهم فيرد أيديهم خائبة خاسرة فلا يستجيب لهم ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

ورد عن حذيفة بن اليمان ﵁ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم»(١) .

وإذا كان سبحانه وتعالى لن يستجيب لهم فمن هو الذي ينفعهم من دون الله ومن هو الذي ينجيهم من عذاب الله؟. فأي رحمة يرجون بعد ذلك إذا أوصدت أمامهم رحمة الله؟!!

يقول محمد قطب: «وإنه لحق ترجف له النفس فرقاً ويقشعر الوجدان رعباً وماذا يبقى للناس إذن؟ ماذا يبقى لهم إذا أوصدت من دونهم رحمة الله؟ ولمن يلجؤون في هذا الكون العريض وقد أوصد الباب الأكبر الذي توصد بعده جميع الأبواب.. ويبقى الإنسان في العراء الشامل الذي لا يستره شيء، ولا يحميه شيء من لفحة الهاجرة وقسوة الزمهرير؟ ألا إنه للهول البشع الذي يتحامى الخيال ذاته أن يتخيله..؛ لأنه أفظع من أن يطيقه الخيال، الخيط الذي يمسكه بالقوة القاهرة القادرة قد انقطع.. فراح يهوي إلى حيث لا يعلم أحد ولا يلاحقه خيال. يهوي في الظلمات يتقلب على الدوام. يصطدم في كل شيء يتحطم.. تتمزق أوصاله.. يتناثر في كل اتجاه.. وكل «جزء» من نفسه يذوق من الآلام ما لا يطيق: ﴿ فكأنما خرّ

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. جـ٣ ص ٣١٦، ٣١٧. قال الترمذي هذا حديث حسن.

من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ [1] . ذلك هو المخلوق الذي يدعو الله فلا يجيبه، ويسأله فلا يعطيه، ويستنصره فلا ينصره. فهل كتب الله ذلك الهول البشع على عباده ـ المسلمين ـ الذين يدعونه ويسألونه ويستنصرونه؟ نعم... حين يكفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ولو بأضعف الإيمان»[2] .

ويقول أيضاً:

«وعندما يدعو الناس وهم قاعدون عن العمل، وحين يسألون وهم كسالى وحين يستنصرون وهم لا يعدُّون عدة النصر.. فعند ذلك لا يستجيب الله لهم ولا يعطيهم ولا ينصرهم؛ لأنهم لا يستحقون النصر. فمن أراد النصر، ومن أراد أن يدعو الله فيجيبه، ويسأله فيعطيه، فليكن حيث يريده الله، حيث يَنْزِل عليه نصره وعطاؤه فينفع النصر وينفع العطاء»[3] .

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل له وظيفة في هذه الحياة وكلفه بالقيام بها، فهكذا اقتضت حكمته. وهذه سنة من سننه التي وضعها للاختبار والابتلاء فمن قام بها فهو كريم على الله ومن تخاذل عنها ولم يقم بما أمره الله به فإنه يهون على الله ومن ثم يدعوه فلا يستجيب له.

وجاء في رواية عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»[4].

---

(١) سورة الحج جزء من الآية [٣١].

(٢) قبسات من الرسول. محمد قطب. ص ٥٣ ، ٥٤. دار الشروق.

(٣) المرجع السابق ص ٦٢، ٦٣ باختصار.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن. باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ٢ ص ١٣٢٧. حديث ٤٠٠٤.

قال بعض العلماء: أي قبل أن تدعوا الناس إلى الهدى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يقبل منكم ذلك[1] .

والحديثان يشملان المعنى الأول والثاني.

فنقول إذا ردّ الله دعاءهم فمن باب أولى ألاّ يقبل الناس دعوتهم. وهل يمكن أن يقبل أمرهم أو نهيهم إلا بعد توفيق الله لهم.

والمهم معرفة أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينتج عنه عدم إجابة الله لعباده وعدم عطائه لهم وعدم نصره.

ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل النبي ﷺ فعرفت في وجهه أنْ قد حفزه شيء فتوضأ ولم يكلم أحداً فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أيها الناس إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم» فما زاد عليهم حتى جلس[2] .

فعلى المسلمين أن يحذروا من وقوع هذه الأمور فبطن الأرض خير ـ والله ـ من ظهرها عند حصولها.

٣- *تعذيبهم بأنواع العقوبات:*

قد ينتج بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعذيب الله

---

(١) ذهب إلى هذا المعنى أو قريباً منه الغزالي. الإحياء. جـ٢ ص ٣٠٨، محمد فؤاد عبد الباقي. سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي جـ٢ ص ١٣٢٧ حديث ٤٠٠٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٦ ص ١٥٩.

لتاركيه بأنواع العقوبات من الهلاك والتدمير والقحط وقلة البركة وقد يصل العذاب إلى الخسف والمسخ وغير ذلك من الأمور التي لم تخطر على البال، كل ذلك بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

«وعن أبي أبزي عن أبيه قال: خطب رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم خيراً ثم قال: «ما بال أقوام لا يعلمون جيرانهم ولا يفقهونهم ولا يفطنونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون، والذي نفسي بيده ليعلمن من جيرانه أو ليتفقهن أو ليتفطنن أو لأعاجلنهم بالعقوبة في دار الدنيا ـ ثم نزل فدخل بيته فقال أصحاب رسول الله ﷺ ـ من يعني بهذا الكلام ـ قالوا: ما نعلم يعني بهذا الكلام إلا الأشعريين ـ فقهاء ـ علماء ولهم جيران من أهل المياه حفاة جهلة. فاجتمع جماعة من الأشعريين فدخلوا على النبي ﷺ فقالوا: ذكرت طوائف من المسلمين بخير. وذكرتنا بشر ـ فما بالنا؟ فقال رسول الله ﷺ: لتعلمن جيرانكم ولتفقهنهم ولتأمرنهم ولتنهونهم أو لأعاجلنكم بالعقوبة في دار الدنيا. فقالوا يا رسول الله ـ فأما إذن فأمهلنا سنة ففي سنة ما نعلمه ويتعلمون. فأمهلهم سنة ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (١) (٢).

---

(١) سورة المائدة آية [٧٨، ٧٩].

(٢) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور. السيوطي جـ٢ ص ٣٠١. دار المعرفة ـ بيروت ـ.

وإذا كان الرسول ﷺ توعد بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بالعقوبة في الدنيا على أمر قد لا يكون كبيراً تركه في نظر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فكيف تكون العقوبة لمن ترك الأمر والنهي في المنكرات الكبيرة؟.

وورد عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾[1] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[2].

وفي رواية أخرى للترمذي قال: حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا عبد الله بن المبارك[3]، أخبرنا عتبة بن أبي حكيم أخبرنا عمرو بن جاريه اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿ يا أيها

---

(١) سورة المائدة آية [١٠٥].

(٢) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ٢ ص ١٣٢٧ حديث ٤٠٠٥.

ورواه الترمذي بهذا اللفظ. أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر جـ٣ ص ٣١٦ حديث ٢٢٥٧.

(٣) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي أحد الأئمة، أفنى عمره في طلب العلم، صاحب حديث، حافظ كان فقيهاً، عالماً، عابداً زاهداً، وغير ذلك من خصال الخير. مات سنة ١٨١هـ.

انظر تهذيب التهذيب ٥/٣٨٢-٣٨٧ وما بعدها.

الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ قال: «أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوًى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» قال عبد الله بن المبارك وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين رجلاً منكم»[1] .

ففي الحديث الأول دليل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في نزول عقاب الله تعالى للأمة.

أما الثاني ففيه أيضاً توضيح لمفهوم الآية الكريمة والصبر والتحمل على ما يواجهه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وعن عبيد الله بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز منهم وأمنع، لا يغيرون إلا عمَّهم الله بعقاب»[2] .

وهذا الحديث يبين صراحة أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في عقاب الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب التفسير جـ٤ ص ٣٢٣ حديث ٥٠٥١ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ٢ ص ١٣٢٩ حديث ٤٠٠٩.

ومن أنواع العقوبات:

ضرب القلوب بعضها ببعض وتنكيسها. ومعنى ذلك خلط القلب السليم بالقلب المريض أو الأبيض بالأسود ومن ثم يتأثر القلب السليم أو الأبيض بالمريض أو الأسود «ضرب القلوب بعضها ببعض أي خلطها على بعضها يقال: ضرب اللبن بعضه ببعض أي خلطه.. وقيل الباء للسببية أي سود الله قلب من لم يعص بشؤم من عصى فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الخير أو الرحمة بسبب المعاصي ومجالسة بعضهم بعضاً»[1].

عن أبي عبيدة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ «إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن..»[2] الحديث.

فبين الرسول ﷺ أن سبب ضرب قلوبهم ببعض تركهم للأمر بالمعروف وعدم نهيهم عن المنكر وعدم صبرهم على ذلك. ومجالسة الفاعلين للمنكرات ومؤاكلتهم ومشاربتهم.

وينتج أيضاً بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شمول العذاب للأمة:

ورد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي جـ٨ ص ٤١٣.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ٢ ص ١٣٢٧ ـ ١٣٢٨ حديث ٤٠٠٦.

إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله عز وجل بعذاب من عنده، فقلت: يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلى. قالت: فكيف يصنع أولئك؟ قال: «يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان»[1].

فبين ﷺ أن المعاصي إذا كثرت ـ وهذا لا يحدث إلا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ فإن الله يعم الأمة بالعذاب طالحها وصالحها، أما الطالحون فسبب هلاكهم واضح، وأما الصالحون فلأنهم لم يسعوا لإزالة المنكرات. ويوم القيامة يبعثون على نياتهم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل المدهن[2] في حدود الله والواقع[3] فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك؟ قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونَجَّوْا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[4].

فهذا الحديث الصحيح صريح في أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في هلاك الأمة جميعها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٦ ص ٣٠٤.

(٢) المدهن والمداهن: المرائي الذي يضيع الحقوق ولا ينكر المنكر.

(٣) والواقع فيها مرتكبها. انظر حاشية الجامع الصحيح. البخاري. تحقيق محب الدين الخطيب جـ٢ ص ٢٦٣. المطبعة السلفية القاهرة ١٤٠٣هـ.

(٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الشهادات. باب القرعة في المشكلات جـ٢ ص ٢٦٣ حديث رقم ٢٦٨٦.

قال ابن النحاس:

واعلم أن في تمثيل النبي ﷺ هذا جملة من الفوائد منها:

١- إن المسلمين مشتركون في الدين الذي هو آلة النجاة في الآخرة، كاشتراك أهل الدنيا في السفينة التي هي آلة النجاة في الدنيا وكما أن سكوت شركاء السفينة عن الشريك الذي أراد إفسادها سبب هلاكهم في الدنيا، كذلك سكوت المسلمين عن الفاسق وترك الإنكار عليه سبب هلاكهم في الآخرة.

٢- إنه كما لا ينجي الشركاء من الهلاك قول المفسد: إنما أفسد فيما يخصني، كذلك لا ينجي المسلمين من الإثم والعقوبة قول مرتكب المنكر: إنما أجني على ديني لا على دينكم، وعليكم أنفسكم ولي عملي ولكم أعمالكم، وكل شاة معلقة بعرقوبها ونحو هذا الكلام الذي يجري على ألسنة الجاهلين.

٣- إن أحد الشركاء في السفينة إذا منع المفسد من خرقها كان سبباً في نجاة أهل السفينة كلهم. كذلك من قام من المسلمين بإنكار المنكر قائماً بفرض الكفاية وكان سبباً لنجاة المسلمين من الإثم وله عند الله الأجر الجزيل.

٤- إن شركاء السفينة إذا سكتوا عمن أراد خرقها كانوا هم وإياه في الهلاك سواء، ولم يتميز المفسد في الهلاك عن غيره ولا الصالح منهم من الطالح، كذلك إذا سكت الناس عن تغيير المنكر عمهم العذاب ولم يميز بين مرتكب الإثم وغيره، ولا بين الصالح والطالح[1].

---

(١) أصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن النحاس. الجزء الأول من مختصر تنبيه الغافلين ص ٤٢، ٤٣.

إذاً فهذه النصوص دليل واضح على أن الأمة إذا تركت الأمر فإنها تكون قد عرضت نفسها لأنواع كثيرة ومختلفة من العقوبات التي لم تخطر ببالها ولم تحسب حسابها.

ولذا كان لزاماً على الأمة عموماً والمسؤولين عنها خصوصاً أن يهتموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ مثل اهتمامهم بأكلهم وشربهم ـ حتى يأمنوا على أنفسهم ولا يقعوا في غضب الله الذي لا يرد.

ويكفي ترهيباً في ذلك قوله ﷺ : «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم فقد تودع منهم..»[1] وأي أمل يبقى لها إذا تودع منها؟!

خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على «الفرد»:

الفرد واحد من الجماعة فما ينالهم من خير أو شر يناله ذلك معهم. ولكن قد يتصور بعض الأفراد أنه إذا ما قامت الجماعة بشكل عام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتكاسل ولا يولي هذا الجانب اهتماماً فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا بلا شك تصور خاطئ.

فالفرد عليه مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر طاقته وإن ترك هذه المسؤولية فهو على خطر عظيم حيث توعد الشارع الحكيم من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنواع من العقوبات منها:

البكاء الذي يحصل يوم القيامة من الحسرة والندامة على تفريطه وعدم أمره ونهيه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٢ ص ١٦٣.

ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما من عين رأت منكراً أو معصية لله فلم تغيره إلاَّ أبكاها الله يوم القيامة وإن كان ولياً لله»[1] ومن آثار تركه على الفرد:

اسوداد قلبه وتنكيسه:

فمع كثرة مشاهدته للمنكرات وإلفه لها وعدم إنكاره على أهلها يكون قلبه بذلك مريضاً منكوساً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ـ نسأل الله العافية ـ كما ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن، فقال: قوم: نحن سمعناه فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره قالوا: أجل قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ فأسكت القوم فقلت: أنا قال: أنت لله أبوك، قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه...»[2] الحديث.

---

(١) ذكر هذا الحديث ابن الأخوة في كتابه «معالم القربة...» وذكر المحققان له «د. محمد شعبان ـ صديق أحمد عيسى المطيعي» أن الحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي. وقد بحثت في المراجع المذكورة بحثاً جيداً فلم أقف على هذا الحديث. فلعله أثر يروى.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان. باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ... م ١ جـ١ ص ٨٩.

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح مسلم في قوله «لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً..» قال القاضي - رحمه الله - شبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنخرق الذي لا يثبت الماء فيه، وقال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام - والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك[1] .

فمن فعل المعاصي وترك إنكارها على نفسه وغيره افتتن قلبه وانتكس وأصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما وافق هواه وشهوته. فكل ذلك يحصل لمن لم ينكر المنكر.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:«لا يحقر أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه. فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول: خشية الناس. فيقول: فإياي، كنت أحق أن تخشى»[2] .

فقد أنكر الله - سبحانه وتعالى - عليه عدم إنكاره على الناس بسبب خشيتهم ونسي أن خشية الله تعالى مقدمة على خشية الناس. ولذلك عاقبه الله تعالى.

وأوضح من ذلك ما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال

---

(١) انظر إلى شرح مسلم للنووي م ١ جـ٢ ص ١٧٣.
(٢) رواه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ٢ ص ١٣٢٨ حديث ٤٠٠٨.

رسول الله ﷺ من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس[1].

فعلى المسلم أن يجعل هذا الحديث نصب عينيه إذا ما همّ بالسكوت من أجل إرضاء الناس أو الخوف منهم حتى لا يقع في سخط الله تعالى.

وأي قيمة للمرء وأي رحمة له إذا وقع في سخط الله تعالى نسأل الله رضاه ونعوذ به من سخطه.

وخلاصة القول في ذلك: معرفة أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحصل به ضرر كبير على الفرد والمجتمع في جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة من مصائب وكوارث وعقوبات عاجلة وآجلة... ولذا فعلى الطرفين أن يهتموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أن يأتيهم أمر لا مردّ له من الله. فيندموا فلا ينفع حينئذ الندم، ويدعوا ولا ينفع حينئذ الدعاء فإذا كانوا حريصين على نجاتهم والآخرين فليحرصوا على إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم وفي الناس من حولهم.

* * *

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب الزهد، باب ٤٩ جـ٤ ص ٣٤ حديث ٢٥٢٧.

صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

في هذا الفصل سوف نتحدث ـ بإذن الله تعالى ـ عن صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. ولمّا كان هذا الفصل من أهم الفصول في هذا البحث فإننا سوف نتناوله بشيء من التفصيل؛ لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا عرف الصفات التي ينبغي أن يكون عليها وعمل بها فسوف ينجح في عمله، ويؤدي رسالته وسيحس بثمارها ـ إن شاء الله ـ وما حصل ويحصل من ضعف أو خلل أو خطأ في الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يكون سببه ـ غالباً ـ الجهل أو عدم الالتزام بالصفات التي يجب أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. والله المستعان.

صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

١- إخلاص العمل لله تعالى:

يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يخلص عمله لله تعالى، حتى يثاب عليه ويؤجر ويقبل منه.

يقول تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (١) .

ويقول سبحانه آمراً نبيه أن يقول : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين. قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ (٢) .

قال الطبري ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية. «يقول تعالى ذكره لنبيه

(١) سورة البينة آية رقم [٥].

(٢) سورة الزمر من أية [٢١١] إلى أية [٢١٤].

محمد ﷺ . قل يا محمد لمشركي قومك إن الله أمرني أن أعبده مُفْرِداً له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد ، «وأمرت لأن أكون أول المسلمين» يقول وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك لأن أكون بفعل ذلك «أول من أسلم منكم فأخضع له بالتوحيد وأخلص له العبادة وأبرأ من كل ما دونه من الآلهة. وفي قوله تعالى: ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني. فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ يقول الطبري في معنى هذه الآية: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ . قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصاً مفرداً له طاعتي وعبادتي. لا أجعل له في ذلك شريكاً ولكني أفرده بالألوهية وأبرأ مما سواه من الأنداد...»[1] .

ويقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : حول هذه الآية «وهذا الإعلان من النبي ﷺ بأنه مأمور أن يعبد الله وحده، ويخلص له الدين وحده وأن يكون بهذا أول المسلمين، وأن يخاف عذاب يوم عظيم إن هو عصى ربه، هذا الإعلان ذو قيمة كبيرة في تجريد عقيدة التوحيد كما جاء بها الإسلام. فالنبي ﷺ في هذا المقام هو عبد الله هذا مقامه لا يتعداه، وفي مقام العبادة يقف العبيد كلهم صفاً، وترتفع ذات الله ـ سبحانه ـ متفردة فوق جميع العباد وهذا هو المراد. وعند ذلك يُقِرُّ معنى الألوهية ومعنى العبودية، ويتميزان، فلا يختلطان، ولا يشتبهان وتتجرد صفة الوحدانية لله سبحانه بلا شريك ولا شبيه، وحين يقف محمد رسول الله ﷺ في مقام العبودية لله ويعلن هذا الإعلان، يخاف هذا الخوف من العصيان فليس هناك مجال لدعوى شفاعة الأصنام أو الملائكة بعبادتهم من دون الله أو مع الله بحال من الأحوال. ومرة أخرى يكرر الإعلان مع الإصرار على الطريق،

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري م٢٠. ٢٣جـ٢٣ص ١٣٠، ١٣١.

وترك المشركين لطريقهم ونهايته الأليمة ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ إنني ماض في طريقي أخص الله بالعبادة، وأخلص له الدينونة...»[1] .

ويقول تعالى: ﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [2] الآية.

ويقول تعالى: ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ [3] .

ويقول جل ذكره: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ [4] .

ويقول سبحانه: ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾ [5] .

فالله سبحانه وتعالى لم يقل في هذه الآيات الكريمات ليبلوكم أيكم أكثر عملاً. وإنما قال أحسن عملاً، والأحسن عملاً هو ما كان خالصاً لوجهه تعالى ومطابقاً لسنة الرسول ﷺ كما قال غير واحد من العلماء[6] .

قال الفضيل: «أحسن عملاً» أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً[7] .

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ﴾ الآية. قال: وصاهم بالإخلاص في عبادته[8].

---

(١) في ظلال القرآن. سيد قطب.جـ٥ص٣٠٤٤. (٢) سورة هود جزء من الآية رقم[٧].

(٣) سورة الكهف آية رقم [٧]. (٤) سورة الكهف آية رقم [٣٠].

(٥) سورة الملك آية رقم [٢]. (٦) انظر تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٩٦.

(٧) جامع العلوم والحكم ص ١٢. (٨) فتح الباري جـ١ ص ١١.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ [1] .

قال النسفي:

«أي خالصاً لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره[2] فمن كان لديه اعتقاد جازم بلقاء الله تعالى ورؤيته فليعمل عملاً خالصاً طيباً لله تعالى حتى يتحقق اعتقاده»[3] .

وفي رواية عن النبي ﷺ «إن الله تبارك يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشريك من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشركه»[4] .

---

(١) سورة الكهف آية رقم [١١٠].

(٢) تفسير النسفي م ٣، ٤جـ٣ ص ٢٧.

(٣) ولمزيد من التفصيل انظر أضواء البيان. الشنقيطي جـ٤ ص ٢٠٠ إلى ٢٠٢

(٤) الجامع الصحيح. مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في علم غير الله. م٧، ٨ جـ٨ ص ٢٢٣.

وفي رواية للترمذي عن أبي فضالة الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس ليوم القيامة ـ ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

سنن الترمذي. أبواب التفسير. سورة الكهف جـ٤ص٣٧٥ حديث رقم ٥١٦١١.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر.

وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»[1].

لما كان المرء قاصداً بعمله الله تعالى وغيره، كان قد جعل لله شريكاً، فإذا كان كذلك، فالله تعالى هو الغني على الإطلاق والشركاء، بل جميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار، فلا يليق بكرمه وغناه التام أن يقبل العمل الذي جُعل له فيه شريك فإن كماله تبارك وتعالى وكرمه وغناه يوجب أن لا يقبل ذلك[2] .

وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة تعبر عن غنى الله سبحانه وتعالى عن أي عمل فيه رياء أو شرك، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.

وورد في الصحيحين والسنن وغيرها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه[3] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد، «باب من أشرك في عمله غير الله» ٢٢٨٩/٤ حديث رقم ٢٩٨٥ عن أبي هريرة ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة ١٤٠٥/٤ حديث رقم ٤٢٠٤. ورواه الإمام أحمد في المسند ٤٦٦/٣، ٢١٥/٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٥٢٧.

(٣) صحيح البخاري. كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدء الوحي حديث رقم (١) ص ١٣، =

. ...

باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى. حديث ٤١ ط ص ٣٥.

باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق ونحوه. حديث رقم ٢٥٢٩ جـ٢ ص ٢١٦.

باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

حديث ٣٨٩٨ جـ٣ ص ٦٧.

باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى.

حديث رقم ٥٠٧٠ جـ٣ ص ٣٥٥.

باب النية في الإيمان حديث رقم ٦٦٨٩ جـ٤ ص ٢٢٧.

باب في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها.

حديث رقم ٦٩٥٣ جـ٤ ص ٢٨٨.

صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيّات وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال م ٦.٥ جـ٦ ص ٤٨.

سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب النية جـ٢ ص ١٤١٣.

حديث رقم ٤٢٢٧.

سنن النسائي. كتاب الطهارة، باب النية في الوضوء م ١، ٢ جـ١ ص ٥٨.

سنن الترمذي: أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء من يقاتل رياء للدنيا جـ٣ ص ١٠٠. حديث رقم ١٦٩٨.

سنن أبي داود. كتاب الطلاق، باب فيما عني به الطلاق والنيات. جـ٢ ص ٢٦٢. حديث رقم ٢٢٠١.

فهذا حديث عظيم وضح فيه الرسول ﷺ أن مدار العبادة أفعالها وأقوالها تعتمد على الإخلاص. فإذا حسّن الإنسان نيته وزينها في أي عمل من الأعمال وقصد في ذلك العمل وجه الله والدار الآخرة فإنه يثاب على ذلك العمل خيراً.

ولذلك عدّ العلماء هذا الحديث ثلث الإسلام وبعضهم قال إنه ربع الإسلام[1] لما يحمله من الأهداف الجسيمة.

ومعناه: كل عمل بنية فلا يقبل عمل من دون نية[2] .

وقيل أعمال المكلفين لا تتحقق شرعاً ولا تصح إلا بنية[3] فما على الإنسان إلا أن ينطلق في الحياة ويسعى إلى الإصلاح وليكن هدفه وقصده وجه الله تعالى ومن ثم يثاب على كل كلمة يقولها وكل حركة يتحركها.

وقد ورد في السنة المطهرة ما يبين ويوضح هذا المفهوم وهو قبول العمل عند الإخلاص، ورده عند عدمه.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه

(١) انظر فتح الباري جـ١ ص ١١.
(٢) انظر فتح الباري جـ١ ص ١١.
(٣) انظر حاشية الإمام السندي على سنن النسائي م ١، ٢ جـ١ ص ٥٨.

فعرفها قال: فما عملت فيها قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1] . فهؤلاء لم تنفعهم أعمالهم عند فقد الإخلاص بل على العكس من ذلك أهلكتهم أعمالهم.

إذاً فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يحذر من الرياء والسمعة ونحوهما مما يحبط العمل ويضر بصاحبه.

٢- وعن جابر رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض»[2] .

فأولئك كتب لهم من الأجر ما كتب لإخوانهم المجاهدين في سبيل الله وذلك بسبب صلاح نياتهم وإخلاصهم لله.

٣- وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ يعوذ عائذ فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، فقلت:

---

(١) الجامع الصحيح. مسلم. كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار م ٥، ٦ جـ٦ ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق، نفس الجزء. باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ص ٤٩.

يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً. قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته[1] فكانت النية الصالحة سبباً لنجاة صاحبها يوم القيامة.

٤- وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ من سمّع سمّع الله به ومن راءى راءى الله به» وفي رواية من يسمّع يسمّع الله به ومن يراء يراء الله به»[2] .

فالإخلاص سبب لقبول العمل ولنجاة العبد. ولذلك لمّا سأل رجل النبي ﷺ (فيم النجاة) فقال ﷺ : «ألاّ تعمل بما أمرك الله به تريد الناس»[3] .

وقال في الرعاية: «قال أبو الدرداء رضي الله عنه :«إن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان» أي متى تأتيه؟ ومن أين تأتيه؟ وصدق ـ رحمه الله ـ إذا فقه العبد عن الله عز وجل أنه لا يقبل إلا ما خلص وصفا من الأعمال لوجهه دون خلقه، وأن نفسه وعدوّه يدعوانه إلى ما يحبط عمله، حذر واستدل بالعلم، فعلم حين تأتيه النزغة أمِنْ قِبَلِ الرياء أو غيره؟.

---

(١) المرجع السابق، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت م ٨،٧ جـ٨ ص ١٦٦.

(٢) بروايتين في الجامع الصحيح. مسلم. كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله. م ٧، ٨ جـ٨ ص ٢٢٣.

سنن الترمذي. أبواب الزهد. باب ما جاء في الرياء والسمعة جـ٤ ص ١٨ حديث رقم ٢٤٨٨.

(٣) صحيح البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب قول النبي ﷺ اللهم امض لأصحابي هجرتهم جـ٣ ص ٧٨ حديث رقم ٣٩٣٦، كتاب المغازي، باب حجة الوداع جـ٣ ص ١٧٥ حديث رقم ٤٤٠٩.

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ «لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يفسد عمله؛ فلا غنى بالعبد عن معرفة ما أُمِرْنا باتقائه من الرياء وغيره»[1] .

فإن الآمر بالمعروف إذا لم يفطن لهذا الجانب فإنه على خطر عظيم حيث إن الشيطان حريص على أن يفسد عليه عمله.

وقد يدعوه عدوه في أمره ونهيه إلى حب الرياسة وأغراض الدنيا ، ومن ثم يقع في المحذور ويكون ممن قال الله عنهم.

﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾[2] .

فمجرد إرادة الدنيا من العمل سواء أكانت هذه الإرادة في عمل عبادي مفروض، أو مسنون فإن ذلك يحبط العمل.

وقد روي عن معاوية بن أبي سفيان ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية. قالا: هم المراؤون.

وقال القرطبي: «من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب، ولم ينقص شيئاً في الدنيا وله في الآخرة العذاب؛ لأنه جرد قصده للدنيا»[3] . وأما إذا أخلص عمله لله تعالى وجعل هدفه من أمره ونهيه وجه الله تعالى. فإنه يدخل فيمن وصف الله ـ عز وجل ـ قلوبهم بالإخلاص وفيمن

(١) الرعاية لحقوق الله. المحاسبي... تحقيق عبد القادر أحمد عطا ص ١٦٠.

(٢) سورة هود الآية [١٥، ١٦].

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ٩، ١٠ جـ٩ ص ١٤، ١٥.

أثنى عليهم لاتصافهم بذلك. يقول الله تعالى عنهم:

﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ (١) .

على إرادة قول هو في موضع الحال من فاعل يطعمون، أي قائلين ذلك بلسان الحال لما يظهر عليهم من أمارات الإخلاص، وعن مجاهد أما أنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فأثنى الله سبحانه به عليهم ليرغب فيه راغب أو بلسان المقال إزاحة لتوهم المنّ المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر (لا نريد منكم جزاء) بالأفعال (ولا شكوراً) ولا شكراً وثناءً بالأقوال تقرير وتأكيد لما قبله(٢) .

وقال في الرعاية: «فحكى الله عنهم ليرغب راغب، فرضي عنهم إذ نفوا عن قلوبهم إرادة حمد المخلوقين وإرادة مكافأتهم»(٣).

فكذا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يريد جزاء من المدعوين بأفعالهم ولا من أموالهم ولا شكوراً منهم له على نصحه وإرشاده لهم.

وإنما هدفه هدف الأنبياء قبله لا يريد شيئاً مقابل دعوتهم سوى الأجر من الله تعالى.

يقول تعالى حكاية عن نوح عليه السلام وهو يتحدث إلى قومه ويشرح لهم هدفه من الدعوة:

﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الإنسان آية رقم [٩٠].

(٢) روح المعاني الآلوسي م ٢٩، ٣٠ جـ٢٩ ص ١٥٦.

(٣) الرعاية لحقوق الله. المحاسبي ص ١٦٢.

(٤) سورة الشعراء آية رقم [١٠٩].

ويقول عن هود عليه السلام: ﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ [1] .

ويقول عنه أيضاً: ﴿ يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ﴾ [2] .

ويقول سبحانه وتعالى عن صالح عليه السلام: ﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ [3] .

ويقول عز وجل عن لوط عليه السلام: ﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ [4] .

وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام لا يريدون من أمرهم ونهيهم إلا مرضاة الله تعالى. فهكذا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ولو تتبعنا حياة السلف ـ رضي الله عنهم ـ لوجدنا أنهم مهتمون بهذا الأمر فقد يبلغ الإنسان منهم درجة كبيرة من التقى والصلاح لكنه يخشى على نفسه من أن ينصرف بعض عمله إلى غير الله تعالى طلباً لحمد الناس على عمله مثلاً.

ورد عن سليمان الكرخي أنه كان يضرب نفسه ويقول: يا نفس أخلصي تخلصي. وقال أبو سليمان: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى.

وقيل لسهل: «أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص، إذ ليس

---

(١) سورة الشعراء آية رقم [١٢٧].

(٢) سورة هود آية رقم [٥١].

(٣) سورة الشعراء آية رقم [١٤٥].

(٤) سورة الشعراء آية رقم [١٦٥].

لها فيه نصيب»[1] .

«والإنسان قلما ينفك فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته عن شيء من هذه الأمور فلذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزة الإخلاص، وعسر تنقية القلب من هذه الشوائب لأن الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب التقرب إلى الله تعالى»[2] .

وفي هذا الكلام مبالغة، لأن الله سبحانه وتعالى لا يطلب من عبده أمراً متعسراً ومتعذراً لا يقبل منه إلا مرة واحدة في العمل. إلا أن مراد ابن قدامة ـ رحمه الله ـ توضيح صعوبة الإخلاص على النفس.

وهذا نتفق معه عليه.

وليعلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن الإخلاص هو أساس أمره ونهيه فبإخلاصه ينجح أمره ونهيه وبفقدانه لا يصلح له أمر.

قال ابن الجوزي: «إنما يتعثر من لم يخلص»[3] .

وقال الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ :

إن الإخلاص أساس النجاح، وإن الله بيده الأمر كله وإن أسلافكم الكرام لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم وطهارة أرواحهم وذكاء نفوسهم وإخلاص قلوبهم[4] .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الإخلاص إلى يوم نلقاه.

---

(١) ذكر هذه الآثار ابن قدامة. مختصر منهاج القاصدين ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٦.

(٣) صيد الخاطر ٣٥٥.

(٤) مجلة الدعوة عدد ٥٠.

الصفة الثانية: تربية النفس وإصلاحها:

من الأمور المهمة في حياة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يسعى لإصلاح نفسه بالعبادات، لأن الله سبحانه وتعالى شنع بأولئك الذين يسعون لإصلاح الناس وينسون أنفسهم ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [1] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [2] .

وإذا كان القول الراجح من أقوال العلماء أن للإنسان أن يأمر بالمعروف ولو لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن كان يفعله ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [3] [4].

إلا أن هناك أمراً عظيماً يجب أن يفطن إليه. ألا وهو قبول أمره ونهيه وتأثيره على الناس.

فإذا كان الآمر صالحاً ومستقيماً في نفسه فحريٌّ أن يقبل قوله وتسمع كلمته ويكون له تأثير على المجتمع.

لذا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يلتزم بأوامر الإسلام بشتى أنواعها الواجبات منها والنوافل، ويتخذها زاداً يستعين به على أمره ونهيه.

ومن ثم يكون قدوة تحتذى في المجتمع.

---

(١) سورة البقرة آية رقم [٤٤].

(٢) سورة الصف آية رقم [٢، ٣].

(٣) سورة المائدة آية رقم [٧٩].

(٤) انظر إلى ص «١٩٦» من هذا البحث.

وأشير في هذا المبحث إلى الأمور التالية مما يسهم في تربية النفس وإصلاحها، وليكن ذلك بإشارات لطيفة مختصرة، لأن هذا المقام ليس فيه مجال للبسط والتطويل.

أولاً: الصلوات:

لا أقصد بذلك أن يحافظ على الصلوات المفروضة فذلك أمر مفروغ منه، ولكن المطلوب أن يكون متميزاً في صلاته وأدائه لها. بمعنى أن يكون دائماً في الصف الأول لا يتخلف كثيراً، ويتحرى السنة في أدائه حتى يصلي صلاة كصلاة المصطفى ﷺ صلاة كاملة غير منقوصة فيؤدي ذلك إلى أن يقتدي به غيره من عامة الناس، ثم يكون له عوناً في دعوته. يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لابنه ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ لقمان الآية [١٧].

فلقمان ـ عليه السلام ـ أوصى ابنه بأن يستعين بأمر مهم في أمره ونهيه «أقم الصلاة وأمر بالمعروف» لعلمه أنه لا يستطيع أن ينجح في دعوته ما لم يكن بجانبها الصلاة.

وعليه أيضاً أن يحافظ على الرواتب والسنن المؤكدة كصلاة الوتر والليل والضحى...

ومن الأمور المهمة التي ينبغي أن يستعين بها:

قيام الليل فهو من العبادات التي لها تأثيرها القوي على سلوك الفرد ودعوته وأمره ونهيه. والدليل على ذلك حث الله سبحانه وتعالى عليه. ومدح المؤمنين المتصفين بهذه الصفة، وكذلك رسوله ﷺ ومن هنا نجد أن

الرسول ﷺ مهتم بهذا الأمر ومطبق له وكذلك الحال بالنسبة للصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ولأهمية هذا الجانب سوف أذكر بعض الآيات والأحاديث التي تبين أهمية قيام الليل وفضله:

يقول تعالى: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ (١) .

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ :حول هذه الآية. بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهجد به، وبهذه الصلة الدائمة بالله فهذا هو الطريق المؤدي إلى المقام المحمود ، وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به، وهو المصطفى المختار فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به في درجاتهم. فهذا هو الطريق وهذا هو زاد الطريق(٢) .

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٣) .

قال القرطبي: في التجافي «التنفل بالليل» قاله الجمهور من المفسرين وعليه أكثر الناس وهذا الذي فيه المدح، وهو قول مجاهد والأوزاعي ومالك بن أنس والحسن بن أبي الحسن وأبي العالية وغيرهم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرة أعين ﴾ (٤). لأنهم جوزوا على ما أخفوا بما خفي»(٥) .

(١) سورة الإسراء أية رقم [٧٩].

(٢) في ظلال القرآن. سيد قطب جـ٤ ص ٢٢٤٧.

(٣) سورة السجدة آية رقم [١٦]. (٤) سورة السجدة آية رقم [١٧].

(٥) الجامع لأحكام القرآن القرطبي م ١٣، ١٤ ص ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [1] .

أي أن من صفات المؤمنين المخلصين أنهم يحيون الليل كله أو معظمه وإضافة إلى ذلك أنهم يستغفرون بالأسحار خشية التقصير وطلب زيادة الأجر.

قال الرازي: «إنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ويستغفرون من التقصير وهذه سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به»[2] .

والآيات في مدح قيام الليل ومدح أهله كثيرة وإنما الهدف من ذلك الإشارة فقط.

وأما بالنسبة للأحاديث الواردة في ذلك فهي أيضاً كثيرة جداً نورد ما تيسر منها:

١- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» ؟.

وعن المغيرة رضي الله عنه قال «كان النبي ﷺ ليقوم ـ أو ليصلي ـ حتى ترِم قدماه ـ أو ساقاه ـ فيقال له: فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً[3] ؟.

---

(١) سورة الذاريات أية رقم [١٧، ١٨].

(٢) تفسير الفخر الرازي م ٢٧، ٢٨ جـ٢٧ ص ٢٠٣.

(٣) حديث عائشة وحديث المغيرة. صحيح البخاري. كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل جـ١ ص ٣٥٢ حديث رقم ١١٣٠.

فإذا كان النبي ﷺ يقوم حتى تتشقق قدماه من طول الوقوف وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما أحوج عامة المسلمين إلى ذلك وعلى وجه الخصوص الداعية إلى الله تعالى.

٣- وعن حفصة ـ رضي الله عنها ـ في حديثها الطويل ـ عن النبي ﷺ قال :«نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل» قال: سالم فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً[١] .

فجعل الرسول ﷺ قيام الليل سبباً لتزكية عبد الله أو مكملاً لصفاته.

٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً[٢] .

فالرسول ﷺ بين أن صلاة الليل محبوبة إلى الله تعالى.

٥- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة[٣] .

---

(١) صحيح البخاري. كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر جـ٣ ص ٣٠ حديث رقم ٣٧٣٩.

(٢) صحيح البخاري. كتاب التهجد. باب من نام عند السحر جـ١ ص ٣٥٢ حديث رقم ١١٣١.

(٣) الجامع الصحيح. مسلم، باب أو كتاب صلاة المسافرين. باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء م ١، ٢ جـ٢ ص ١٧٥.

وهذا من أبلغ الترغيب في قيام الليل. فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يجعل قيام الليل من الأمور الأساسية في حياته لما له من تأثير كبير في تقوية وقبول دعوته.

٢ ، ٣- وعليه ـ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ـ أن يتزود بزاد الصيام ولا نعني بذلك الصيام المفروض فهذا أمر لا بد منه وإنما نعني بذلك صيام التطوع، كصيام الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الأيام المؤكدة مثل: عاشوراء ويوم قبلها أو بعدها ويوم عرفة، وعشر ذي الحجة إلا يوم العيد، وغير ذلك مما ورد الحث على صيامه؛ لأن هذا يعطيه قوة في دينه ودنياه، وهو من الوسائل الأساسية المعِينة على أمره ونهيه.

وكذلك الحال بالنسبة للصدقة فلا يكن بخيلاً فإن البخيل يبغضه الناس، وإنما ينفق من فضل ماله وليتصدق على القريب والبعيد فإن للصدقة تأثيراً كبيراً باستمالة النفوس وجعلها تتقبل الحق وتعمل به.

وهو أيضاً مأجور على ذلك.

فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين[1] في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، فقال أبو بكر ﷺ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل

---

(١) أي من أنفق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد لوجه الله.

يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم[1] .

٤- المحافظة على تلاوة القرآن:

من الأمور الأساسية في حياة المسلمين عموماً والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على وجه الخصوص المحافظة على تلاوة القرآن، حيث إن القرآن كلام الله تعالى يستمد منه المسلم الأمر والنهي والترغيب والترهيب وجميع التوجيهات الموصلة إلى صراط الله المستقيم. فعليه أن يتعاهد القرآن الكريم، بحيث يخصص له ورداً يومياً، يتلو منه ما يتيسر؛ لكي يكون خلقه القرآن؛ فتكون تصرفاته وأخذه وعطاؤه، وقوله وفعله، كل ذلك مستمداً من توجيهات القرآن.

وليعلم علم يقين أنه ليس هناك من سعادة ولا فلاح ولا صلاح بدون زاد القرآن.

وقد قال قائد البشرية محمد بن عبد الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[2] .

وفي رواية عن عثمان عن النبي ﷺ «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[3] .

فبين الرسول ﷺ أن من أفضل الناس وخيرهم من تعلم القرآن وعلمه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الصيام. باب الريان للصائمين جـ٢ص٣٠ حديث رقم ١٨٩٧.

(٢) المرجع السابق. كتاب فضائل القرآن. باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه جـ٣ ص ٣٤٦ حديث رقم ٥٠٢٧.

(٣) المرجع السابق. الكتاب والباب ص ٣٤٧ حديث رقم ٥٠٢٨.

رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار..»[1] الحديث.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر» قلت إني أجد قوة حتى قال: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك»[2] . فحديث الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو أن يختم القرآن كل شهر فإن كان فيه قوة ففي كل أسبوع وهذا دليل على أهمية القرآن في حياة المسلمين عموماً والدعاة على وجه الخصوص.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[3] .

وخلاصة القول:

ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتزود من جميع النوافل بشتى أنواعها من صلاة وصدقة وصيام وتلاوة للقرآن وذكر وغير ذلك لأن لها تأثيراً عظيماً يحسه من جربه.

وهذه تعد من السلاح المرافق للآمر بالمعروف فهي التي تعينه على الاستمرار في أمره ونهيه وتحمل المشاق التي يواجهها في ذلك. وما ذكر هو على سبيل المثال فقط وليس على سبيل الحصر..

---

(١) صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب اغتباط صاحب القرآن جـ٣ ص ٣٤٦ حديث رقم ٥٠٢٦.

(٢) المرجع السابق نفس الكتاب. باب كم يقرأ القرآن جـ٣ ص ٣٥٢ حديث رقم ٥٠٥٤.

(٣) الجامع الصحيح. مسلم. كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه م١ جـ٢ ص ١٩٥.

الصفة الثالثة: أن يكون عالماً ورعاً

ولا نقصد بذلك أن يكون محيطاً بجميع أحكام الإسلام العامة والخاصة، وإنما يكون عالماً فيما يأمر به وينهى عنه، فلا يأمر إلا بما أمر به الشارع ولا ينهى إلا عما نهى عنه الشارع.

والعلم من الصفات الأساسية التي لا يستغني عنها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؛ لأن الله سبحانه وتعالى رفع من مكانة العلم وجعل للعلماء منزلة تعلو منازل سائر المؤمنين، وكذلك ورد عن النبي ﷺ .

١- يقول تعالى: ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾[1]. فالله سبحانه وتعالى بين أن هناك فرقاً كبيراً بين الذي يعلم والذي لا يعلم فالعالم يقربه علمه إلى الله ويدفعه إلى كثرة السجود والقيام والخشية من الله تعالى[2] .

٢- ويقول سبحانه ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [3] الآية.

فبين سبحانه وتعالى أن منزلة العلماء أرفع من منزلة سائر الذين آمنوا ولم يؤتوا حظاً وافراً من العلم.

٣- يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ [4]

---

(١) سورة الزمر آية رقم [٩].

(٢) انظر الجامع لإحكام القرآن، القرطبي م ١٥، ١٦ جـ١٦ ص ٢٤٠.

(٣) سورة المجادلة من آية [١١].

(٤) سورة فاطر جزء من آية [٢٨].

أي إنما يخشاه حق خشيته العلماءُ العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر[1] .

ولا شك أن العالم يدفعه علمه لأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكون أمره ونهيه على هدى وبصيرة.

٤- ويقول تعالى مخاطباً نبيه ﷺ وآمراً بأن يتعلم العلم قبل العمل فقال سبحانه: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ [2] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم «وإن العلم لا ينفع إلا بالعمل » تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه[3] .

وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ثم أمره بالعمل بعد ذلك فقال ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾ وهي شهادة أن لا إله إلا الله لا يغفر إلا بها من قالها غفر له[4] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٥٣.

(٢) سورة محمد آية رقم [١٩].

(٣) فتح الباري جـ١ ص [١٦٠].

(٤) حلية الأولياء. أبو نعيم م ٧، ٨ جـ٣٠٥.

٥ - وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يدعو ربه بطلب الزيادة من العلم فقال: ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ (١) ولم يأمره بطلب زيادة في شيء في هذه الحياة مطلقاً، وهذا دليل على أهمية العلم ولا سيما للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، حتى يساعده بالتزام طريقه في الدعوة إلى الله والاستمرار فيها.

ففي هذه الآية أمره أن يسأل ربه الزيادة من العلم، وفي أخرى بين فضله على نبيه بالعلم الذي وهبه إياه.

٦- فقال: ﴿ وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ (٢) .

والآيات التي تبين أهمية العلم وفضله كثيرة فعلى الداعية أن يرتوي من هذه الآيات ويعمل بمقتضاها حتى يكون ذلك معيناً له، ويكون أمره ونهيه على بصيرة.

وأما الأحاديث التي وردت فكثيرة نختار منها ما يلي:

١- عن معاوية رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» الحديث رواه البخاري(٣) .

---

(١) سورة طه جزء من آية [١١٤]:

(٢) سورة النساء جزء من الآية رقم [١١٣].

(٣) صحيح البخاري. كتاب العلم. باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين جـ١ ص ٤٢ حديث ٧١.

نفس المرجع، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من =

... ...

أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم جـ٤ ص ٣٦٦ حديث رقم ٧٣١٢.

الجامع الصحيح. مسلم. كتاب الزكاة. باب النهي عن المسألة م ٣، ٤ جـ٣ ص ٩٤، ٩٥.

نفس المرجع. كتاب الإمارة. باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم م ٥، ٦ جـ٦ ص ٥٣ . ٥٤.

صحيح ابن حبان. كتاب العلم. ذكر إرادة الله جل وعلا خير الدارين بمن تفقه في الدين جـ١ ص ١٥٢ حديث رقم ٨٩.

سنن الترمذي. أبواب العلم. باب إذا أراد الله بعبده خيراً فقهه في الدين جـ٤ ص ١٣٧ حديث رقم ٢٧٨٣ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال: وفي الباب عن عمر وأبي هريرة ومعاوية. انتهى.

سنن الدارمي. باب الاقتداء بالعلماء. جـ١ ص ٧٤.

ويكفي من ذلك أن النبي ﷺ شهد أن من تعلم العلم فقد أراد الله به خيراً.

٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسُلِّطَ على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[1]رواه البخاري.

٣- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية[2]

١- صحيح البخاري. كتاب العلم. باب الاغتباط في العلم والحكمة جـ١ ص ٤٣ حديث رقم ٧٣.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب صلاة المسافرين باب «فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها.

مسند الإمام أحمد جـ١ ص ٤٣٢.

سنن ابن ماجة كتاب الزهد. باب الحسد جـ٢ ص ١٤٠٧ حديث رقم ٤٢٠٨.

البغوي في شرح السنة. باب التحاسد في العلم جـ١ ص ٢٩٨، ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب الحسد. جـ٢ ص ١٤٠٧.

(٢) «نقيه» وردت بروايات مختلفة، فعند البخاري «نقية» وعند مسلم «طيبة» وعند البغوي «ثغبة».

قال ابن حجر في الفتح «نقية» كذا عند البخاري في جميع الروايات التي رأيناها بالنون من النقا لكن وقع عند الخطابي والحميدي «ثغبة» بمثلثة. قال القاضي عياض: هذا غلط في الرواية وإحالة للمعنى؛ لأن هذا وصف الطائفة الأولى التي تنبت وما ذكره يصلح وصفاً للثانية التي تمسك الماء[1] .

---

(١) فتح الباري. ابن حجر جـ١ ص ١٧٦.

قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

ففي هذا الحديث العظيم ضرب النبي ﷺ لما جاء من الدين مثلاً بالغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت. فقد شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم. فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت وانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها. ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أدّاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها[١] .

فهذا الحديث الشريف يوضح فيه المصطفى ﷺ عظم مكانة العالم العامل المعلم للناس على غيره من بقية الناس.

فينبغي للآمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر أن يكون بمنزلة الأرض الطيبة التي تنفع نفسها وغيرها، فيكون عالماً وعاملاً ومعلماً.

---

(١) انظر فتح الباري. شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني جـ١ ص ١٧٧.

٤- وعن كثير بن قيس قال: كنت مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في حديث بلغني أنك تحدث عن رسول الله ﷺ قال: ما كانت لك حاجة غيره؟ قال: لا، قال: ولا جئت لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئت إلا فيه؟ قال: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سلك طريق علم سَهَّل الله له طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن السموات والأرض والحوت في الماء لتدعو له، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر، العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر»[1].

فهذا الحديث الشريف يوضح فضل العلم ومكانته وأن للعالم فضلاً على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإذا كان فضله على العابد بهذه المنزلة فكيف بفضله على سائر الناس.

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب العلم. باب فضل الفقه على العبادة. جـ٤ ص ١٥٣ حديث رقم ٢٨٢٣.

ورواه أبو داود في سننه. كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم جـ٣ ص ٣١٧ حديث رقم ٣٦٤١.

ورواه الدارمي في سننه، باب فضل العلم والعالم جـ١ ص ٩٨.

ورواه ابن ماجة في سننه. باب فضل العلماء والحث على طلب العلم جـ١ ص ٨١ حديث رقم ٢٢٣.

ورواه ابن ماجة في صحيحه. كتاب العلم. ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل. جـ١ ص ١٥١، ١٥٢ حديث رقم ٨٨.

٥- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[١] .

فكل من يقلع عن منكر أو يفعل معروفاً بسبب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. فإن للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر نصيباً من الأجر يستمر بعد موته.

هذه بعض الأحاديث التي تبين فضل العلم وأهميته للناس عموماً، وللآمر بالمعروف والناهي عن المنكر خصوصاً.

وأما الآثار الواردة في ذلك فمنها:

١- عن زيد بن أسلم ﷺ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾[٢] قال بالعلم[٣] .

٢- وعن أبي الدرداء ﷺ قال: الناس عالم ومتعلم ولا خير فيما بعد ذلك[٤] .

٣- وعنه أيضاً قال: معلم الخير والمتعلم في الأجر سواء وليس لسائر الناس بعد خير[٥] .

---

(١) رواه مسلم، الجامع الصحيح. كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته م ٥، ٦ جـ٥ ص ٧٣.

(٢) سورة الأنعام آية رقم [٨٣].

(٣) فتح الباري. ابن حجر جـ١ ص ١٤١.

(٤) سنن الدارمي باب في ذهاب العلم جـ١ ص ٧٩.

(٥) المرجع السابق الجزء والصفحة.

٤- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابعة فتهلك[١] .

٥- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن معاذاً[٢] كان أمة قانتاً لله حنيفاً. فقيل له: «إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً»[٣]. فقال: ما نسيت، أتدرون ما الأمة؟ وما القانت؟ فقلنا الله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الناس الخير، والقانت المطيع لله عز وجل وللرسول. وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعاً لله عز وجل ولرسوله»[٤] .

فعلى هذا المفهوم ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون أمة قانتاً فيطيع الله ورسوله ويعلم الناس الخير.

٦- وعندما حضرت الوفاة الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ قال لجاريته: ويحك هل أصبحنا؟ قالت: لا ثم تركها ساعة ثم قال: انظري فقالت: نعم فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: مرحباً بالموت بزائر جاء على فاقة. لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظمأ الهواجر في الحر الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر[٥] .

---

(١) المرجع السابق الجزء والصفحة.

(٢) يعني الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) سورة النحل جزء من آية رقم [١٢٠].

(٤) صفة الصفوة ابن الجوزي جـ١ ص ٤٩٤، ٤٩٥.

(٥) جامع بيان العلم وفضله. ابن عبد البر جـ١ ص ٥١.

وعن علي ﷺ قال: العلم خير من المال؛ لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، والمال تفنيه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة(١) .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدح العلماء:

فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال من الحرام فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدى في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾(٢).

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبد الله، والحسن البصري وأبو العالية وعطاء والضحاك ومجاهد في إحدى الروايتين. أولو الأمر هم العلماء(٣) وأنشد أبو عمر أحمد بن سعيد:

*رأيت العلم صاحبه شريف * وإن ولدته آباءٌ لئامُ*

*وليس يزال يرفعه إلى أن * يعظِّم قدرَه القومُ الكرامُ*

*ويتبعونه في كل أمرٍ * كراعي الضأن تتبعه السوامُ*

*ويحمل قوله في كل أفق * ومن يَكُ عالماً فهو الإمامُ*

---

(١) المرجع السابق ص ٥٧.
(٢) سورة النساء [٥٩].
(٣) إعلام الموقعين. ابن القيم جـ١ ص ٩، ١٠.

فلولا العلم ما سعدت نفوس * ولا عُــرف الحــلال ولا الحــرامُ
فبالعلم النجاة من المخازي * وبالجهــل المذلــــة والرغـــامُ
هـو الهادي الدليل إلى المعالي * ومصبــاح يضــيء بــه الظــلامُ
كذاك عن الرسول أتى عليه * مــن اللّــه التحيــة والســـلامُ[1]

وبالجملة فإنه لا بد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يطلب العلم ويلحق بركاب العلماء حتى يجد النور ساطعاً في كل فج يسلكه. وحتى يعضد أمره ونهيه بالأدلة الشرعية مما يجعل الحجة معه ومن ثم يكون لأمره ونهيه تأثير في المجتمع.

وأما الورع:

فإنه من الأمور الأساسية والمهمة في حياة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، حيث إنه أساس لقبول العبادات ونتيجة تؤدي إلى الزهد المشروع. وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على مشروعيته واستحبابه.

ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبّهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب[2] .

(١) جامع بيان العلم وفضله. ابن عبد البر جـ١ ص ٥٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه جـ١ ص ٣٤ حديث رقم ٥٢.

وفي رواية أخرى للبخاري عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ : «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما شبّه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه»[1] .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح:

كأن البخاري أراد ـ أي بإيراد هذا الحديث ـ أن يبين أن الورع من مكملات الإيمان[2] .

---

(١) صحيح البخاري. كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات. جـ٢ ص ٧٤ حديث رقم ٢٠٥١.
وقد جاء هذا الحديث بروايات مختلفة لكنها متحدة المعنى.
فقد رواه مسلم في جامعه، كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات م ٥، ٦ جـ٥ ص ٥٠.
ورواه النسائي في سننه. كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب م ٨.٧ جـ٧ ص ٢٤١، ٢٤٢.
ورواه الترمذي في سننه، أبواب البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات جـ٢ ص ٣٤٠ حديث رقم ١٢٢١.
ورواه أبو داود في سننه. كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات جـ٣ ص ٢٤٣ حديث رقم ٣٣٢٩.
ورواه ابن حبان في صحيحه. باب الورع والتوكل ـ ذكر الأخبار عن وصف حالة من يتورع عن الشبهات في الدنيا جـ٢ ص ٥١، ٥٢ حديث رقم ٧١٩.

(٢) فتح الباري جـ١ ص ١٢٦.

فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون ورعاً حتى يكون لأمره ونهيه تأثير على الآخرين، وقبول منهم، ويكون ورعاً في أمره ونهيه وورعاً في تعامله وأخذه ورده. ويسعى لإصلاح قلبه الذي هو منبع الورع وعليه يدور صلاح الأفعال والأقوال.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ حول قوله ﷺ :«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1] فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان القلب سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعث إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم[2] ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [3] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مرّ النبي ﷺ بتمرة مسقوطة فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها»[4] .

وهذا من أعظم الأمثلة التي يضربها نبينا محمد ﷺ لأمته في

---

(١) جزء من حديث النعمان بن بشير وتقدم تخريجه.

(٢) جامع العلوم والحكم. ابن رجب الحنبلي البغدادي ص ٧٣.

(٣) سورة الشعراء آية [٨٩].

(٤) رواه البخاري في صحيحه. كتاب البيوع، باب ما يتنزه من الشبهات جـ٢ ص ٧٥ حديث رقم ٢٠٥٥.

الورع. ولهم فيه أسوة.

وعن أبي محمد الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ قال حفظت من رسول الله ﷺ :

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1] وفي رواية للترمذي عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: حفظت من رسول الله ﷺ :

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»[2] .

لذا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحلى بصفة الورع والتي تجعل أمره مجرداً من جميع الأهواء والأغراض وفي الوقت نفسه تجعل لقوله وأمره ونهيه قبولاً لدى المأمورين.

---

(١) رواه النسائي في سننه. كتاب الأشربة. الحث على ترك الشبهات م ٧، ٨ جـ٨ ص ٣٢٧.

(٢) سنن الترمذي. أبواب صفة القيامة جـ٤ ص ٧٧ حديث رقم ٢٦٣٧. وقال الترمذي هذا حديث صحيح ورواه ابن حبان بلفظ «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» قال: «الخير طمأنينة والشر ريبة»[1].

---

(١) صحيح ابن حبان. باب التوكل. ذكر الزجر عمّا يريب المرء من أسباب هذه الدنيا الفانية الزائلة. جـ٢ ص ٥٢.

وقد جاء هذا الحديث بروايات مختلفة.

انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الهيثمي. باب التورع عن الشبهات. جـ١٠ ص ٢٩٤، ٢٩٥.

الصفة الرابعة: الرفق والحلم والعفو:

إن الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هو الدعوة إلى الله تعالى في أول الأمر بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة، الذي يشعر المدعو والمأمور والمنهي بأنك مشفق عليه وتحب له الخير، حتى تنفتح لك نفسه ويستجيب للدعوة والأمر والنهي.

١- يقول تعالى: ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ [١] أي قولوا لهم القول الطيب، وجادلوهم بأحسن ما يحبون. قاله أبو العالية[٢] فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مطالب بالقول الحسن أياً كان هذا المدعو براً كان أو فاجراً، لما للقول الحسن من تأثير عليه.

٢- ويقول سبحانه عن رسوله ﷺ: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[٣]يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم. ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر. فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضى.. وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية [٨٣].

(٢) روح المعاني. الألوسي م ١، ٢ جـ١ ص ٣٠٨.

(٣) سورة آل عمران جزء من الآية [١٥٩].

لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبرّه وعطفه ووده الكريم. وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة...[1] .

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون هيناً عطوفاً مشفقاً على الناس، ينظر إليهم على أنه طبيب وأن أولئك أمثال المرضى يحتاجون إلى علاج، وأي مرض أشد من مرض القلوب؟ فما أحوجها إلى طبيب ماهر يعطي كل مريض الجرعة التي تناسبه.

٣- ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [2] أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وأتى منهم وتسهل من غير كلفة، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا «وأعرض عن الجاهلين» ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وغضّ على ما يسوؤك منهم[3] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة. فأذن له عمر،

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب جـ١ ص ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) سورة الأعراف آية [١٩٩].

(٣) تفسير الكشاف. الزمخشري. م ١ . ٢ جـ٢ ص ١٥٢.

فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[1] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله»[2].

وعن عبد الله بن الزبير قال: «أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»[3].

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقتدي بالرسول ﷺ ويعمل بتوجيهات القرآن الكريم من حيث استخدام الأسلوب السهل والأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلين بعدم مقابلتهم بالمثل.

*خذ العفو وأمر بعرف كما * أمرت وأعرض عن الجاهلينَا*

*وعند اقتدارك كن راحماً * وأظهر دواماً مع الجاه[4] لينا[5]*

وإنك لتعجب من بعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عندما تراهم يستخدمون بعض الألفاظ التي تحمل الجفاء والشدة والغلظة مما ينفر الناس منهم ـ ولكنهم بفضل الله قليل ـ .

---

(١) سورة الأعراف آية [١٩٩].

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب تفسير القرآن، باب «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» جـ٣ ص ٢٣١ حديث رقم ٤٦٤٢.

(٣) المرجع السابق. الكتاب والباب والجزء ص ٢٣١، ٢٣٢ حديث رقم ٤٦٤٤.

(٤) الجاه: أي ذوي المكانة.

(٥) زهرة الآداب وثمر الألباب. القيرواني م ١، ٢ جـ٢ ص ٤٢٧.

٤- ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.. ﴾ [١] .

قال القرطبي:

هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين. ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة[٢] .

فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يدعو الناس إلى الصراط المستقيم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لأن النفوس مجبولة على حب سماع الكلام الطيب السهل المحبب للنفوس. وبنفس الوقت يحصل النفور ورد الفعل عند عكس ذلك.

٥- ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حينما بعثهما إلى فرعون: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾[٣] قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين[٤] .

---

(١) سورة النحل جزء من الآية [١٢٥].

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م٩، ١٠ جـ١٠ ص ٢٠٠.

(٣) سورة طه آية [٤٤].

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٣ ص ١٥٣.

فإذا كان هذا التوجيه في جانب الكافرين إذاً فما التوجيه في جانب المؤمنين فلينتبه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر إلى ذلك.

٦- ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [١] .

المراد بالحسنة دعوة الرسول ﷺ إلى الدين الحق، والصبر على جهالة الكفار، وترك الانتقام، وترك الالتفات إليهم، والمراد بالسيئة ما أظهروه من الجلافة في قولهم: ﴿ قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ﴾ [٢] وما ذكروه في قولهم: ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ [٣] فكأنه قال: يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة. بمعنى أنك إذا أتيت بهذه الحسنة تكون مستوجباً للتعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة وهم بالضد من ذلك[٤] .

والأولى أن نقول إن «الحسنة» عامة في كل ما دعى إليه الشرع ورغب فيه. و«السيئة» كل ما نهى عنه الشرع وحذر منه؛ لأنه ليس لهذا التخصيص دليل فتبقى الآية على عمومها.

وهذا الحكم ـ وهو عدم الاستواء بين الحسنة والسيئة ـ أمر فطري تعرفه العقول السليمة.

---

(١) سورة فصلت آية رقم [٣٤، ٣٥].

(٢) سورة فصلت جزء من الآية رقم [٥].

(٣) سورة فصلت جزء من الآية رقم [٢٦].

(٤) تفسير الفخر الرازي م ٢٧ ، ٢٨ جـ٢٧ ص ١٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن. فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ أي ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة، وإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق[1] .

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يجعل هذه الآية الكريمة نصب عينيه وهو يأمر وينهى حتى ينجح في أمره ونهيه؛ لأن الله سبحانه وتعالى بين نتيجة ذلك لمن استعمل الأسلوب الذي أمر به.

وبين سبحانه أن هذه المرتبة عظيمة ورفيعة فلا يصل إليها إلا من سعى إليها وبعد توفيق الله له. ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ وقد جعل سبحانه وتعالى التوفيق لذلك شروطاً منها: الصبر على الدعوة والعمل بتوجيهات القرآن الكريم، ثم سؤال الله تعالى دائماً وأبداً، والتوفيق والعون منه سبحانه وتعالى.

يقول الفخر الرازي: ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ من الفضائل النفسانية والدرجة العالية في القوة الروحانية، فإن الاشتغال بالانتقام والدفع لا يحصل إلا بعد تأثر النفس، وتأثر النفس من الواردات الخارجية لا يحصل إلا عند ضعف النفس، فأما إذا كانت النفس قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية، وإذا لم تتأثر منها لم تضعف ولم تتأذ ولم تشتغل بالانتقام، فثبت أن هذه السيرة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات[2] .

---

(١) روح المعاني. الألوسي م ٢٣، ٢٤ ص ١٢٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي م ٢٧، ٢٨ جـ٢٧ ص ١٢٨.

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة مبينة فضل الرفق:

١- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ قد قلت وعليكم[1].

فهذا الحديث يبين فيه الرسول ﷺ أن الله يحب الرفق في الأمر كله.

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه، فقال رسول الله ﷺ لا تُزْرِمُوه[2] ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله جـ٤ ص ٩٦ حديث رقم ٦٠٢٤.

ورواه البخاري أيضاً في كتاب الاستئذان. باب كيف الرد على أهل الذمة جـ٤ ص ١٤٢ حديث رقم ٦٢٥٦.

ورواه البخاري أيضاً في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب إذا عرَّض الذّميُّ أو غيرهُ بسَبِّ النبي ﷺ ولم يصرح جـ٤ص٢٨٠ حديث رقم ٦٩٢٧.

(٢) لا تُزْرِمُوه: بضم التاء وإسكان الزاي وبعدها راء مهملة أي لا تقطعوا عليه بوله.

قال ابن منظور في لسان العرب: جـ١٨٢٨/٢ وزرم البيع إذا انقطع. وزَرَمَ الشي يَزْرِمُهُ زَرْماً وأزْرَمَهُ وَزَرَّمَهُ: قطعه.

والزُّرَّمْ: القليل المنقطع، والزَّريم: الذليل القليل الرهط.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب. باب الرفق في الأمر كله جـ٤ ص ٩٦ حديث رقم ٦٠٢٥.

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن أعرابياً بال في المسجد، فقام إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»(١) .

فأي جفاء أشد من فعل هذا الأعرابي: بول في موضع العبادة، بول في بيت من بيوت الله، وأيضاً على مرأى من الناس. ولكنه فعل ذلك بحضور من بعث رحمة للناس من بعث ميسراً ومعلماً ومرشداً. فقابل هذا الفعل بالرفق، وأي رفق أشد من هذا الرفق «دعوه لا تقطعوا عليه بوله» حتى لا يتأذى صحياً. وما كان له من عقاب إلا أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتطهير تلك البقعة وإرشاد هذا الأعرابي إلى أن هذه الأرض خصصت للعبادة فلا ينبغي أن تستخدم لشيء من هذه الأقذار(٢) .

---

(١) المرجع السابق. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «يسروا ولا تعسروا» ص ١١٤ حديث رقم ٦١٢٨.

(٢) كما بين ذلك مسلم في روايته عن أنس بن مالك قال أنس: فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا الأقذار إنما هي لذكر الله» الحديث رواه مسلم في صحيحه. كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها م١، ٢ جـ١ ص ١٦٣.

وروى هذا الحديث ابن ماجة في سننه. كتاب الطهارة وسننها، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل جـ١ ص ١٧٥، ١٧٦ حديث رقم ٥٢٨.

ورواه أحمد في مسنده جـ٣ ص ١١٠، ١١١.

ورواه الدارمي في سننه. كتاب الطهارة والصلاة باب البول في المسجد جـ١ ص ١٨٩.

إنها لصورة رائعة ومقابلة عظيمة وفعل جليل من الرسول ﷺ فيجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يقتدوا بالرسول ﷺ ويأخذوا دروساً من مثل هذه المواقف العظيمة حتى يحسوا بنتائج أمرهم ونهيهم.

٣- وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». وعنها ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه[١].

ففي هذين الحديثين يبين الرسول ﷺ أن الرفق لا يدخل في أمر من الأمور إلا وصلح هذا الأمر ولا ينزع الرفق من أمر من الأمور إلا وفسد هذا الأمر ـ وهذا في الغالب ـ وأن الله سبحانه وتعالى يعطي من التوفيق والقبول بسبب الرفق ما لا يعطي على القسوة والعنف وما لا يعطي على ما سواه، وتوجيه الرسول ﷺ أمر محسوس فما استعمل أحد الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الرفق إلا ويجدون التوفيق والقبول حليفهم، وما استعمل أحد منهم العنف والقسوة والشدة إلا ويجدون خلاف

---

(١) روى هذين الحديثين الإمام مسلم في صحيحه. كتاب البر والصلة. باب فضل الرفق م ٧، ٨ جـ٨ ص ٢٢ .

ورواه أبو داود في سننه بلفظ «يا عائشة ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه» أول كتاب الجهاد باب ما جاء في الهجرة جـ٣ ص ٣ حديث ٢٤٧٨.

ورواه الإمام أحمد بمسنده جـ٦ ص ٥٨.

ورواه ابن ماجة في سننه عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ «من يحرم الرفق يحرم الخير» كتاب الأدب، باب الرفق جـ٢ ص ١٢١٦ حديث رقم ٣٦٨٧.

ذلك. لذا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يجعل الرفق من الصفات الملازمة له فلا ينفك عنه أبداً.

ولقد بين الرسول ﷺ أن الرجل الرفيق قد اتصف بصفات أهل الجنة وكفى بذلك فخراً.

٤- فقد روي عن عياض بن حمار المجاشعي في حديثه الطويل أن الرسول ﷺ قال في خطبته... وأهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال...[1] الحديث.

وقد بين الرسول ﷺ بأن الرجل الرفيق الهين السهل بأنه يحرم على النار أو تحرم عليه النار، وإذا كان كذلك ضَمِنَ دخول الجنة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار وبمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل»[2].

وعن عصمة بن عصام قال: حدثنا حنبل، أنه سمع أبا عبد الله يقول: والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً مبايناً بالفسق والردى فيجب عليك نهيه وإعلانه؛ لأنه يقال ليس لفاسق حرمة فهذا لا حرمة له[3].

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار م ٨.٧ جـ٨ ص ١٥٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه. أبواب صفة القيامة الباب ١٥ جـ٤ ص ٦٦ حديث رقم ٢٦٠٦.

(٣) رواه أبو بكر الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤٦، ٤٧ وانظر الآداب الشرعية ابن مفلح جـ١ ص ٢١٤.

وقال ابن مفلح رحمه اللّه: «ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر متواضعاً رفيقاً فيما يدعو إليه شفيقاً رحيماً غير فظ ولا غليظ القلب ولا متعنتاً. قاصداً بذلك وجه اللّه عز وجل، وإقامة دينه ونصرة شرعه وامتثال أمره وإحياء سنته بلا رياء ولا منافقة ولا مداهنة، ويسن له العمل بالنوافل والمندوبات والتثبت والمسامحة بالهفوة عند أول مرة[1] .

وعن أبي نعيم قال حدثنا يوسف بن يعقوب النجيرمي قال حدثنا الحسن ابن المثنى قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا ثابت أن صلة بن أشيم وأصحابه مرّ بهم فتى يجر ثوبه فَهَمّ أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً فقال صلة: دعوني أكفكم أمره فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك؟ قال: أحب أن ترفع إزارك، قال: نعم. ونعمى عين وفي رواية نعم وكرامة فرفع إزاره. فقال صلة لأصحابه: هذا كان أفضل مما أردتم، لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم»[2] .

ولكن على الآمر بالمعروف أن لا يكون رفقه ذلك مداهنة أو خوفاً أو استمالة للقلوب للوصول إلى عرض من أعراض الدنيا وحطامها فإن ذلك ليس من الرفق المشروع، ولعل ما تقدم من الأدلة فيه كفاية لوضوح هذا الجانب.

---

(١) رواه أبو بكر الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤٦، ٤٧ وانظر الآداب الشرعية ابن مفلح جـ١ ص ٢١٤ باختصار.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء م ١، ٢ جـ٢ ص ٢٣٨.

وأما الحلم والعفو[1] فهما من الأمور المهمة التي لا يستغني عن الاتصاف بهما الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. وقد جاء الشرع الحكيم موضحاً فضلهما وضرورتهما للناس عموماً، والدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر خصوصاً.

يقول تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾[2].

«وليعفوا» عن ذنبهم الذي أذنبوه وجنايتهم التي اقترفوها «وليصفحوا» بالإغضاء عن الجاني والإغماض عن جنايته. ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ بسبب عفوكم وصفحكم عن الفاعلين للإساءة عليكم[3].

فمن يرغب بمغفرة ذنوبه فليعف وليصفح حتى يتحقق له وعد الله. ومن ذا الذي لا يرغب بمغفرة الذنوب! ويقول تعالى: ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ [4] يقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ حول هذه الآية: وهذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وبهذا يحصل وتأليف وجمع على

---

(١) الحلم: إمساك النفس عن هيجان الغضب. والتحلم: إمساكها عن قضاء الوطر منه إذا هاج.

والعفو: هو ترك المؤاخذة بالذنب. والصفح: ترك التثريب. ذكر هذه المعاني الراغب الأصفهاني في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٤٢.

(٢) سورة النور آية [٢٢].

(٣) ذكر معاني الآيات الثلاث. الشوكاني في فتح القدير جـ٤ ص ١٦.

(٤) سورة المائدة جزء من الآية [١٣].

الحق ولعل الله أن يهديهم ولهذا قال ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ يعني به الصفح عمن أساء إليك[1] .

ويقول تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله إن الله لا يحب الظالمين﴾ [2] يقول جل ثناؤه فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه فغفرها له ولم يعاقبه بها وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله فأجر عفوه ذلك على الله والله مثيبه عليه ثوابه[3] .

فكل الآيات السابقات تدعو المسلمين إلى العفو وعدم مجازاة السيئة بالسيئة، وتبين الفضل الكبير الذي يحصل عليه من عفا عمن أساء إليه. وهذا المبدأ يبين عظمة الإسلام في دعوته إلى الأمور التي تشد روابط المجتمع وتربط بينهم بعضهم مع بعض. لذا يجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يكونوا أقرب الناس إلى العفو والصفح والمسامحة وخاصة أنهم أكثر الناس تعرضاً للنيل منهم ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٢ ص ٣٣.

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولكنهم يقولون إنه لا مانع من العمل بها إذا كان يُرْجَى إسلام هذا الكافر، انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي م ٥، ٦ جـ٦ ص ١١٦.

وانظر أيضاً المرجع السابق م ٩، ١٠ جـ١٠ ص ٢٠٠.

(٢) سورة الشورى جزء من الآية [٤٠].

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن. الطبري م ٢٤، ٢٧ جـ٢٥ ص ٢٤.

(٤) سورة آل عمران جزء من الآية [١٣٤].

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : كذلك تعمل التقوى في هذا الحقل بنفس البواعث ونفس المؤثرات، فالغيظ انفعال بشري تصاحبه أو تلاحقه فورة في الدم، فهو إحدى دفعات التكوين البشري وإحدى ضروراته وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى، وإلا بتلك الروحية المنبثقة من التطلع إلى أفق أعلى وأوسع من آفاق الذات والضرورات. وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى وهي وحدها لا تكفي فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضغن فيتحول الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين.. لذا يستمر النص ليقرر النهاية اللطيفة لذلك الغيظ الكظيم في نفوس المتقين إنها العفو والسماحة والانطلاق. إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه وشواظ يلفح القلب ودخان يغشى الضمير.. فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب فهو الانطلاق من ذلك الوقر والبرد في القلب والسلام في الضمير[1] .

ففي هذه الآية امتدح الله سبحانه وتعالى من اتصف بهذه الصفات الآتية:

الكاظمين الغيظ.

والعافين عن الناس.

والمحسنين إليهم.

وأولى من يتصف بهذه الصفات الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

والآيات التي تدعو إلى الحلم والعفو كثيرة وقد اقتصرنا على ذلك للاختصار.

---

(١) في ظلال القرآن. سيد قطب جـ١ ص ٤٧٥ باختصار.

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فهي أيضاً كثيرة نورد منها ما يلي:

- ورد في حديث ابن عباس الطويل حين قدوم وفد من عبد القيس، وفيه قال رسول الله ﷺ: لأشَجِّ عبد قيس إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة[1] .

وفي رواية أبي داود «إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» قال يا رسول الله: أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال: «بل الله جبلك عليهما» قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله»[2] .

فالرسول ﷺ يبين في هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يحب الحلم والأناة، والمسلم الصادق يسعى إلى فعل الخصال المحبوبة إلى الله تعالى.

ومن أروع الأمثلة التي ضربها الرسول ﷺ لأمته في الحلم والعفو، ما روته عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال:«لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة، قد أظلتني، فنظرت فإذا

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه م ١، ٢ جـ١ ص ٣٦ ، ٣٧ .

ورواه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة. باب ما جاء في التأني وعدم العجلة جـ٣ ص ٢٤٧ حديث رقم ٢٠٨٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب، باب في قبلة المسجد جـ٤ ص ٣٥٧ حديث رقم ٥٢٢٥.

فيها جبريل عليه السلام. فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1] .

فالله أكبر إن هذا الحديث ليبين بوضوح الأخلاق والعفو والحلم الذي جبل عليه الرسول ﷺ يأتي ملك الجبال في ساعة ضيق وحرج من القوم ويأتي إليه لكي ينتصر له وأي نصر إنه هلاك القوم.

لكن نظرة الرسول ﷺ نظرة بعيدة وبعيدة، فهو لا ينظر إلى الساعة التي هو فيها فقط، ولكنه ينظر إلى المستقبل البعيد «لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله» فعلاً أصابت نظرة الرسول ﷺ فخرج من أصلابهم آلاف الرجال الأفذاذ الذين عبدوا الله على أكمل وجه.

لذا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقتدي بالرسول ﷺ بالحلم والعفو ولا ينظر إلى الساعة التي هو فيها. الانتقام من المأمور أو الذي حصل لديه ردّ فعل من جراء أمره ونهيه، بل يعفو ويحلم ويصفح

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم «آمين» والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه جـ٢ ص ٤٢٨ حديث رقم ٣٢٣١.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين م ٥، ٦ جـ٥ ص ١٨٠.

فلعل الله سبحانه وتعالى يجعل بسبب عفوه ومسامحته وكلمته الطيبة هداية لا ضلال بعدها.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»[1] الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه به بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[2].

---

(١) رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام اختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته م ٧، ٨ جـ٧ ص٨٠.
مسند الإمام أحمد جـ٦ ص ٣١، ٣٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب اللباس باب البرود والحبر والشملة جـ٤ ص ٥٨ حديث رقم ٥٨٩٠.
ورواه أيضاً في كتاب الأدب، باب التبسم والضحك جـ٤ ص ١٠٨ حديث ٦٠٨٨.
مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الزكاة. باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة م ٣، ٤ جـ٣ ص ١٠٣.
ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ٣ ص ١٥٣، ٢٢٤ من الجزء نفسه.

فأي احتمال أشد من هذا الاحتمال وأي عفو أشد من هذا العفو أعرابي يجذب برد الرسول ﷺ ويؤثر في عاتقه ويلتفت إليه وهو يضحك ومع ذلك يلبي طلبه بكل سعة وارتياح. فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الرحيم بالأمة.

وإذا كان هذا الأمر يواجه أفضل الخلق ـ محمد بن عبد الله ـ ﷺ ومع ذلك يتحمل ويعفو ويسامح فغيره من الأمة من باب أولى، وأقرب الناس لذلك الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؛ لأنهم هم الذين نذروا أنفسهم لحماية شرع الله وسنة رسوله ﷺ والدعوة إلى تطبيقهما.

وإذا كان هذا هو موقف الرسول ﷺ فإن هذا الأسلوب من صفات الأنبياء قبله حيث يحكي ذلك الرسول ﷺ :

فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(١).

فهذا النبي يضربه قومه ويدمونه ويمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» إن حلمه وعفوه منعاه من الدعاء على قومه وسؤال الله هلاكهم أو شتمهم أو غير ذلك من الانتقام منهم ولم يسكت عن سوء فعلهم فقط وإنما أخذ يدعو لهم بالغفران!! إن هذا منتهى الحلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأنبياء باب [٥٤] جـ٢ ص٤٩٩ حديث ٣٤٧٧. ورواه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن. باب الصبر على البلاء جـ٢ ص ١٣٣٥ حديث رقم ٤٠٢٥.

إن الدعاة إلى الله لا يحبون الانتقام ولا هلاك الناس وضلالهم؛ لأنهم يدعون الناس لينقذوهم مما هم فيه من الضلال حتى لا يقعوا في غضب الله وعذابه، لذلك يتحملون ما يواجهون في دعوتهم إلى الله تعالى، لذا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتمعن في سير الأنبياء وهدْيهم، ومن ثم يسير على طريقهم حتى يصل إلى النتائج التي وصلوا إليها.

ولقد كان الرسول ﷺ دائماً يوجه أصحابه إلى عدم مقابلة الإساءة بالإساءة وإنما يدعوهم دائماً إلى العفو والإحسان والتحمل لمعرفته ﷺ بما يصلح النفوس. فالعفو والتسامح أقرب إلى الإصلاح من المقابلة بالمثل.

ولقد شكا أحد الصحابة رضي الله عنه ما يجده من أقربائه من سوء المعاملة رغم إحسانه إليهم فأمره بالاستمرار بحسن معاملته وبين النتيجة في النهاية له.

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ! فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[1] .

وأمره ﷺ لهذا الرجل ولغيره من الأمة.

ومن أروع الأمثلة التي يضربها الرسول ﷺ لأمته أن الأعداء ـ أحياناً ـ يحاولون قتله ويصرحون بذلك ويقعون تحت قبضة يده ومع ذلك يعفو عنهم.

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة. باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها م ٧، ٨ جـ ٨ ص ٨.

ورد عن أنس بن مالك ﵁ أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها - فجيء بها إلى رسول الله ﷺ - فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك. فقال: ما كان الله ليسلطك عليَّ فقالوا: ألا تقتلها ؟ قال: لا ، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ (١) .

وعن جابر بن عبد الله ﵁ أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع، فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم» وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال: لها أسممت هذه الشاة ؟ قالت اليهودية: من أخبرك ؟ قال: «أخبرتني هذه في يدي» للذراع قالت: نعم قال: «فما أردت إلى ذلك» ؟ قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره وإن لم يكن استرحنا منه. فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها وتوفي بعض

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب قبول الهدية من المشركين جـ٢ ص ٢٤١ حديث رقم ٢٦١٧.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب السلام. باب السم م ٧، ٨ جـ ٧ ص ١٤، ١٥.

ورواه أبو داود في سننه. كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه جـ٤ ص ١٧٣ حديث رقم ٤٥٠٨.

ورواه الإمام أحمد بمسنده عن ابن عباس بلفظ قال: إن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فأرسل إليها فقال: ما حملك على ما صنعت قالت: أحببت أو أردت إن كنت نبياً فإن الله سيطلعك عليه وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك قال: وكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم.

مسند الإمام أحمد جـ١ ص ٣٠٥، ٣٠٦.

أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة. الحديث[1] .

وعن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية ـ نحو حديث جابر ـ قال فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري. فأرسل إلى اليهودية «ما حملك على الذي صنعت» فذكر نحو حديث جابر فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت»[2] الحديث.

وروى الدارقطني نحو ذلك إلا أنه قال فأمر بها رسول الله ﷺ فصلبت[3] .

وإذا تأملنا الروايات السابقة لم نجد فيها ذكر أن الرسول ﷺ أمر بقتلها لكن رواية أبي داود عن أبي سلمة ذكر فيها أن الرسول ﷺ قتلها.

والجمع بين الروايتين أن الرسول ﷺ في أول الأمر لم يقتلها بل عفا عنها؛ لأنه لا ينتقم لنفسه ﷺ فلما مات بشر قتلها قصاصاً[4] .

والشاهد من ذلك أن الرسول ﷺ رغم فعل هذه المرأة الشنيع الذي ليس هناك فعل أشد منه حيث إنها أرادت قتل نبي الله ﷺ ومع ذلك كله فإن الرسول ﷺ عفا عنها ولم يقتلها، إلا بعد موت أحد أصحابه فقتلها قصاصاً.

فهذا الحديث يبين ويوضح لنا الصور العظيمة التي جبل عليها الرسول ﷺ من الحلم والعفو وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة بل بالإحسان. وللآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر برسول الله ﷺ أسوة.

---

(١) رواه أبو داود في سننه. كتاب الديات. باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه جـ٤ ص١٧٣ حديث رقم ٤٥٠٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٤ حديث رقم (٤٥١١).

(٣) سنن الدارقطني. كتاب الحدود والديات م، ٣، ٤، جـ ٣ ص ١٢٠ حديث رقم ١٣٠.

(٤) انظر التعليق المغني على الدارقطني م ٣، ٤ جـ ٣ ص ١٢٠، ١٢١.

العفو والحلم يجب ألاَّ يكون عن ضعف:

فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ألا يكون حلمه وعفوه عن ضعف وخوف وجبن. وأيضاً لا يكون ذلك عند انتهاك حرمات الله تعالى. فيغض الطرف عن ذلك ويعتبره من الحلم والعفو المشروع، لا، فالله سبحانه وتعالى أثنى على من يعظم حرمات الله. ولقد كان الرسول ﷺ مثالاً يحتذى في غضبه عند انتهاك محارم الله.

يقول تعالى: ﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾ [1] أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل[2] .

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمَّ بالناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة[3] .

---

(١) سورة الحج جزء من آية [٣٠].
(٢) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٣ ص ٢١٨.
(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب مواقيت الصلاة. باب من شكا إمامه إذا طول. جـ١ ص ٢٣٣ حديث رقم ٧٠٤.
ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام م ١، ٢ جـ٢ ص ٤٢، ٤٣.
ورواه الترمذي ـ بمعناه ـ في سننه، أبواب الصلاة، باب ما جاء إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف جـ١ ص ١٥٠ حديث رقم ٢٣٦.
ورواه أحمد في مسنده جـ٤ ص ١١٩.
ورواه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من أم قوماً فليخفف جـ١ ص ٣١٥.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه وقال: «يا عائشة: أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»[1] .

والشاهد من هذين الحديثين هو تغير وجه الرسول ﷺ وتأثره عند انتهاك حرمة الله تعالى فليتبين ذلك الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

الصفة الخامسة: التريث والتثبت وعدم الاستعجال:

ومن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر صفة التثبت والتريث وعدم الاستعجال؛ لأن ترك ذلك يؤدي به إلى إخفاقه في مهمته، ونزول مكانه، وعدم قبول نصيحته إذا ما عرف عنه ذلك.

ومن الملاحظ على بعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في هذا الوقت عدم الانطلاق من هذه القاعدة، فإذا أخبرهم أحد الناس عن منكر ما ذهب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر واستعجل معاقبة من نسب إليه ذلك الفعل، وربما كان ذلك الخبر من غير ثقة، أو مجرد ظن أو تخمين أو

---

(١) انظر ما رواه البخاري في صحيحه. كتاب اللباس. باب ما وطئ من التصاوير جـ٤ ص ٨٢ حديث ٥٩٥٤، ٥٩٥٥.

ورواه النسائي في سننه، كتاب الزينة، ذكر أشد الناس عذاباً م ٧، ٨ جـ ٨ ص ٢١٤.

ورواه ابن ماجة في سننه في معناه. كتاب اللباس، باب الصور فيما يطأ جـ ٢ ص ١٢٠٤ حديث ٣٦٥٣.

ورواه الإمام أحمد في مسنده ـ بمعناه ـ جـ ٦ ص ٨٥.

نحو ذلك، ومن ثم يقع الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في الخطأ. وخطؤه لا يغفر عند الناس، لذا كان لزاماً على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتريث ويتثبت ويتحقق حتى يتأكد، ومن ثم يمضي للإنكار من حيث أمره الله. ولقد وضح الشرع الحكيم ذلك يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في الأرض فتبينوا﴾[1].

قال القرطبي: أي تأملوا، وقرأ حمزة «فتثبتوا» من التثبت[2] وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان رجل في غنيمة له فلحقه فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿عرض الحياة الدنيا﴾[3] فالله سبحانه وتعالى قد أنكر عليهم إنكارهم؛ لأنهم استعجلوا فلم يتبينوا من أمر هذا الرجل.

ويقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[4] يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين..»[5]

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يدعو المؤمنين بأحب ما

---

(١) سورة النساء جزء من الآية [٩٤].

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي م ٥، ٦ جـ٥ ص ٣٣٧.

(٣) رواه البخاري. كتاب التفسير. باب «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً» جـ٣ ص ٢١٩ حديث رقم ٤٥٩٠.

(٤) سورة الحجرات آية [٦].

(٥) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ ٤ ص ٢٠٨.

يرغبون سماعه وهو دعوتهم بالإيمان ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ كي يفتحوا الأسماع جيداً وينفذوا توجيهاته جلت عظمته. فهو يقول لهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ أي أخبركم رجل بخبر وأنتم لا تعرفون هذا الرجل جيداً هل هو ثقة ثبت أم لا. فتبينوا من أمره أولاً وهل إخباره صدق أم كذب، هل هو حقيقة أم ظن. فلا تأخذوا بخبره قبل التأكد خشية أن تعاقبوا أناساً وهم أبرياء ثم بعد ذلك تندمون على فعلكم.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الهدى الصالح والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزء من النبوة»[1].

وعن عبد الله بن سرجس المزني أن النبي ﷺ قال: «ياللسمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»[2].

وعن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان»[3].

---

(١) ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ١ ص ٢٩٦.

ورواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب. باب الوقار جـ٤ ص ٢٤٧ حديث رقم ٤٧٧٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة. باب ما جاء في التأني والعجلة جـ ٣ ص ٢٤٧ حديث رقم ٢٠٧٨ قال الترمذي وفي الباب عن ابن عباس ثم قال هذا حديث حسن غريب.

(٣) المرجع السابق، الكتاب والجزء ص ٤٨ حديث رقم ٢٠٨١ .

وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

فهذه الأحاديث الواردة عن الحبيب المصطفى ﷺ كلها تأمر المسلمين بالتأني والتريث وعدم العجلة؛ لأن المتأني في الغالب لا يندم على فعله بخلاف المتعجل فإنه سرعان ما يندم.

قال عز الدين بن عبد السلام: الأفعال ضربان: أحدهما ما خفيت عنا مصالحه ومفاسده فلا تقدم عليه حتى تظهر مصلحته المجردة عن المفسدة أو الراجحة عليها وهذا الذي جاءت الشريعة بمدح الأناة فيه إلى أن يظهر رشده وصلاحه..[1].

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتثبت ويتحقق قبل إنكاره للمنكر، ثم بعد ذلك يقوم بواجبه حيال إنكار المنكر.

* * *

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ابن عبد السلام م ١، ٢ جـ ١ ص ٥٨.

الصفة السادسة: الصبر:

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الصبر؛ ذلكم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يتعرض إلى أنواع من الإيذاء والابتلاء بالنفس والمال والعرض وخاصة إذا سعى جاداً لتحقيق إقامة شرع الله في الناس. فهو بحاجة إلى سلاح الصبر فهو الكفيل ـ بتوفيق الله تعالى ـ لأن يجعل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر منتصراً في أمره ونهيه.

تعريف الصبر لغة:

صَبَرَ صبْراً تجلّد ولم يجزع، وانتظر في هدوء واطمئنان. ويقال: صَبَر على الأمر احتمله ولم يجزع، (واصطبر) صَبَر. وفي التنزيل العزيز: ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ [1]و ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ [2] وتصبّر حمل نفسه على الصبر[3] .

وقال الجوهري: الصبْرُ حبس النفس عن الجزع.

وقد صَبَر فلان عند المصيبة يصْبر صبراً.

وصَبَرْتُهُ أنا: حبسته. قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾[4].

---

(١) سورة مريم آية [٦٥].

(٢) سورة طه آية [١٣٢].

(٣) المعجم الوسيط جـ١ ص ٥٢٥.

(٤) سورة الكهف آية [٢٨].

الصبر لغة: الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة: حبستها بلا علف.

والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسهما عنه[1].

وفي لسان العرب: صبره عن الشيء يصبّره صبراً حبسه. والصبر: نصب الإنسان للقتل وأصل الصبر الحبس وكل من حبس شيئاً فقدصبره[2].

والصَبِرُ: بكسر الباء هذا الدواء المرّ[3].

والصَّبُور الحليم الذي لا يعاجل العصاة بالنقمة بل يعفو ويؤخر[4].

قال تعالى في وصايا لقمان لابنه: ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾[5].

حقيقة الصبر:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها»[6].

(١) المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني ص ٢٧٣.

(٢) لسان العرب. ابن منظور جـ٤ ص ٤٣٨.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل الجوهري جـ٢ ص ٧٠٦، ٧٠٧.

(٤) القاموس المحيط الفيروزابادي جـ٢ ص ٦٧.

(٥) سورة لقمان آية [١٧].

(٦) عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين. ابن القيم الجوزية ص ١٤.

وسئل الجنيد بن محمد فقال: «تجرع المرارة من غير أن تعبس» وقال ذو النون: «هو التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة». وقيل «الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب» وقيل: «هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى» وقال الخَوَّاص: «الصبر: الثبات على أحكام الكتاب والسنة» وقال علي بن أبي طالب ﷺ «الصبر مطية لا تكبو».

وقال أبو محمد الجريري: «الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما»[1].

من خلال أقوال السلف ـ رضي الله عنهم ـ في حقيقة الصبر يتبين لنا عظمته وأنه منزلة عالية رفيعة لا يصل إليها إلا من تجرع كأس المرارة وذلك بعد توفيق الله له. وفي بعض تعاريفهم لحقيقة الصبر مبالغة مثل قول أبي محمد الجريري: «الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما» فكلامه هذا مخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليها. حيث إن النفس تفرح بالسارّ وتحزن بالضار ولا يمكن بحال تساوي الحالين لدى الإنسان وإنما المطلوب والمرغوب الصبر والتحمل وعدم الضجر عند حلول وحصول المكروه.

فضل الصبر:

لقد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة ومناسبات عديدة، وما ذاك إلا لفضله وعظمته وثمرته. وسوف نورد بعض الأدلة على علو منزلته وفضله من الكتاب والسنة والآثار.

---

(١) المرجع السابق. وانظر أحكام القرآن. القرطبي م ١، ٢ جـ ٢ ص ١٧٤.

أ ـ الأدلة من القرآن الكريم:

١- الأمر به:

* يقول تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [١] الآية. فأمر ـ سبحانه وتعالى ـ بالاستعانة به.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ يقول تعالى آمراً عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة[٢] .

* ويقول ـ سبحانه ـ ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [٣] فأمرهم بالصبر على شدائد الحرب وأخبرهم بأنه مع الصابرين في كل أمر ينبغي الصبر فيه[٤] .

* وقال تعالى: ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ [٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾ [٦] الآية.

أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة[٧] .

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية [٤٥] .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٨٧.

(٣) سورة الأنفال آية [٤٦] .

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني جـ ٢ ص ٣١٥.

(٥) سورة النحل جزء من الآية [١٢٧] .

(٦) سورة الروم جزء من الآية [٦٠] .

(٧) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٣ ص [٤٤٠] .

* ويقول سبحانه: ﴿ فاصبر إنَّ وعد اللّه حق فإما نرينك بعض الذي نَعِدُهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون ﴾ (١) .

وهذه فيها الأمر للرسول ﷺ بالصبر حتى يتحقق وعد اللّه لأنه حق لا شك فيه ولا مرية.

* ويقول سبحانه: ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ (٢) .

قال القرطبي ـ رحمه اللّه ـ : حول هذه الآية. فكأن اللّه تعالى يقول لرسوله ﷺ اصبر أي كن صادقاً فيما ابتليت به مثل صدق إبراهيم، واثقاً بنصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتماً بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهداً في الدنيا مثل زهد عيسى(٣) .

فاللّه سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم من الرسل.

* ويقول سبحانه: ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ (٤) الآية.

* ويقول سبحانه: ﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴾ (٥) .

فأمر بالصبر عليه ـ التكذيب والاستهزاء ـ بلا جزع ولا شكوى(٦) .

---

(١) سورة غافر آية [٧٧].

(٢) سورة الأحقاف جزء من الآية [٣٥].

(٣) الجامع لأحكام القرآن م ١٥، ١٦ جـ ١٦ ص ٢٢١.

(٤) سورة الطور جزء من الآية [٤٨].

(٥) سورة المعارج آية [٥].

(٦) تفسير النسفي م ٣، ٤، جـ ٤ ص ٢٩٠.

* ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾ (١) .

* ويقول جل ذكره: ﴿ ولربك فاصبر ﴾ (٢) .

* ويقول جل ذكره: ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ﴾ (٣) .

وقال تعالى حكاية عن لقمان في أمره لابنه بإقامة الصلاة والصبر على ما يصيبه بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾(٤) .

قال القرطبي:

حول قوله تعالى: ﴿ واصبر على ما أصابك ﴾ يقتضي حضاً على تغيير المنكر وإن نالك ضرر فهو إشعار بأن المغير يؤذى أحياناً...»(٥) .

وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾(٦) .

---

(١) سورة المزمل آية [١٠].

(٢) سورة المدثر آية [٧].

(٣) سورة الإنسان آية [٢٤].

(٤) سورة لقمان آية [١٧].

(٥) الجامع لأحكام القرآن م ١٣، ١٤ جـ١٤ ص ٦٨.

(٦) سورة آل عمران آية [٢٠٠].

يقول الألوسي في تفسيره: أي احبسوا نفوسكم عن الجزع مما ينالها، والظاهر أن المراد بها يعم أقسام الصبر الثلاثة المتفاوتة في الدرجة الصبر على المصيبة والصبر على الطاعة والصبر على المعصية «وصابروا» أي اصبروا على شدائد الحرب مع أعداء الله تعالى صبراً أكثر من صبرهم»[١].

ولقد كان أنبياء الله تعالى يأمرون قومهم وأبناءهم بالصبر لأهميته في حياتهم.

يقول تعالى حكاية عن موسى في أمره قومه بالاستعانة بالله والصبر على الأذى: ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾[٢] .

فإذا تأمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الآيات السابقات وجد أنها تأمر بالصبر وتحمل الصعاب والمشقات وإن كرهته النفس لكن نهايته حميدة فعليه أن يرتدي رداء الصبر ومن ثم يعان على أمره ونهيه بإذن الله تعالى.

وفي مواضع أخرى ـ من كتاب الله تعالى ـ يبين سبحانه أن الصبر سبب للنصر وأنه من عزم الأمور من دون أن يأمر به.

* يقول سبحانه: ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ [٣] الآية.

---

(١) روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني م ٣ ، ٤ جـ ٤ ص ١٧٥.

(٢) سورة الأعراف [١٢٨].

(٣) سورة آل عمران جزء من الآية [١٢٠] .

فالله سبحانه وتعالى يرشدهم إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»[١].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾[٢].

يقول النسفي ـ رحمه الله ـ : خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه»[٣].

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يضع هذه الآية وأمثالها نصب عينيه، حتى يعرف أن طريقه لا يخلو من الأذى وأنه بحاجة إلى الصبر.

يقول تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾[٤].

ثناء الله ـ تعالى ـ على الأنبياء والرسل بسبب صبرهم:

يقول تعالى: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير جـ ١ ص ٣٩٩.

(٢) سورة آل عمران آية [١٨٦].

(٣) تفسير النسفي م ١، ٢ جـ١ ص ١٩٩.

(٤) سورة الشورى آية [٤٣].

وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴾ [١] الآية.

* وقال سبحانه وتعالى حكاية عن قول رسله: ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون. وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ [٢] .

* ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [٣] .

* ويقول سبحانه وتعالى مثنياً على أيوب ـ عليه السلام ـ ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوّاب ﴾ [٤] .

ففي هذه الآيات ثناء من الله تعالى على رسله لاتصافهم بالصبر.

ثناء الله على الصابرين ووعدهم بالخير:

* يقول تعالى: ﴿ ... وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [٥] .

---

(١) سورة الأنعام جزء من الآية [٣٤].

(٢) سورة إبراهيم آية [١١، ١٢].

(٣) سورة السجدة آية [٢٤].

(٤) سورة ص آية [٤٤].

(٥) سورة البقرة جزء من الآية [١٥٥ والآية ١٥٦، ١٥٧].

فبشر سبحانه وتعالى الصابرين بما لهم من الصلوات والرحمة علاوة على الشهادة لهم بالهداية فجمع لهم من الأجر ما لم يجمعه لغيرهم.

* وقال تعالى: ﴿ ... والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [1] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : وإنما نصب الصابرين على المدح، والحث على الصبر في هذه الأحوال لشدته وصعوبته[2] .

* وقال تعالى: ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [3] .

قال القرطبي: قال أهل التحقيق: خيار الخلق من إذا نابه أمر صبر، وإذا عجز عن أمر توكل[4] .

فبين سبحانه في هذه الآية أن لهم في الدنيا حسنة ولهم في الآخرة الأجر الكبير وذلك بسبب صبرهم وتوكلهم على الله.

وقال تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[5].

وقال تعالى: ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾[6]

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية [١٧٧]. (٢) تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٢٠٨.

(٣) سورة النحل آية [٤١، ٤٢].

(٤) الجامع لأحكام القرآن م ٩، ١٠ جـ١٠ ص ١٠٧.

(٥) سورة النحل آية [٩٦]. (٦) سورة المؤمنون آية [١١١].

فحصل لهم الفوز من الله تعالى بسبب صبرهم.

* وقال تعالى: ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴾ [1] فبين أن لهم الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها[2] .

* وقال تعالى: ﴿ ... إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [3] فبين سبحانه أن أجرهم غير محدود بخلاف بقية الأعمال.

وقال تعالى: ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة. أولئك أصحاب الميمنة ﴾ [4] .

فجعلهم الله من أصحاب الميمنة بسبب تواصيهم بالصبر.

* وقال تعالى: ﴿ أولئك يجزون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ [5] .

فبين سبحانه وتعالى أن أجرهم مضاعف مرتين وذلك بسبب صبرهم.

فكل هذه الآيات ترغب بالصبر وتحث عليه.

وبالصبر تحصل محبة الله للصابر.

* يقول تعالى: ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ [6] .

---

(١) سورة الفرقان آية [٧٥].

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي م ١٣، ١٤ جـ١٣ ص ٨٣.

(٣) سورة الزمر آية [١٠].

(٤) سورة البلد آية [١٧، ١٨].

(٥) سورة القصص آية [٥٤].

(٦) سورة آل عمران جزء من الآية [١٤٦].

فأثبت سبحانه وتعالى محبته للصابرين وكفى بذلك شرفاً وعظمة.

* وأن الصابر يظفر بمعية الله تعالى له. يقول سبحانه: ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ (١) .

وإذا كان الله مع العبد فمن يخاف العبد.

قال علي الدقاق: «فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته»(٢) .

والصابرون يحضون في تسليم الملائكة عليهم بالجنة بسبب صبرهم. يقول تعالى: ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ (٣) .

والنصوص التي تبين فضل الصبر والحث عليه كثيرة جداً وما ذكرناه هو عبارة عن إشارات تفتح الطريق أمام الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ليتخذ من الصبر درعاً يستعين به في دعوته.

الأدلة من السنة التي ترغب في الصبر وتحث عليه:

ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها: اتقي الله واصبري، فقالت وما تبالي بمصيبتي. فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله: لم أعرفك. فقال: إنما الصبر

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية [١٥٣].

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.ابن القيم ص ٧٥.

(٣) سورة الرعد آية [٢٤].

عند الصدمة الأولى»[1] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : وفي الحديث ـ الذي معنا ـ أنواع من العلم:

أحدها: وجوب الصبر على المصائب وأنه من التقوى التي أمر الله بها.

الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن سكر المصيبة وشدتها لا يسقطه عن الآمر الناهي.

الثالث: تكرار الأمر والنهي مرة بعد أخرى حتى يعذر المرء إلى ربه[2].

فالرسول ﷺ يأمر المسلمين بأن يتقوا الله ويصبروا عند المصائب وألا تنسيهم المصائب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الجنائز، باب زيارة القبور جـ١ ص ٣٩٥ حديث رقم ١٢٨٣.

ورواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجنائز. باب الصبر على المصيبة عند أول الصدمة م ٣، ٤ جـ٣ ص ٤٠، ٤١.

ورواه أبو داود في سننه. كتاب الجنائز. باب الصبر عند الصدمة جـ٣ ص ١٩٢ حديث رقم ٣١٢٤.

ورواه الترمذي في سننه مختصر بلفظ «الصبر في الصدمة الأولى» أبواب الجنائز جـ٢ ص ٢٢٨ حديث رقم ٩٩٢، حديث ٩٩٣.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص ٨١.

خفف عنه. وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من يرد الله به خيراً يصب منه»[2] .

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته»[3] .

فهذه الأحاديث تبين أن المسلم معرض للابتلاء والاختبار وذلك على

---

(١) رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب في الصبر على البلاء جـ٤ ص ٢٨ حديث ٢٥٠٩.

ورواه ابن ماجه في سننه. كتاب الفتن. باب الصبر على البلاء جـ٢ ص ١٣٣٤ حديث ٤٠٢٣.

ورواه الإمام أحمد في المسند جـ١ ص ١٧٢ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المرض. باب ما جاء في كفارة المرض جـ٤ ص ٢٤ حديث رقم ٥٦٤٥.

ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ٢ ص ٢٣٧ .

(٣) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها. م٧، ٨ جـ ٨ ص ١٦.

ورواه البخاري في صحيحه قريباً من هذا اللفظ. كتاب المرض. باب ما جاء في كفارة المرض جـ٤ ص ٢٣ حديث ٥٦٤١، ٥٦٤٢.

ورواه الترمذي في سننه. أبواب الجنائز. باب ما جاء في ثواب المرض جـ٢ ص ٢٢٠ حديث ٩٧٣.

حسب قوة إيمانه ورقته، ولكنه إذا صبر واحتسب كفر الله من سيئاته وخطاياه. وإذا كان عامة الناس معرضون لذلك فأقربهم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وهو أولى بالصبر والاحتساب وخاصة فيما يصيبه بسبب أمره ونهيه.

وروى ابن ماجه والترمذي من حديث أنس مرفوعاً «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط»[1] .

وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[2] .

ففي هذين الحديثين بيان أن الإنسان معرض للابتلاء في نفسه وماله وولده، وأنه كلما عظم البلاء واحتسب المسلم عظم له الأجر من الله تعالى. حتى يلقى اللهَ المسلمُ وما عليه خطيئة.

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده. قال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله،

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه. كتاب الفتن. باب الصبر على البلاء جـ٢ ص ١٣٣٨ حديث ٤٠٣١.
ورواه الترمذي في سننه. أبواب الزهد. باب في الصبر على البلاء جـ ٤ ص ٢٧ حديث رقم ٢٥٠٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه. أبواب الزهد. باب الصبر على البلاء جـ٤ ص ٢٨ حديث رقم ٢٥١٠ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى الله أحداً عطاءً هو خير وأوسع من الصبر»[1] .

ففي هذا الحديث الصحيح يبين الرسول ﷺ أن العفة والاستغناء والصبر من الصفات المكتسبة فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحلى بتلك الصفات العظيمة لما لها من تأثير كبير في نجاح أمره ونهيه.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن» فقلت: بلى فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّفْ إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً»[2] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الزكاة. باب الاستعفاف عن المسألة جـ١ ص ٤٥٥ حديث رقم ١٤٦٩.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الزكاة. باب فضل التعفف والصبر م ٣، ٤ جـ٣ ص ١٠٢.

رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٣ ص ٩٣.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ١ ص ٣٠٧، ٣٠٨.

ورواه الترمذي بمعناه إلى قوله «رفعت الأقلام وجفت الصحف» أبواب صفة القيامة جـ٤ ص ٧٦. حديث ٢٦٣٥. وقال الترمذي في هذا الحديث. هذا حديث حسن صحيح.

ففي هذه الوصية العظيمة لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من الرسول ﷺ وهي وصية للأمة بصفة عامة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر على وجه الخصوص. أمور عظيمة لو عمل بها المسلم لأكسبته السعادة والراحة في الدنيا والآخرة، نورد منها:

ـ وجوب حفظ أوامر الله تعالى.

ـ إن من أطاع الله تعالى في الرخاء فإن الله ينصره في حالة الشدة.

ـ الاستغناء بما عند الله تعالى عمّا في أيدي الناس.

ـ الاستعانة بالله وحده.

ـ إن ما يحصل على ابن آدم من خير أو شر فهو مقدر ومفروغ منه.

ـ إن الخلق لا ينفعون ولا يضرون، ونفعهم وضررهم مقيد بما كتبه الله على العبد.

ـ أن الصبر سبب للنصر.

ـ أن الكرب والعسر يعقبه الفرج واليسر.

وفوائد كثيرة لا حصر لها ولا عدّ[1].

فعلى الآمر بالمعروف أن يضع هذه الأمور نصب عينيه ويعمل بها.

---

(١) لمزيد من الفوائد انظر جامع العلوم والحكم. ابن رجب من ص ١٨٣ إلى ١٩٧.

الآثار الواردة في الصبر:

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ قال ابن جريج عن مجاهد في قوله ﴿ فصبر جميل ﴾ [1] .

أي لا أشكو ذلك لأحد. وقال القرطبي: الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم، ويقتدي بنبي الله يعقوب وسائر النبيين صلوات الله عليهم أجمعين»[2] .

وعن يزيد بن ميسرة قال: لا تضر نعمة معها شكر، ولا بلاء معه صبر...»[3] .

وعن مجاهد ﷺ قال: عمر بن الخطاب ﷺ : وجدنا عيشنا بالصبر[4]

وعن وكيع عن مالك عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب، فقال: قد رآني الطبيب قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: «إني فعّال لما أريد»[5] .

---

(١) سورة يوسف جزء من الآية [١٨٣].

(٢) الجامع لأحكام القرآن م ٩، ١٠ جـ٩ ص ٢٤٦.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه. كتاب الزهد. الإمام أحمد زهد عبيد بن عمير ص ٥٣٤ رقم ٢٢٨٩.

(٤) المرجع السابق زهد عمر بن الخطاب ص ١٧٤ رقم ٦١٠.

(٥) المرجع السابق زهد أبي بكر الصديق ص ١٦٨ رقم ٥٨٦.

وقال الحسن: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده»[1].

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه»[2].

والآثار الواردة في الصبر كثيرة جداً وما ذكرناه هو عبارة عن نموذج فقط حتي يتبين الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كيف كان اهتمام سلف الأمة بملازمة صفة الصبر، وأن اهتمامهم نابع من تطبيقهم لنصوص الكتاب والسنة والتي تأمر بالصبر.

نموذج من صبر نبينا ﷺ والأنبياء قبله

روى مسلم في الجامع الصحيح قال: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أنه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد فقال: جرح رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمِجَنّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرةً أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صارت رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدَّمُ»[3].

(١) عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) الجامع الصحيح. مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب غزوة أحد م ٥، ٦ جـ ٥ ص ١٧٨.

ورُوي أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى. وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، وَمَصَّ مالك ابن سنان أبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال رسول الله ﷺ: «من مس دمه دمي لم تصبه النار»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس. فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلاً جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المغازي. باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد جـ٣ ص ١٠٩ إلا أن البخاري رحمه الله لم يذكر في روايته «كسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه».

ورواه الترمذي في سننه. أبواب تفسير القرآن. جـ٤ ص ٢٩٤، ٢٩٥ حديث رقم ٤٠٨٨.

ورواه ابن ماجه في سننه. كتاب الفتن. باب الصبر على البلاء جـ٢ ص ١٣٣٦ حديث ٤٠٢٧.

ذكر ذلك ابن هشام في سيرة النبي ﷺ جـ٣ ص ٢٧، ٢٨.

لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جُوَيْرِيَةٌ فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم. فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: اللّهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: اللّهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القَليب قَليبِ بدر»[1] .

هذا بالنسبة للأذى الحسي، وأما الأذى المعنوي فقد ورد عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فَدكِيَّةٌ، وأردف وراءه أسامة ـ وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذاك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فيهم عبد الله بن أُبَيٍّ وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابّة، خمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف ونزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء لا أحسن من هذا، إن

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجهاد والسير. باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين م ٥، ٦ جـ٥ ص ١٧٨.

والقليب هي البئر التي لم تطو، وإنما وضعوا في القليب تحقيراً لهم، ولئلا يتأذى الناس برائحتهم. وليس هو دفناً؛ لأن الحربيّ لا يجب ألا يدفن.

كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك. قال فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: أي سعد: ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب «يريد عبد الله بن أبي» قال كذا وكذا» قال اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شَرِقَ بذلك فاعمل به ما رأيت فعفا عنه النبي ﷺ»[1].

وفي صحيح البخاري «لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناساً: أعطى الأقرع مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت لأخبرن النبي ﷺ قال: «رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[2].

فهذه النماذج الثابتة عن الرسول ﷺ تبين للدعاة مدى صبر الرسول ﷺ وتحمله صنوف الأذى، الأذى الحسي والمعنوي ومع ذلك لم يثنه شيء من هذه الأمور عن تبليغ دعوة ربه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) المرجع السابق الكتاب والجزء. باب دعاء النبي ﷺ إلى الله، وصبره على أذى المنافقين ص ١٨٢، ١٨٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المغازي. باب غزوة الطائف جـ٣ ص ١٥٧ حديث ٤٣٣٥.

فليتأمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلك الصور العظيمة، وليقتدي بالرسول ﷺ ولقد كان الأنبياء قبل الرسول ﷺ يواجهون في دعوتهم أذى كثيراً ومع ذلك يتحملون ويصبرون، بل يقابلون الأذى بالدعوة لقومهم بالغفران.

ورد في صحيح البخاري «كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدّمَ عن وجهه وهو يقول: «اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1] .

ولقد حكى اللّه عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ما قابله به قومُه وما لقيه منهم. يقول تعالى حكاية عن فعلهم: ﴿ قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين ﴾ [2] .

ومن تأمل كلام اللّه تعالى عن رسله في كتابه العزيز يجد الصور الكثيرة التي تبين صبر الأنبياء عليهم السلام على ما يلاقون من قومهم بسبب تبليغ دعوة ربهم.

ولكن يجب أن يُفهم أن الأجر المذكور للصابرين في الآيات والأحاديث

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأنبياء. باب ٥٤ جـ ٢ ص٤٩٩ حديث ٣٤٧٧.

ورواه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن. باب الصبر على البلاء جـ ٢ ص ١٣٣٥ حديث رقم ٤٠٢٥.

ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ ١ ص ٣٨٠.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجهاد. باب غزوة أحد م٥، ٦جـ٥ص١٧٩.

(٢) سورة الصافات آية [٩٧، ٩٨].

والآثار هو للصابر المحتسب لا لمن جزع وندم، فالأجر ليس على المصيبة نفسها؛ لأنها بقدر الله تعالى ولكن الأجر على الصبر على المصيبة.

يقول عز الدين بن عبد السلام:

«وقد ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور على مصيبته، وهذا خطأ صريح فإن المصائب ليست من كسبه بمباشرة ولا تسبب بها، فمن قتل ولده أو غصب ماله أو أصيب ببلاء في جسده فليست هذه المصائب من كسبه ولا بسببه حتى يؤجر عليها، بل إن صبر عليها كان له أجر الصابرين، وإن رضي بها كان له أجر الراضين، ولا يؤجر على نفس المصيبة؛ لأنها ليست من عمله، فقد قال تعالى: ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ [(1)] .

وكيف والمصائب الدنيوية عقوبات على الذنوب والعقوبة ليست ثواباً، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ [(2)] [(3)] .

ويظهر أن العز - رحمه الله -

يقصد بذلك غير المحتسبين، وأما الصابر المحتسب فإنه وإن كان ظاهرُ المصيبة عقابَ الشخص أو اختبارَه فإنه يؤجر على ذلك ويكفر من ذنوبه.

والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الطور آية رقم [١٦].　　(٢) سورة الشورى آية رقم [٣٠].

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام. العز بن عبد السلام م ١، ٢ جـ ١ ص ١٣٥، ١٣٦.

الصفة السابعة: أن يكون حسن الخلق بعيداً عن الغضب

إن من الصفات الأساسية للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حسن الخُلقُ فمن الممكن للآمر بالمعروف أن يعالج أعسر الأمور وتصلح بإذن الله، وبعدمه قد يعالج أيسر الأمور فلا تصلح غالباً.

تعريف الخُلُق:

الخلق والخُلُق: السجية، يقال «خالق المؤمن وخالق الفاجر» وفلان يتخلق بغير خلقه، أي يتكلفه.

قال الشاعر[1] : إن التخلق يأتي دونه الخُلُق[2] .

والخُلُق: السجية والطبع والمروءة والدين[3] .

والخُلُق: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية[4] .

وقد اختلفت عبارات السلف ـ رحمهم الله ـ في معنى حسن الخلق.

قال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ : هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى[5] .

---

(١) سالم بن وابصة.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري جـ٤ ص ١٤٧١.

(٣) القاموس المحيط. الفيروزابادي جـ٣ ص ٢٢٩.

(٤) المعجم الوسيط جـ ص ٢٦١.

(٥) رواه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة. باب حسن الخلق جـ٣ ص ٢٤٥ حديث رقم ٢٠٧٣.

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : حقيقة حسن الخلق، بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه[1] .

وقال الشعبي: البذلة والعطية والبشر الحسن[2] .

وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق. فأنشد قول الشاعر:

*تـــراه إذا ما جئتـــه متهـــللاً * كأنك تعطيـه الذي أنت سائله*

*فلو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتـق الله سـائـله*

*هو البحر من أي النواحي أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله[3]*

وهذه الأبيات فيها مبالغة فلا أراها تنطبق على أحد من المخلوقين سوى محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وعبارات السلف ـ رحمهم الله ـ في معنى حسن الخلق متقاربة في المعنى وإن اختلفت في بعض الألفاظ، فهي تفيد أن حسن الخلق. بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه والبشر الحسن...

مفهوم حسن الخُلُق:

قد يتصور البعض أن حسن الخلق محصور في الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة فقط، وهذا مفهوم ضيق، فإن حسن الخلق أوسع من ذلك فهو يعني إضافة إلى الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، التواضع وعدم التكبر ولين

---

(١) الآداب الشرعية. ابن مفلح جـ٢ ص ٢١٦.

(٢) غذاء الألباب. السفاريني جـ١ ص ٣٥٤.

(٣) المرجع السابق الجزء والصفحة.

الجانب، ورحمة الصغير واحترام الكبير، ودوام البشر وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة وإصلاح ذات البين...الخ.

قال في غذاء الألباب: إن حسن الخلق يعني القيام بحقوق المسلمين، وهي أن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال، ولا يتكبر، ولا يعجب، وأن يوقر الشيخ الكبير، ويرحم الطفل الصغير، ويعرف لكل ذي حق حقه مع طلاقة الوجه وحسن التلقي ودوام البشر ولين الجانب وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة، مع إصلاح ذات بين إخوانه وتفقد أقرانه وإخوانه، وأن يبذل معروفه لهم لوجه الله لا لأجل غرض مع ستر عوراتهم وإقالة عثراتهم وإجابة دعواتهم، وأن يحلم عن من جهل عليه ويعفو عن من ظلم...»[1] .

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ : معالي الأخلاق للمؤمن، قوة في لين وحزم في دين وإيمان في يقين وحرص على العلم واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود وإعطاء في كرم وبر في استقامة»[2] .

وقال الأشعث بن قيس يوماً لقومه: إنما أنا رجل منكم ليس في فضل عليكم، ولكن أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأقضي حقوقكم، وأحوط حريمكم. فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن زاد عليّ فهو خير مني، ومن زدت عليه فأنا خير منه. قيل له: يا أبا محمد ما يدعوك إلى هذا الكلام؟ قال أحضهم على مكارم الأخلاق[3] .

---

(١) غذاء الألباب. السفاريني جـ١ ص ٣٦٢، ٣٦٣ باختصار.

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٠.　　(٣) المرجع السابق ص ٣٦٠.

وهل حسن الخلق من الأمور الجبلِّيَّة التي لا مجال للتغيير فيها ؟

قد يتصور بعض الناس أن حسن الخلق من الصفات الجِبِلِّيَّة التي لا مجال للتغيير فيها ، فإن كان الإنسان مجبولاً على حسن الخلق فإنه يبقى كذلك حسن الخلق، وإن كان مجبولاً على سوئها أو فقدها فإنه يبقى سيئ الخلق وتحتاج هذه النظرة إلى التصحيح، صحيح أن الإنسان إذا كان مجبولاً على حسن الخلق فإنه يبقى حسن الخلق، وخاصة إذا سعى إلى تحقيق ما جُبِلَ عليه في واقع حياته.

ولكن الشخص الذي لم يجبل على حسن الخلق ألا يمكن أن يكتسب شيئاً بل أشياءَ من الأخلاق الحسنة؟ فنقول: بلى من الممكن للإنسان أن يكتسب الأخلاق الحسنة وإن لم يكن مجبولاً عليها ، وفيه دليلان على ذلك:

١- إن الشرع الحكيم دعا الناس إلى حسن الأخلاق وأمرهم بها ورغبهم فيها ، ولو لم يمكن اكتسابها لم يكن لدعوة الشرع إلى ذلك معنى، ولم يكن فيه مجال للوعظ والوصايا في ذلك.

٢- إنك ترى من خلال الواقع أن الفرس تعلم حسن المشي وجودة الانقياد فتتعلم وهي من قبل على خلاف ذلك، كذلك الحال بالنسبة للكلب المعلَّم، يُعلم ترك الأكل فيتعلم وهو على خلاف ذلك من قبل، والحمار الوحشي يستأنس بعد توحشه. فهذا دليل على أنه يمكن تغيير الصفات الجبلية أو بعضها. وإذا كان الحيوان يستطيع ويتعلم فابن آدم أولى بذلك.

صحيح أنه لا يحصل بسرعة ملحوظة، ولكن مع كثرة المراس يحصل التعلم والاستفادة.

يقول ابن قدامة ـ رحمه الله ـ :

وأما خيال من اعتقد أن ما في الجبلة لا يتغير، فاعلم أنه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية، وإنما المطلوب من الرياضة رد الشهوة إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط، كيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، أو شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية، لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه. وقد قال تعالى: ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [1] ولا تصدر الشدة إلا من الغضب، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقد قال تعالى: ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾[2] ولم يقل الفاقدين الغيظ. واعلم أن الاعتدال تارة يحصل بكمال الفطرة منحة من الخالق، فكم من صبي يخلق صادقاً سخياً حليماً، وتارة يحصل بالاكتساب وذلك بالرياضة، وهي حمل النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب. فمن أراد تحصيل خلق الجود فليتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعاً له[3] .

فإذا كان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مجبولاً على حسن الخلق فذاك فضل من الله تعالى، فما عليه إلا أن يستغل ما وهبه الله تعالى من حسن الخلق بإصلاح الناس والنهي عن الفساد ، وإن لم يكن كذلك فعليه أن يكتسب حسن الخلق بأحواله، فإن حسن الخلق من الأمور الأساسية بالنسبة للداعين إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الفتح جزء من الآية [٢٩].

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية [١٣٤].

(٣) مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامة ص ١٥٢ ، ١٥٣ باختصار.

ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ لما جبله عليه من الأخلاق العظيمة ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [(١)] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : ومعنى هذا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى أثنى على رسوله ﷺ بهذه الآية الكريمة وبين أنه على خلق عظيم في عبادته وتعامله وامتثال أمر ربه. ويفهم من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يحب صاحب الخلق، بدليل ثنائه على رسوله ﷺ لاتصافه بالخلق العظيم. وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يتسابق المسلمون ولا سيما الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر للاتصاف بهذه الصفة المحبوبة إلى الله تعالى.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»[(٣)] الحديث.

فهذا أنس رضي الله عنه الذي لازم رسول الله ﷺ طويلاً وكثيراً، يصف رسول

---

(١) سورة القلم آية رقم [٤].

(٢) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٤ ص ٤٠٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل جـ٤ ص ١٢٨ حديث رقم ٦٢٠٣.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الظاهرات م ١، ٢ جـ٢ ص ١٢٧.

اللهُ ﷺ بأنه أحسن الناس خلقاً، ولقد لمس ذلك عملياً رضي الله عنه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»(١) .

ففي هذا الحديث الصحيح. تصريح من الرسول ﷺ أن من خيار الأمة من كان خلقه حسناً. وأي واحد من المسلمين لا يرغب أن يكون من خيار هذه الأمة.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثاً» قال القوم: نعم يا رسول الله. قال «أحسنكم خلقاً»(٢) .

فأخبر ﷺ أن أحب الناس إليه وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة أحسنهم أخلاقاً. وهذه منزلة عظيمة يجب على الداعية أن يبذل كل غال ورخيص للحصول على هذه المنزلة العظيمة. وكل ذلك بسبب الخلق الحسن.

وعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المناقب. باب صفة النبي ﷺ جـ٤ ص ٥١٨ حديث رقم ٣٥٥٩.

ورواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ م ٧، ٨، ٧ ص ٧٨.

ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ٢ ص ١٦١ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٢ ص ١٨٥ .

البر والإثم؟ فقال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[1] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهمَّ أحسنت خلْقي فحسن خُلُقي»[2] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء أثقل في الميزان من خلق حسن»[3] .

ورواه أبو داود بلفظ «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»[4] زاد الترمذي «فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء»[5] .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[6] .

---

(١) رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم م ٧-٨ جـ٨ ص ٧.

ورواه الترمذي في سننه. أبواب الزهد باب ما جاء في البر والإثم جـ٤ ص ٢٤ حديث رقم ٢٤٩٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ١ ص ٤٠٣.

(٣) المرجع السابق جـ٦ ص ٤٤٨.

(٤) سنن أبي داود. كتاب الأدب. باب ما جاء في حسن الخلق جـ٤ ص ٢٥٣ حديث رقم ٤٧٩٩.

(٥) رواه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة. باب ما جاء في حسن الخلق جـ٤ ص ٢٤٤ حديث رقم ٢٠٧٠.

(٦) المرجع السابق ص ٢٥٢.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، قال: «تقوى الله وحسن الخلق»[1] الحديث.

فهذه الأحاديث الشريفة ـ وغيرها كثير ـ تبين فضل حسن الخلق وتدعو إليه. فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حسن الأخلاق ـ بمعنى هذه الكلمة ـ حتى يستطيع أن يصل إلى هدفه من الناس بالخلق الحسن وهو إصلاحهم وهدايتهم.

وتحلي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالأخلاق الحسنة يلزم ألا يكون سريع الغضب.

والغضب بالتحريك ضد الرضى[2] .

والغضب حالة نفسية وظاهرة انفعالية يحس بها الإنسان منذ السنين الأولى من حياته، وتصحبه في جميع مراحل العمر إلى الممات[3] .

وإذا قلنا إنه ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتجنب الغضب، أو أن لا يكون سريع الغضب فلا يعني أننا نطالبه بألاّ يغضب إطلاقاً، كلا. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الغضب متأصلاً في الإنسان منذ أيامه الأولى، وذلك لحكمة عظيمة.

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق جـ٣ ص ٢٤٤ حديث ٢٠٧٢.

(٢) القاموس المحيط. الفيروزابادي جـ١ ص ١١١، الصحاح للجوهري جـ١ ص ١٩٤، المعجم الوسيط جـ٢ ص ٦٧٨.

(٣) انظر تربية الأولاد في الإسلام. عبد الله ناصح علوان جـ١ ص ٣٤٩.

منها المحافظة على النفس والمحافظة على الدين والعرض وغير ذلك مما أمر الشارع بحفظه.

ولكن المطلوب أن يكون الغضب بمحله وضبط النفس عند الغضب؛ لأن الإنسان إذا غضب اضطربت شخصيته وتغيرت معالمه فأصمه غضبه عن معظم الخير إن لم يكن كله، فربما تعدى على غيره بضربة مؤلمة، أو كلمة جارحة، أو سب مشين أو نحو ذلك. كل ذلك يحصل بسبب الغضب، بل أكثر من ذلك.

يقول ابن قدامة ـ رحمه الله ـ : واعلم أنه متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة؛ لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار، فاسودَّ جوه، وحمي مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا تسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل بالقلب والدماغ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه[1] .

ومما يدل على ذلك أنه إذا هدأت نفسه، وزال الغضب ندم على تصرفاته، وتمنى أنه دفع كل غال ورخيص ولم يحصل له مثل هذا الموقف.

وقد يقبل اعتذار الإنسان العادي عند تأسفه، وأما الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فغلطه عند الناس كبير، لذا كان لمعرفة هذا الجانب في حق الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أمر لازم.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامة ص ١٧٩.

والغضب منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود. وسوف نتحدث عن هذين النوعين مع بيان علاج الغضب.

الغضب المذموم أو النهي عن الغضب:

يقول تعالى: ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ (١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب» فردد مراراً. قال: «لا تغضب»(٢).

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: قال بعض العلماء: خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة في الإنسان، فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم؛ لأن البشرة تحكي لون ما وراءها، وهذا إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، وإن كان ممن فوقه تولد انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب، فيصفر اللون جزعاً، وإن كان النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر، ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن كتغير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن غير ترتيب واستحالة الخلقة، حتى

---

(١) سورة الشورى آية [٣٧].

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب جـ٤ ص ١١٢ حديث ٦١١٦.

ورواه الترمذي بلفظ «علمني شيئاً» ولا تكثر عليَّ لعَلّي أعيه قال: «لا تغضب» فردد ذلك مراراً كل ذلك يقول «لا تغضب» سنن الترمذي. أبواب البر والصلة. باب ما جاء في كثرة الغضب جـ٣ ص ٢٥٠ حديث ٢٠٨٩.

لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر؛ لأنه يولد الحقد في القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، بل أول شيء يقبح منه باطنه، وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه، وهذا كله أثره في الجسد، وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش الذي يستحيي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب، ويظهر أثر الغضب أيضاً في الفعل بالضرب أو القتل وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه، فيمزق ثوب نفسه ويلطم خده، وربما سقط صريعاً وربما أغمي عليه، وربما كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة. ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة من قوله ﷺ «لا تغضب» من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسدة، مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته»[1] .

ففي هذا الحديث الصحيح نهي مؤكد من الرسول ﷺ لهذا الصحابي الجليل عن الغضب. وهو نهي لجميع الأمة لما للغضب من الآثار السيئة في الدنيا والآخرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

ليس الشديد بالصرعة[2] إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب[3].

---

(١) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني جـ١٠ ص٥٢٠.

(٢) الذي يصرع الناس كثيراً بقوته.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب. باب الحذر من الغضب جـ٤ ص ١١٢ حديث رقم ٦١١٤.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم «... ألا وخيرهم بطيء الغضب، سريع الفيء وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء... ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم...»[١] الحديث.

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الغضب من الشيطان»[٢] الحديث.

فهذه الأحاديث الشريفة كلها تفيد النهي عن الغضب والتحذير منه. فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتجنب الغضب، حتى لا تختل شخصيته وتكون ضعيفة أمام الناس.

الغضب المحمود:

وإذا كان الشارع الحكيم نهى عن الغضب المجرد لهوى النفس وحظوظها وشهواتها، فإنه أمر بل حَبَّذَ الغضب الذي يكون في جانب الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه.. ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾[٤].

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب القدر. باب ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيام جـ٣ ص ٣٢٧، ٣٢٨ حديث رقم ٢٢٨٦. قال الترمذي هذا حديث حسن.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٤ ص ٢٢٦.

(٣) سورة الحج جزء من الآية [٣٠].

(٤) سورة الحج آية رقم [٣٢].

ففي هاتين الآيتين الكريمتين مدح لمن أعلى دينه وما أمر به وما نهى عنه[1] .

وقال تعالى: ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ [2] .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ [3] .

فهذه الآيات تبين أن الغضب لله مشروع إذا انتهكت حرمات الله، أو عطل شرعه، أو تمكن أعداؤه.

ولقد كان رسول الله ﷺ ـ وهو الأسوة في أخلاقه وحلمه ـ يغضب إذا انتهكت حرمات الله:

ـ ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وفي البيت قرام فيه صور، فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه، وقالت: قال النبي ﷺ : إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور»[4] .

ـ وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ١١ . ١٢ جـ١٢ ص ٥٣ . ٥٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم [١٤]، وجزء من الآية [١٥].

(٣) سورة التوبة آية [٧٣]. وسورة التحريم آية [٩].

(٤) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب. باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى جـ٤ ص ١١١ حديث رقم ٦١٠٩.

عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ أشد غضباً في موعظة منه يومئذ. قال فقال: يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن منهم المريض والكبير وذا الحاجة»[1] .

ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينا النبي ﷺ يصلي رأى نخامة فحكها بيده، فتغيظ ثم قال: إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه، فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة[2] .

فهذه الأحاديث الصحيحة توضح أن الرسول ﷺ كان يغضب ولكن غضبه لله تعالى وليس لهوى نفسه.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

كأنه يشير[3] إلى أن الحديث الوارد في أنه ﷺ كان يصبر على الأذى إنما هو فيما كان من حق نفسه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة. وفي كل من هذه الأحاديث ذكر غضب النبي ﷺ في أسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كله كان في أمر الله[4] .

ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل

---

(١) المرجع السابق حديث رقم ٦١١٠.

(٢) المرجع السابق حديث رقم ٦١١١.

(٣) يقصد بذلك البخاري ـ رحمه الله ـ.

(٤) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني جـ١٠ ص ٥١٨.

منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل»[1] .

ورواه البخاري بلفظ «ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»[2] .

فهذا الحديث ـ وأمثاله كثير ـ يبين صفة الرسول ﷺ وحاله، فهو يصفح ويحلم ويسامح في الأمور التي تخصه، في الأمور التي هي من حقه، وأما الأمور التي لله تعالى فإنه ﷺ لا تأخذه في الله لومة لائم، فهو مع أوامر الله حيثما وجهته.

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتبين جيداً هذه الأحاديث وما ترشد إليه ويطبقها في أمره ونهيه.

وإذا كان لظاهرة الغضب المذموم آثار سيئة على الفرد والمجتمع فإن الشارع الحكيم قد وضع له علاجاً.

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته. م ٧، ٨ جـ ٧ ص ٨٠.

(٢) صحيح البخاري. كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ جـ ٢ ص ٥١٨ حديث رقم ٣٥٦٠.

ورواه الإمام أحمد في مسنده. جـ٦ ص ١١٦.

علاج الغضب:

أولاً: أن يتذكر النصوص الواردة في فضل كظم الغيظ، وفي فضل العفو والحلم والاحتمال.

مثل قوله تعالى: ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ (١) .

ومثل قوله تعالى﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (٢).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه، قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (٣) والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله»(٤).

ومثل قوله ﷺ «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله

---

(١) سورة آل عمران آية [١٣٤]. (٢) سورة الأعراف آية [١٩٩].

(٣)سورة الأعراف آية [١٩٩].

(٤) رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» جـ ٣ ص ٢٣١ حديث رقم ٤٦٤٢.

تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء»[1] .

وما ورد عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ : ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله»[2] .

وأمثال هذه النصوص التي ترغبه فيما عند الله تعالى.

ثانياً: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

لما روى سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه. فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ ؟ قال: إني لست بمجنون»[3] . فالرسول ﷺ أرشد هذا الغضبان إلى أن

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٣ ص ٤٤٠.

ورواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب. باب من كظم غيظاً جـ٤ ص ٢٤٨ حديث رقم ٤٧٧٧.

ورواه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة باب في كظم الغيظ جـ٣ ص ٢٥١ حديث رقم ٢٠٩٠ وقال هذا حديث حسن غريب.

ورواه ابن ماجه في سننه. كتاب الزهد، باب الحلم جـ ٢ ص ١٤٠٠ حديث رقم ٤١٨٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠١ حديث رقم ٤١٨٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب. باب الحذر من الغضب جـ٤ ص ١١٢ حديث رقم ٦١١٥.

ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة. باب فضل من يملك نفسه عند الغضب م ٧، ٨ جـ ٨ ص ٣٠.

يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

ثالثاً: ذكر الله تعالى؛ لأن الشيطان يحضر ساعة الغضب وبذكر الله يطمئن القلب ويبعد الشيطان ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (١) .

وورد في الأثر. أوحى الله إلى موسى ـ عليه السلام ـ اذكرني عند غضبك، أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق...(٢) .

رابعاً: السكوت وعدم الاستمرار في اللجاج والكلام. لما ورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت»(٣) .

خامساً: ومنها جلوسه إذا كان قائماً، واضطجاعه إذا كان قاعداً حتى تهدأ أعصابه ويتزن جسمه. لما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»(٤) .

سادساً: أن يتوضأ؛ لأن الوضوء قربة لله وعبادة، وفي بدايته أو قبل

---

(١) سورة الرعد عجز آية [٢٨].

(٢) بهجة المجالس. ابن عبد البر القرطبي. باب الغضب جـ ١ ص ٣٧٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند جـ١ ص ٢٨٣.

(٤) المرجع السابق جـ ٥ ص ١٥٢.

ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب جـ٤ ص ٢٤٩ حديث ٤٧٨٢.

البداية البسملة، وفي آخره التشهد، وفعله مبعد له عن موقف الغضب كله.

هذه الأمور لها تأثير إيجابي على نفسية الغضبان.

ولما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[1] .

سابعاً: أن يتفكر في تغير صورته عند الغضب وأنه يشبه الكلب الضاري، والسبع العادي، وأنه يكون مجانباً لأخلاق الأنبياء والعلماء[2] .

ثامناً: عليه أن يتفكر في الأمور السيئة التي تحدث أثناء الغضب من فعل وقول قبيحين، وليعلم أنه لا يمكن استرجاع ما مضى مهما يكن من أمر، بل لو أنفق جميع ما يملك فإنه لا يمكنه إزالة ما علق في أذهان الناس من تصرفاته أثناء فعله. فعلى الآمر بالمعروف أن يتجنب الغضب المذموم وأسبابه وإذا زلّت به قدم بعد ثبوتها فعليه أن يفعل العلاج المذكور.

ثم إن عليه أن يدعو الناس بحذر إذا كانوا في حالة غضب حتى لا يُردَّ عليه أمره ونهيه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٤ ص ٢٦٦.
ورواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب. باب ما يقال عند الغضب جـ٤ ص ٢٤٩ حديث ٤٧٨٤.

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامة ص ١٨١.

الصفة الثامنة: ألا يكون متتبعاً لعورات المسلمين بل يكون ساتراً لها.

فالآمر بالمعروف يجب أن يكون همه إصلاح الناس وليس تتبع عوراتهم وكشفها وإصغاء الأذن لكل متكلم وملاحقة الناس والتنقيب عن زلاتهم وعثراتهم وعوراتهم، بل ما ظهر له أخذ به وما غاب عنه تركه.

ورد عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[2]. الحديث.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المظالم والغصب. باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه جـ٤ ص ١٩٠ حديث ٢٤٤٢.
ورواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة. باب تحريم الظلم م ٧، ٨ جـ ٨ ص ١٨.

(٢) المرجع السابق. باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ص ٧١.
ورواه الترمذي في سننه. أبواب الحدود. باب ما جاء في الستر على المسلم جـ٢ ص ٤٣٩ حديث ١٤٤٩.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة[1] .

فهذه النصوص الصحيحة ترغب المسلمين في أن يستر بعضهم على بعض، وكم من الخير يحصل للإنسان بسبب ستره على أخيه، إنه يحصل على ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، فياله من فضل عظيم.

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة جداً، فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ألاّ يتتبع عورات المسلمين وزلاتهم، وإذا ما حصل زلل لأحدهم ولم يستوجب حداً ستره وعالجه بنفسه أو بنصحه وتأديبه فربما كان درساً لا ينسى.

وهذا الكلام لا يعني أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر متهاوناً، يتغاضى بحجة الستر على المسلمين فهو يرى المنكرات ويبتعد عنها، بل ما شاهده أو تيقن بخبر المخبر الثقة بفساد ما فعليه ملاحقته والقضاء عليه بالطرق الشرعية. كما أن الدعوة إلى ستر المسلم ليست مطلقة بل على الشخص الذي يحب الستر فلا يجهر بالمعصية وليس مشهوراً بالفسق والخنى، وأما إذا كان مشهوراً بالفساد ويتكرر منه الوقوع في المحرمات فإنه يجب ردعه وإيقافه عند حده، وإذا كان من الذين يسعون في الأرض فساداً فإنه يجب فضحه وتحذير الناس منه.

يقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : عند قوله ﷺ: «من ستر

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة. باب بشارة من ستر اللهُ عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة م ٧، ٨ جـ ٨ ص ٢١.

مسلماً ستره الله يوم القيامة»[1]

وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستتر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، وأما معصية رآه عليها وهو بعد متلبساً بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة.

وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه[2] .

---

(١) تقدم تخريجه. ص «٣٥٤».

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي م ١٥، ١٦ جـ ١٦ ص ١٣٥.

الباب الثاني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
من وظائف الأنبياء والسلف الصالح

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من وظائف الأنبياء والسلف الصالح

في بحثنا في هذا الباب لن نتطرق لكثير - إلاّ فيما دعت الحاجة إليه - من جوانب حياة الأنبياء - من حيث النشأة والنسب ونحو ذلك - ولا الصحابة والسلف وذلك لعدم العلاقة المباشرة لهذا البحث. وإنما سوف نتحدث عن حياتهم الدعوية وماله علاقة في هذا الجانب.

الفصل الأول

نماذج من الأنبياء - عليهم السلام -

في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر

أولاً: نوح عليه السلام:

لقد عاش الناس بعد هبوط آدم - عليه السلام - فترة طويلة من الزمن تقدر بعشرة قرون كلهم على الإسلام - كما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - «وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[1] .

وقال ابن جرير الطبري: روي عن جماعة من السلف إنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق ثم بعد ذلك أخذت تتغير الأحوال

---

(١) ذكر هذا الحديث ابن كثير في « البداية والنهاية» وقال رواه البخاري في صحيحه البداية والنهاية م١ جـ ٢ ص ١٠١ مكتبة المعارف - بيروت.

شيئاً فشيئاً فأخذ الفساد ينتشر فَعُبِدَت الأصنام وَشُرِبت الخمور وارتكبت الفواحش(١).

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ : قد أجمع المختلفون على أن القوم الذين أرسل إليهم نوح ـ عليه السلام ـ يعملون بما يكرهه الله من ركوب الفواحش وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل(٢).

ويقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : وبالجملة فنوح ـ عليه السلام ـ إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد(٣).

ولقد تحدث الله عما كان عليه القوم من الشر والضلالة، وإصرارهم على ذلك في كتابه العزيز.

يقول تعالى حكاية عنهم: ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (٤).

وكان سبب شركهم وانحرافهم مفسراً بما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان

---

(١) تاريخ الطبري جـ ١ ص ١٧٨.

(٢) المرجع السابق. ص ١٧٩. وانظر الكامل في التاريخ ابن الأثير جـ١ ص ٣٨.

(٣) البداية والنهاية. ابن كثير م ١، ٢ جـ ١ ص ١٠١.

(٤) سورة نوح آية [٢٣].

وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وَتَنسَّخَ العلم عُبِدَتْ»[1] .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر هو الباقر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته. قال: ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله. قال: ذكر وداً رجلاً صالحاً وكان محبباً في قومه، فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل، وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله، فيكون في ناديكم فتذكرونه، قالوا: نعم، فصور لهم مثله، قال ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره، قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله ليكون في بيته فتذكرونه. قالوا: نعم، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال: وتناسلوا ودرس أثر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد غير الله وداً الصنم الذي سموه وداً»[2] .

ولقد كان نوح ـ عليه السلام ـ هو أول رسول يرسل لإصلاح البشرية بعد فسادها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب تفسير القرآن. باب «وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق» جـ ٣ ص ٣١٦ حديث ٤٩٢٠.

(٢) البداية والنهاية. ابن كثير م ١ ، ٢ جـ ١ ص ١٠٦.

كما ثبت في البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ الطويل وفيه: «.... فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً. أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك»[1] الحديث.

كيف بدأ الشرك وانتشر الفساد:

من خلال ما تقدم ندرك أن الفساد الذي حصل في زمن نوح ـ عليه السلام ـ لم يأت دفعة واحدة ولا بوسيلة شريرة مباشرة، ولكنه أتى على مراحل وبوسائل ظاهرها التقرب إلى الله.

فقد وجد الشيطان أن القوم يعظمون رجالاً قد ماتوا وهم يعظمونهم تعظيماً كبيراً زائداً عن الحد المشروع، وقد زين الشيطان ذلك في قلوبهم وحببه إليهم. ثم بعد ذلك أوحى إليهم أن اجعلوا على هيئتهم أصناماً وسمُّوها بأسمائهم تذكركم بحالهم وتزيدكم قوة في عبادتكم ففعلوا فلما ماتوا وجاء من بعدهم من ذريتهم أوحى الشيطان إليهم أن من كان قبلكم كانوا يعبدون هذه الأصنام.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بهم، ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها[2] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأنبياء. باب قول الله عز وجل «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه» جـ٢ ص ٤٥٢ حديث ٣٣٤٠.

(٢) فتح المجيد. شرح كتاب التوحيد/ الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ ص ١٨٦.

فالشيطان لم يحقق هدفه منهم دفعة واحدة، وإنما أخذ يزين لهم الباطل بصورة الحق حتى هلكوا؛ لأنه لو طلب منهم أن يعبدوا الأصنام لما استجاب له أحد، فهو زعم حبه للرجال الصالحين وأملى لهم بوجوب صنع تماثيل تخليداً لذكراهم، وبعد انقراض من تَبَقّى من العلماء، ولم يبقَ إلا الجهال فوسوس لهم أن من كان قبلكم كانوا يعبدون تلك الأصنام فعبدوها. قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : قالِ غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم» وقال: وما زال الشيطان يوحي إلى عُبَّادِ القبور ويلقي إليهم أن البقاء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والنور، ويطاف به ويستلم ويقبل، ويحج إليه ويذبح عنده. فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيداً ومنسكاً، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ . فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى: ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾[1].

---

(١) سورة الزمر آية [٤٥].

وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عَادَوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم ونفروا الناس منهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك ﴿وما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتقون﴾[1][2] وللشيطان دور محكم وخبيث في تضليل الناس وإفسادهم فهو يستعمل جميع أساليب المكر والخداع حتى يصل إلى الطريقة المناسبة المفسدة لهذا الشخص أو الفئة.

من أجل ذلك حذرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ من الشيطان تحذيراً أكيداً حتى لا نقع في حباله يقول تعالى: ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [3].

فإنه لو كان ظاهر أمره خيراً فإن نهايته شر لا محالة.

ويقول تعالى: ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ [4] الآية.

ويقول سبحانه: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [5].

---

(١) سورة الأنفال جزء من الآية [٣٤].

(٢) فتح المجيد. شرح كتاب التوحيد. الشيخ ـ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ ص ١٨٥، ١٨٧.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية [١٦٨] والآية [١٦٩].

(٤) سورة الأعراف جزء من الآية [٢٧].

(٥) سورة يس آية [٦٠].

ويقول جل ذكره: ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [(١)] .

ولكن مع الأسف فرغم هذه الأحداث والوقائع والنصوص التي تبين عداوة الشيطان للإنسان فإنك إذا تأملت الواقع وجدت أن الباطل عم وطمَّ وحصل بنفس الأسلوب أو قريباً منه. والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر في غفلةٍ من هذا.

ففي هذا الزمن هدم معظم معالم الدين في معظم العالم الإسلامي، وانتهكت المحارم، وعمَّ الفساد وزينت الجريمة، وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، كل ذلك حصل باسم التطور والتجديد والحضارة والرقي ومتابعة الركب وغير ذلك من الكلمات البراقة والأساليب الماكرة.

يقول د. محمد محمد حسين. حول مقالات كتبها «والذي دعاني إلى كتابة هذه السلسلة من المقالات أني رأيت الإلحاد والانحلال في هذه الأيام[(٢)] يشتعل ويسري سريان النار في يابس الحطب، ورأيت دعاته يستفحل أمرهم في كل مكان، ورأيت الناس مشغولين بالجدل والنقاش حول ما يثيرونه من موضوعات يسترون بها مآربهم الهدامة من ورائها تحت أسماء خلابة براقة كالنهضة والتحرر والتطور ومتابعة ركب الحياة، وهي موضوعات متنوعة تشمل الحياة في شتى نواحيها حتى يلفتوا إليها أنظار الناس، وحتى ينشأ جيل جديد مرنت أذنه منذ وعى على سماع المناقشات حول هذه الموضوعات، فيتوهم أنها مشكلات حقيقية لا بد لها من حل،

---

(١) سورة فاطر آية [٦].

(٢) قال هذا الكلام قبل حوالي عشرين سنة.

ويتجه في أغلب الأحيان إلى أنصاف الحلول التي ترضي الطرفين المتخاصمين حسب وهمه، والخاسر في حقيقة الأمر هو صاحب الحق، والربح كله للباطل وأصحابه»[1] .

لقد كتب هذا المقال قبل سنوات فكيف به لو أعاد كتابة هذا المقال في وقتنا هذا؟! لقد كان في ذلك الوقت شيء من المجاملات والستر عند ارتكاب المنكرات أو عند الهجوم على الإسلام وشرائعه، وأما في وقتنا هذا فإن الإسلام يحارب علناً من دون تستر أو مجاملات، وهذا ما يحصل فعلاً في معظم بلاد العالم الإسلامي.

ويقول الأستاذ محمد سرور:

ومن أعاد النظر في تاريخنا الحديث علم أن جند الشيطان طبقوا الخطة نفسها التي رسمها قائدهم الأول مع قوم نوح. ودليلنا على ذلك أن ما تعانيه أمتنا من انحرافات وبعد عن الإسلام في جميع شؤوننا لم يحدث دفعة واحدة، وإنما تم على مراحل، وإذا أخذنا قضية المرأة كمثال على ذلك نلاحظ أن أعداء الإسلام رفعوا شعار تعلم المرأة أولاً ـ ولا خلاف في تعلم المرأة عند علماء المسلمين ـ وعندما تقرر ذلك وضعوا المناهج التي يرونها وجاؤوا بمدرسين ومدرسات تربوا على أعينهم، وعندما تقرر ذلك زينوا للنساء المسلمات أن يتخذن من المرأة الغربية قدوة لهن، وعندما تقرر ذلك أخذوا ينادون بخلع الحجاب؛ لأنه قيد، وعندما تقرر لهم ذلك راحوا ينادون

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها. الدكتور محمد محمد حسين ص ١٠.

بالاختلاط ومساواة المرأة بالرجل في السياسة والإرث وإدارة أعمال الدولة»[1].

وما نراه اليوم من انحراف في العقيدة يتمثل في بناء القباب الفخمة على قبور الأولياء والصالحين ـ بزعمهم ـ وإشادة المقامات والأضرحة. ودعاء أصحابها والذبح والنذر لهم... كل ذلك لم يحصل دفعة واحدة وإنما على مراحل.

وقس على ذلك ما حصل للتعليم وانحرافه وانحراف مناهجه والقائمين عليه في معظم بلاد الإسلام.

وكان يجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يفطنوا لهذه الأمور وكيف تأتي وكيف تحارب ويستفيدوا من قصص الماضين وانحرافهم، فيعالجون أمورهم أولاً بأول ويقفون أمام دسائس الأعداء والتي ربما كان ظاهرها الصلاح ولكن باطنها الفساد.

ويجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ألا تأخذهم العواطف أو الظنون الحسنة في الأشخاص المستغربين والمنحرفين والعلمانيين. فطالما أنه ظهر لهم أن هذا الشخص منحرف فالواجب ألاّ يسمعوا له قولاً مهما تظاهر لهم بالنصح إلا بعد دراسة قوله وتحليله والنظر إلى أبعاده.

وكم من المصائب التي حصلت في بلاد المسلمين بسبب تغافل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عن أولئك المخربين.

---

(١) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. محمد سرور بن نايف زين العابدين جـ ١ ص ٤٦.

نماذج من دعوة نوح ـ عليه السلام ـ

وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

لقد بدأ نوح ـ عليه السلام ـ دعوة قومه إلى أهم الأمور وآكدها، ألا وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة وعدم الإشراك به، وكان هذا المبدأ هو مبدأ كل رسول من عند الله تعالى. يقول تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [1].

ذلك أن الناس إذا وحَّدُوا الله تعالى استجابوا لأمره واجتنبوا نواهيه.

ودعوة نوح ـ عليه السلام ـ ترتكز على الأمور التالية:

أولاً: التوحيد الخالص الذي أمره ربه به.

يقول تعالى: ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين ألاَّ تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ [4].

---

(١) سورة الأنبياء آية [٢٥].

(٢) سورة الأعراف آية [٥٩].

(٣) سورة هود آية [٢٥، ٢٦].

(٤) سورة المؤمنون آية [٢٣].

وقال تعالى: ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم. قال: يا قوم إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا اللّه واتقوه وأطيعون ﴾ (١) .

إن جميع الآيات المتقدمة تبين حقيقة دعوة نوح عليه السلام وهي الدعوة إلى التوحيد الخالص الدعوة إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، ذلك أن الإقرار بهذا المبدإ يعني أن نستمد جميع شؤون الحياة من التشريع الرباني المنبثق من لا إله إلا اللّه في العبادة، في السياسة، في الاقتصاد، في الاجتماع، في كل جانب من جوانب الحياة، وأن عدم الاعتراف بذلك يعني الانحراف والشرك والضلال والجهل، وعندما يقف القوم المدعوون من هذه الكلمة نعرف أنهم يفهمون مدلولها، وأنها تعني أن يتجردوا من حكمهم ومناصبهم ورغباتهم وشهواتهم، ويسلموها لمدلول هذه الكلمة، إذاً فهم يحسبون ألف حساب لقبولها.

يقول سيد قطب ـ رحمه اللّه ـ :

إن التركيز في كل رسالة على أمر واحد: هو تعبيد الناس كلهم لربهم وحده ـ رب العالمين ـ ، ذلك أن هذه العبودية للّه الواحد، ونزع السلطان كله من الطواغيت التي تدعيه هو القاعدة التي لا يقوم شيء صالح بدونها في حياة البشر، ولم يذكر القرآن إلا قليلاً من التفصيلات بعد هذه القاعدة الأساسية المشتركة في الرسالات جميعاً، ذلك أن كل تفصيل في الدين إنما يرجع إلى هذه القاعدة ولا يخرج عنها، وأهمية هذه القاعدة في ميزان اللّه هي التي جعلت المنهج القرآني يبرزها هكذا، ويفردها بالذكر في استعراض

---

(١) سورة نوح آية [١، ٢، ٣].

موكب الإيمان، بل في القرآن كله. ويقول أيضاً:

... فهي الكلمة التي لا تتبدل وهي قاعدة هذه العقيدة التي لا توجد إلا بها، وهي عماد الحياة الإنسانية التي لا تقوم على غيره، وهي ضمان وحدة الوجهة ووحدة الهدف ووحدة الرباط، وهي الكفيل بتحرر البشر من العبودية للهوى والعبودية لأمثالهم من العبيد وبالاستعلاء على الشهوات كلها وعلى الوعد والوعيد.

إن دين الله منهج للحياة قاعدته أن يكون السلطان كله في حياة الناس كلها لله، وهذا هو معنى عبادة الله، ومعنى ألاّ يكون للناس إله غيره، والسلطان يتمثل في الاعتقاد بربوبيته لهذا الوجود وإنشائه وتدبيره بقدرة الله وقدره، كما يتمثل في الاعتقاد بربوبيته للإنسان وإنشائه وتدبير أمره بقدرة الله وقدره، وعلى نفس المستوى يتمثل في الاعتقاد بربوبية الله لهذا الإنسان في حياته العملية الواقعية وقيامها على شريعته وأمره، تمثله في التقدم بشعائر العبادة له وحده كلها حزمة واحدة غير قابلة للتجزئة، وإلا فهو الشرك وهو عبادة غير الله معه أو من دونه[1] .

وإذا كان هذا الأمر الذي بدأ به نوح ـ عليه السلام ـ هو أهم الأمور فإن على الآمر بالمعروف أن يقتدي بنوح ـ عليه السلام ـ في أمره ونهيه وخاصة أن بلاد المسلمين أصبحت تعج بالكفار على اختلاف مذاهبهم فلا ينبغي للآمر بالمعروف إذا شاهد أحد الكفار يفعل بعض المنكرات أن يأمر بتركها وهو لا يعترف بالله أصلاً أو يشرك معه غيره. صحيح له أن يأمره أن يحترم مشاعر المسلمين وعدم المجاهرة بالمعصية، ولكن لا يأمره بتركها

---

(١) في ظلال القرآن. سيد قطب جـ٣ ص ١٣٠٦ - ١٣٠٨ باختصار شديد.

فقط، أو أحداً من المسلمين أو ممن يدعي الإسلام لا يصلي وهو يحلق لحيته فيأمره بترك اللحية وهو تارك للصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام فلينتبه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر لمثل هذه المسائل.

ثانياً: نصحه لقومه وخوفه عليهم وعدم طلب الأجر على ذلك:

إننا إذا تأملنا في دعوة نوح ـ عليه السلام ـ لقومه نجد أنه ليس له هدف من دعوته إلا نصحهم والخوف عليهم من العذاب الأليم، فليس غرضه من دعوته التشفي ولا الانتقام لردود فعلهم ولا التشهير بهم ولا طلب مقابل على دعوته من أجر ونحوه، بل همه الأكبر وغايته القصوى أن يهتدي القوم لأنفسهم ليس إلاَّ.

ولقد تحدث الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن هذه الجوانب:

أ ـ يقول تعالى: ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ [1] .

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ ... ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم.. ﴾ [2] الآية.

قال النسفي ـ رحمه الله ـ في قوله: «وأنصح لكم» وأقصد صلاحكم بإخلاص يقال: نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة، وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في صدق العناية[3] .

---

(١) سورة الأعراف آية [٦٢]. (٢) سورة هود جزء من الآية [٣٤].

(٣) تفسير النسفي م ١، ٢ جـ ٢ ص ٥٨.

فيجب على الآمر بالمعروف أن يكون هدفه من دعوته إصلاح الناس والنصح لهم لا يريد منهم إلا هدايتهم وصلاحهم، وذلك كله لأنفسهم.

ب ـ خوفه عليهم من عذاب الله:

وهذا الجانب يوضح ما سبق من أن هدفه النصح لهم، فمن نصحه الخوف عليهم من عذاب الله تعالى، فنوح ـ عليه السلام ـ يعرف أن ما وعد الله به فهو حق لا شك فيه ولا مرية، وفي الوقت نفسه يعرف أن عذاب الله لا يطاق، لذلك دعاهم إلى الإيمان خوفاً عليهم من العذاب. ولقد خاطبه الله بقوله ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ﴾ (1) .

ولذلك قال الله تعالى على لسان نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ ... إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (2).

وقال أيضاً: ﴿ ... إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ (3).

فهذا دليل على خوفه وشفقته عليهم ومحبته لإصلاحهم.

فما أحوج الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلى إحساس الناس بأنهم يعيشون هذا الجانب. فمتى شعر الإنسان المدعو أن هدفه من أمره ونهيه الخوف عليه من عذاب الله فسرعان ما يستجيب وإن لم يستجب فإنه لا يحصل منه أذىً في الغالب.

---

(1) سورة نوح آية [1، 2، 3].

(2) سورة الأعراف جزء من الآية [59].

(3) سورة هود جزء من الآية [26].

جـ ـ إنه لا يطلب أجراً ولا مُكافأة على دعوته:

رغم إخلاص نوح في دعوته وتفانيه فيها فهو لا يطلب من قومه أجراً على ذلك، بل ولا أي مصلحة دنيوية سواء أكانت حسية أو معنوية، وإنما همه في ذلك هدايتهم فقط ودون مقابل.

يقول تعالى حكاية عن نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله ﴾ [(١)] .

وقال تعالى: ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله ﴾ [(٢)] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : «لا أسألكم عليه مالاً» أي ـ لا أسألكم ـ على التبليغ والدعاء إلى الله والإيمان به مالاً فيثقلكم»[(٣)] .

فمتى شعر المدعوون أنك ستنال شيئاً من أموالهم كان ذلك سبباً في عدم استجابتهم، فنوح ـ عليه السلام ـ نفى هذا الجانب من دعوته لئلا يتوهم القوم أنه يريد مالاً مقابل دعوته.

فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون غنياً عمّا في أيدي الناس، وأن يشعرهم دائماً أنه ليس بحاجة إلى أموالهم ولا الاستفادة من مناصبهم.

---

(١) سورة هود جزء من الآية [٢٩] .

(٢) سورة يونس جزء من الآية [٧٢] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٩، ١٠، جـ ٩ ص ٢٦ .

ومن ناحية أخرى ربما يستعمل بعض الناس أسلوب الإغراء بالمال ونحوه حتى يكون الآمر بالمعروف مديناً لهذا الشخص فلا يجرؤ على أمره ونهيه؛ لأنه قد ملكه بالمعروف فالاستغناء عمّا في أيدي الناس له جانب إيجابي أو دور إيجابي في قبول الأمر والنهي.

ثالثاً: دعوة قومه إلى التفكر بخلقهم والكون من حولهم:

وكان من أسس دعوة نوح ـ عليه السلام ـ دعوة قومه إلى التفكر في أنفسهم إلى هذا الإنسان بعد أن كانوا عدماً، ويدعوهم إلى أن يتفكروا في الكون من حولهم وما فيه من الآيات العجيبة التي تدل على وجود الخالق.

يقول تعالى حكاية عن نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وقد خلقكم أطواراً. ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً. وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً. والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً. والله جعل لكم الأرض بساطاً. لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾ (١) .

تابع نوح مخاطبتهم لافتاً أنظارهم إلى قدرة الله فوقهم، فقد خلق الكواكب السيارة، وجعل القمر يسير في مداره لينير لكم الأرض ليلاً وجعل الشمس سراج النهار. وأنشأكم إنشاءً من الأرض، وغذاكم من النبات المتولد منها، ثم يعيدكم فيها بالدفن بعد الموت، ثم يبعثكم يوم القيامة للحساب، كما خلق لكم الأرض ممهدة سهلة لتتخذوا منها طرقاً واسعة لتحصيل رزقكم وبلوغ مآربكم(٢) .

---

(١) سورة نوح الآية من [١٣] إلى [٢٠].

(٢) مع الأنبياء في القرآن. عفيف طبارة ص ٦٦.

وحينما يدعو نوح ـ عليه السلام ـ قومه إلى أن يتفكروا في أنفسهم، وكيف تم خلقهم فإنه لا يدعوهم إلى معرفة علم الأجنة وأسرار ذلك، وإنما يخاطبهم بالأمور التي يعرفونها من خلال حياتهم، فهم يدركون أنهم كانوا عدماً، ويدركون أيضاً كيف تم الخلق بعد الاتصال الجنسي ومكوث الجنين في الرحم فترة معينة ثم الولادة ثم الرضاع ثم الطفولة وهكذا. وهذا بحد ذاته ملفت للنظر فمن هو الذي رعى هذه النطفة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه وهم يشاهدون مثل ذلك صباح مساء كل يوم. وهذا كاف لأن يذعنوا لإله واحد لا شريك له.

وكذلك الحال حينما يدعوهم إلى التفكر في الكون من حولهم من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والدقة المتناهية في نظامهما، ثم ما سخر الله لهم من هذا الكون لكي يستفيدوا منه في حياتهم كل لحظة(١).

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يستخدم هذا الأسلوب، وهو دعوة الناس إلى التفكر في النفس والكون وما فيهما من الآيات العظيمة. وأن عظمتها تدل على أن لها خالقاً عظيماً، ومن هذا شأنه فكيف يعصى أو ينكر أو يشرك معه غيره.

رابعاً: تنويع أساليب الدعوة:

لم يقتصر نوح ـ عليه السلام ـ في دعوته على أسلوب واحد فقط، بل استعمل أساليب مختلفة وفي أوقات مختلفة، فدعاهم في الليل والنهار وفي السر والإعلان.

---

(١) ذكر سيد قطب ـ رحمه الله ـ كلاماً جميلاً حول هذه الآيات تركناه لوضوح الآيات وللاختصار. في ظلال القرآن جـ ٦ ص ١٣ إلى ١٥.

يقول الله تعالى حكاية عن نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً. فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ﴾ [1] . وقال عنه : ﴿ ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ﴾ [2] .

قال الزمخشري: «.. قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا، ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان»[3] .

لقد بذل نوح ـ عليه السلام ـ جميع ما في وسعه لإصلاح الناس واستعمل جميع الوسائل التي رآها تنفع للناس، لمعرفته أن النفوس تختلف فتقبل تارة وتدبر أخرى، وتسمع مرة وترفض أخرى، فهو أتاها من حيث ترغب، لكن لحكمة يعلمها الله لم يؤمن معه إلا القليل.

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون كالطبيب يشخص المرض أولاً ثم يعطي العلاج المناسب ويأمر بتناوله في الوقت المناسب.

والآمر بالمعروف يدرس حال القوم وينظر إلى أنسب الطرق وأحسن الأساليب وأفضل الأوقات كما فعل نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه، دعاهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً.

والله سبحانه وتعالى قد فاوت بين خلقه في الطبائع، فالناس ليسوا سواء، فالذي يصلح لهذا قد لا يصلح لذاك، فعلى الآمر بالمعروف أن يقول

---

(١) سورة نوح آية [٥، ٦].

(٢) سورة نوح آية [٨، ٩].

(٣) تفسير الكشاف م ٥، ٦ جـ ٦ ص ١٦٠.

الأمر والنهي في الوقت المناسب حتى يكون لدعوته قبولٌ أو يكون قد سلك طريق الأنبياء الذين مشوا بنور الله تعالى.

خامساً: الصبر والتحمل في الأمر والنهي وعدم اليأس:

يعد صبر نوح ـ عليه السلام ـ في تبليغ رسالة ربه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر صبراً طويلاً وتحمل في ذلك أذى كثيراً. ويتضح ذلك من خلال الأمور التالية:

أولاً: المدة التي قضاها في الدعوة إلى الله:

لقد قضى نوح ـ عليه السلام ـ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فترة طويلة من الزمن ولم يرد ـ حسب علمي ـ في كتاب ولا سنة أن أحداً غيره وصل إلى هذه المدة التي عاشها نوح ـ عليه السلام ـ في الدعوة إلى الله حيث لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. وقد ورد ذلك صريحاً في كتاب الله تعالى: يقول تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ (١) .

إن المتأمل لهذا النص يعرف بحق كيف صبر نوح ـ عليه السلام ـ في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقد عاش في ذلك ألف سنة إلا خمسين عاماً. وهذه المدة لم يعشها في حياة هادئة، بل كلها صراع مع القوم واتهامات له وأذى له ولمن آمن معه، ومع ذلك فهو صابر محتسب حتى وصل مع قومه إلى باب مسدود.

ففي هذه الآية تسلية للرسل ـ عليهم السلام ـ من بعد نوح ـ عليه السلام ـ فيتحملون ويصبرون على ما يواجهونه من قومهم، فإذا كان هذا

---

(١) سورة العنكبوت آية [١٤].

حصل لأول رسول وقومُه أول المنحرفين فغيره من باب أولى يحصل له ذلك.

ومن ناحية أخرى ففي ذلك درس للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر على مر العصور والدهور بأن يستفيدوا من أمر نوح ـ عليه السلام ـ ونهيه لقومه وصبره على ذلك فيتحملوا ويصبروا على ما يواجهون في أمرهم ونهيهم.

ومع الأسف فإن كثيراً من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إذا عاش هذا الأمر شهوراً محدودة معدودة وواجه خلالها شيئاً مما تكرهه النفس فإنه يضيق بذلك ذرعاً ويشكو أمره للقريب والبعيد، وربما ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النهاية. ومن جهة أخرى إذا عاش الأمر والنهي فترة يسيرة ولم يستجب له أحد أو استجاب له قليل، فإن اليأس يأخذه ويتراجع في أمره ونهيه بسبب عدم استجابة الناس، فأين أولئك من حياة نوح عليه السلام.

فعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يصبروا ويتحملوا ولا ينظروا إلى النتائج فهي ليست لهم إنما هي لله. ولهم الأجر على ذلك.

يقول الألوسي حول الآية السابقة: شروع في بيان افتتان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بأذية أممهم إثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار. تأكيداً للإنكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء، وحثاً لهم على الصبر، فإن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها، فلأن يصبر هؤلاء المؤمنون أولى وأحرى..»[1].

---

(١) روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الألوسي م ١٩، ٢٠ جـ٢٠ ص ١٤٢.

ثانياً: اتهامه ـ عليه السلام ـ بالأمور التالية:

أ ـ رميه بالجنون:

لقد نسب القوم ـ نوحاً ـ عليه السلام ـ إلى الجنون وهذا شأن النفوس المريضة حينما تنهزم فإنها ترمي الخصم بما يحلو لها حتى تبين أنها منتصرة عليه خارجياً وليشجعوا بقية السفهاء على معاداته عليه السلام.

يقول تعالى حكاية عنهم: ﴿ إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين ﴾ (١) .

يقول الحافظ ابن كثير في معنى هذه الآية: «أي مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله إليكم واختصه من بينكم بالوحي فانتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه»(٢) .

وفي موضع آخر يقول الله عنهم ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ (٣) .

قال الألوسي: لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون فقالوا هو مجنون وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية والتخويف..(٤) .

فلا غرابة أن يستخدم أعداء الإسلام أي أسلوب ينالون به ممن يدعونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ليوقفوهم عن ذلك ـ بزعمهم.

---

(١) سورة المؤمنون آية [٢٥].

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٢٤٤.

(٣) سورة القمر جزء من الآية [٩].

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الألوسي م ٢٧، ٢٨ جـ٢٧ ص ٨١.

ففي هذا توطين للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يتحملوا أي كلمة تصدر أو توجه إليهم من العصاة والمنحرفين ضدهم، فلا تقعدهم عن أمرهم ونهيهم أو تفت من عضدهم، بل عليهم أن يعتبروا ذلك أمراً طبيعياً في طريق أمرهم ونهيهم.

لأن هذا الأسلوب قد واجهه من هو أفضل منهم فما من رسول إلا واتهمه قومه بالجنون.

يقول تعالى: ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ [1] .

وإذا كان الرسل ـ عليهم السلام ـ قد واجهوا الكلمات البذيئة من قبل فغيرهم من باب أولى.

ب ـ اتهامه بحب الرئاسة والزعامة:

يقول الله تعالى حكاية عنهم:﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ [2] .

فهم يتهمون ـ نوحاً ـ عليه السلام ـ بحب الرئاسة والزعامة وأن هدفه من أمره ونهيه أن يكون مسؤولاً عنهم ورئيساً لهم. وحاشاه أن يكون كذلك.

يقول الشوكاني في قوله تعالى ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ : أي يطلب الفضل عليكم بأن يسودكم حتى تكونوا تابعين له منقادين لأمره»[3].

---

(١) سورة الذاريات آية [٥٢].

(٢) سورة المؤمنون جزء من الآية [٢٤].

(٣) فتح القدير جـ ٣ ص ٤٨١.

جـ ـ اتهامه بالتكذيب:

يقول تعالى حكاية عنهم ﴿ ... وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ [1] .

ويقول سبحانه وتعالى حكاية عنه ﴿ أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون ﴾ [2] .

قال ابن عباس: «هو من محاورة نوح لقومه، وهو أظهر[3]؛ لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه فالخطاب منهم ولهم. أي اختلقه وافتعله، يعني الوحي والرسالة (فعلي إجرامي) إي عقاب إجرامي، وإن كنت محقاً فيما أقوله فعليكم عقاب تكذيبي»[4].

والمقصود أن نعرف أن نوحاً ـ عليه السلام ـ لقي من قومه صنوفاً من الإيذاء، من التكذيب واتهامه بالضلال والسخرية منه، وأن هدفه من دعوته حبه للزعامة والرئاسة ورميه بالجنون وافتراءات كثيرة، ومع هذه الأمور فإنه ماض في طريقه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولم تؤثر عليه هذه الكلمات السيئة التي توجه إليه.

وهذا الطريق هو طريق كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

---

(١) سورة هود جزء من الآية [٢٧].

(٢) سورة هود آية [٣٥].

(٣) يشير بذلك إلى قول مقاتل من أنه المقصود «النبي محمد ﷺ والأظهر ما رجحه القرطبي للسبب الذي ذكره.

(٤) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ٩، ١٠ جـ ٩ ص [٢٩].

فطريقهم ليس محفوفاً بالزهور والورود وإنما بالشوك والحجارة.

فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يعرف أنه لن يواجه من معظم المدعوين إلا مثل ذلك أو أشد؛ لأن ذلك من سنة الله في خلقه والدعوة إليه.

وإذا كان الآمر بالمعروف يتوقع أنه سيقابل في أمره ونهيه بكلمات جميلة وقصائد مدح طويلة، فليغير هذا المفهوم؛ لأن من هو خير وأفضل منه لم يواجه مثل ذلك، ولكنه في الحقيقة سوف يحصل على شيء أحسن من ذلك في نهاية الأمر.

إما هداية القوم على يديه فيحصل له الأجر من الله وله مثل ثواب عملهم. وإما الأجر من الله في الآخرة وكفى بذلك فخراً وشرفاً.

نهاية قوم نوح:

لما أن دعا نوح قومه وبذل غاية جهده ووسعه في سبيل هداية قومه، وعمل جميع الوسائل التي يرى أن فيها هداية قومه، ورأى أن عنادهم واستكبارهم يزيد وأن أمرهم يستفحل حتى هددوه بالرجم ﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾ (١) .

عند ذلك دعا نوح ربه أن يجعل بينه وبين قومه فتحاً ومخرجاً، إما بهدايتهم وإما بإهلاكهم ﴿ قال رب إن قومي كذبون، فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الشعراء آية [١١٦].

(٢) سورة الشعراء آية [١١٧، ١١٨].

(٣) الجامع لأحكام القرآن م ١٣، ١٤ جـ ١٣ ص ١٢١.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : قال ذلك لما يئس من إيمانهم[٣] .

فأوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴿ وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ [١] ومعنى ذلك الإياس من إيمانهم واستدامة كفرهم، تحقيقاً لنزول الوعيد بهم[٢] وعند ذلك دعا نوح ـ عليه السلام ـ على قومه.

فقال الله حكاية عنه ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ [٣] .

أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً. قال السدي: الدَّيَّارُ الذي يسكن الدار[٤] .

فاستجاب الله دعاءه، وأمره أن يصنع السفينة وألا يخاطبه أحد عند هلاكهم.

﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ [٥] .

وكان القوم يمرون عليه وهو يصنع السفينة فيسخرون منه ويستهزئون به. كيف يصنع السفينة وليس حوله من ماء . وأحياناً يقولون تحول من النبوة إلى النجارة.

---

(١) سورة هود آية [٣٦].

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ١٣، ١٤ جـ ١٣ ص ٢٩.

(٣) سورة نوح آية [٢٦، ٢٧].

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٤ ص ٤٢٧.

(٥) سورة هود آية [٣٧].

ولكن نوحاً ـ عليه السلام ـ لثقته بوعد ربه فإنه يسخر منهم ويقول سوف تعرفون الحقيقة عمّا قريب ومن هو الساخر من المسخور منه.

﴿ ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ (١).

يقول الطبري عند هذه الآية: «ويصنع نوح السفينة، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ويقولون: أتحولت نجاراً بعد النبوة؟ وتعمل السفينة في البر فيقول لهم إن تهزؤوا منا اليوم فإنا نهزأ منكم في الآخرة كما تهزؤون منا في الدنيا فسوف تعلمون إذا عاينتم عذاب الله من الذي كان إلى نفسه مسيئاً منا»(٢).

فلما أن صنع السفينة وظهرت له علامات العذاب، أمره ربه أن يحمل معه من كل زوجين اثنين للمحافظة على أنواع هذه المخلوقات، وأمره أن يحمل معه أهله إلا من سبق عليه القول ومن آمن.

﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ (٣).

وأمرهم أن يركبوا فيها ويذكروا اسم الله عند الركوب وعند رسوّها. وهذا يدل على قوة صلة نوح بربه ثم دعوته من آمن إلى تطبيق ذلك وهو صلتهم بالله تعالى حالة العسر واليسر.

---

(١) سورة هود آية [٣٨، ٣٩].

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن م ١١، ١٤ جـ ١١ ص ٢٠.

(٣) سورة هود آية [٤٠].

وبعد ركوبهم جاء أمر الله الذي لا مفر منه.

﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ (١) .

وعندما تحركت السفينة وأخذ الناس في الغرق، دعا نوح ابنه أن يركب معه وألاّ يكون مع الكافرين فأبى الاستجابة لأبيه وظن أن طلوعه على أحد الجبال سينجيه ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ (٢) .

فدعا نوح ربه أن ينجيه لظنه أنه مؤمن. حيث قال بعض المفسرين: إنه كان مؤمناً في الظاهر كافراً في الباطن. وهو الذي دفع نوحاً أن يدعوه ويدعو ربه. قال القرطبي: إن نوحاً لم يعلم أن ابنه كان كافراً وإنه ظن أنه مؤمن ولذلك قال له ﴿ ولا تكن مع الكافرين ﴾ (٣) (٤) فأخبره ربه إنه ليس كذلك ﴿ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ (٥) .

فلما علم نوح ذلك انتهى واستغفر ربه عن ذلك ﴿ قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ (٦) .

---

(١) سورة القمر من آية [٩إلى ١٤]. (٢) سورة هود الآية [٤٢].

(٣) سورة هود جزء من الآية [٤٢].

(٤) الجامع لأحكام القرآن م ٩، ١٠ جـ٩ ص ٣٨، ٣٩.

(٥) سورة هود آية [٤٦]. (٦) سورة هود آية [٤٧].

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يستفيد من ذلك فائدة كبيرة. وهي تعميق الحب في الله والبغض في الله في القلب. فالقريب منه هو المطيع لله تعالى ولو كان بعيداً نسباً، فيجب ألاَّ تأخذه في الله لومة لائم. وإذا ما حصل منه تقصير في هذا الجانب أو خطأ أو مخالفة منهج الله فعليه أن يرجع إلى الله ويتوب إليه ويستغفر ويكرر ذلك.

ولما هلك القوم أمر الله السماء أن تقلع والأرض أن تبلع الماء ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديِّ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ (١) .

وهبط نوح ومن معه إلى الأرض بسلامة من الله تعالى ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك .. ﴾ (٢) الآية.

وهكذا كانت نهاية الكافرين والمكذبين والمعاندين الهلاك والدمار.

وأما المؤمنون والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فلهم النجاة والفوز بالدنيا والآخرة.

فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يعتبر بهذه الحقيقة والتي تبين له النهاية الحتمية التي وعد الله بها الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وأخيراً نقول: إن قصة نوح مع قومه فيها من الفوائد العظيمة الشيء الكثير، وما ذكرناه هنا هو عبارة عن إشارات بسيطة يستفيد منها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

---

(١) سورة هود آية [٤٤].

(٢) سورة هود جزء من الآية [٤٨].

النموذج الثاني

خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام

أولاً: نبذة تاريخية عن حياته وعبادة قومه

أ ـ نسبه والتحقيق في اسم أبيه:

ـ قال ابن جرير الطبري في نسب إبراهيم عليه السلام: هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح[1] .

ـ وقيل هو إبراهيم بن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فانع بن عابر بن شالح بن أفخشد بن سام بن نوح عليه السلام[2] .

ـ وقال عبد الوهاب النجار: «هو إبراهيم خليل الله بن تارخ بن ناحور ابن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاذ بن سام بن نوح[3].

فكأنهم يشيرون إلى أن اسمه إبراهيم بن تارخ.

وقال ابن خلدون في تاريخه عند حديثه عن إسماعيل عليه السلام:

وإسماعيل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو ابن إبراهيم بن آزر وهو

---

(١) تاريخ الطبري جـ١ ص ٢٣٣ ومشى على ذلك ابن الأثير في الكامل إلا أنه قال: «ناخور» بدلاً من «ناحور» جـ ١ ص ٥٣.

(٢) البداية والنهاية. ابن كثير م ١، ٢ جـ١ ص ١٣٩.

(٣) قصص الأنبياء ص ٩٣. فقد ذكر الخلاف في اسم أبيه ورجح أن يكون تارخ.

تارخ، وآزر اسم لصنم لقب به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو بالغين بن عابر أو عنبر بن شالخ أو شليخ بن أفخشذ بن سام بن نوح..»[١].

فابن خلدون يرى أن تارخ بدلاً من آزر.

ـ وقد سار ابن حجر ـ رحمه الله ـ على ذلك فقال: وإبراهيم هو ابن آزر واسمه تارخ بمثناة وراء مفتوحة وآخره خاء معجمة ابن راغو بغين معجمة بن فالخ بفاء ولام مفتوحة بعدها معجمة ابن عبير ويقال عابر وهو بمهملة وموحدة بن شالخ بمعجمتين بن أرفخشد بن سام بن نوح. ثم قال: ولا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك إلا في النطق ببعض هذه الأسماء..»[٢].

ـ وقال الخازن مرجحاً أن أباه آزر: والصحيح أن آزر اسم لأبي إبراهيم لأن الله تعالى سماه به، وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تارخ ففيه نظر، لأنهم إنما نقلوه عن أصحاب الأخبار وأهل السير من أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم..»[٣].

وقال الفخر الرازي: إن اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر، وأما قولهم: أجمع النسابون على أن اسمه تارخ فنقول هذا ضعيف؛ لأن ذلك الإجماع إنما حصل لأن بعضهم يقلد بعضاً وبالآخرة يرجع ذلك الإجماع إلى قول الواحد والاثنين مثل قول وهب وكعب وغيرهما، وربما تعلقوا بما يجدونه من أخبار اليهود والنصارى، ولا عبرة بذلك في مقابلة صريح القرآن[٤].

---

(١) تاريخ العلامة ابن خلدون جـ٣ ص ٥٨. (٢) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٨٩.

(٣) تفسير الخازن جـ ٢ ص ١٢٢.

(٤) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب م٧ جـ١٣ ص ٣٧.

وقال الشيخ أحمد شاكر: أما إن اسم والد إبراهيم «آزر» فإنه عندنا أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية بدلالة الألفاظ على المعاني، وأما التأويل والتلاعب بالألفاظ فما هو إلا إنكار مُقَنَّع لمضمون الكلام ومعناه، وسواء كان اسمه في قول أهل النسب نقلاً عن الكتب السابقة «تارخ» أو لم يكن فلا أثر له في وجوب الإيمان بصدق ما نص عليه القرآن وبدلالة لفظ «لأبيه» على معناه الوضعي في اللغة. والقرآن هو المهيمن على ما قبله من كتب الأديان السابقة»[1].

وقد ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره الخلاف في اسم والد إبراهيم ثم قال بعد ذلك: فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال هو اسم أبيه؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم[2].

والراجح أن اسم أبيه عليه السلام آزر. للمرجحات التالية:

أولاً: إن ذلك صريح القرآن وكفى بذلك مرجحاً.

ثانياً: ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرَةٌ وغبرة»[3] الحديث.

ثالثاً: إن من قال إن اسمه «تارخ» احتج بما نقله المؤرخون أو الناسبون أو بما ورد عن الكتب السابقة. فسبحان الله كيف يعدلون عن صريح

(١) زاد المسير. (٢) جامع البيان في تفسير القرآن م ٥ جـ٧ ص ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري. كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» جـ ٢ ص ٤٥٩ حديث ٣٣٥٠٠.

الكتاب والسنة إلى الكتب المحرفة أو أقوال الرجال.

رابعاً: إن جمهور المفسرين المعتبرين وغيرهم من جمهور العلماء مشوا على صريح القرآن ورجحوا أن اسمه آزر.

ب ـ ولادته ومكانها:

اختلف المؤرخون في مكان ولادته وهل ولد في قرية برزة في جبل قاسيون «بغوطة دمشق» أو في أرض الكلدانيين في أرض بابل. أو بالسوس بالأهواز أو بِحرَّان.

قال ابن جرير: واختلفوا في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم: كان مولده بالسوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السواد، وقال بعضهم: كان مولده بحران»[1].

والصحيح أنه ولد في أرض الكلدانيين «أرض بابل».

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر مكان ولادته وما قيل فيها وأنه ولد في أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل ثم قال: وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار.

وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر بعد ما روى من طريق هشام بن عمار، عن الوليد، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول، عن ابن عباس قال: ولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون. ثم قال: والصحيح أنه ولد ببابل وإنما نسب إليه هذا المقام؛ لأنه صلى فيه إذ جاء معيناً للوط عليه السلام[2]وأما زمن ولادته فهو في عهد النمرود بن كوش.

---

(١) تاريخ الطبري جـ ١ ص ٢٣٣. باختصار.

(٢) البداية والنهاية م ١، ٢ جـ ١ ص ١٤٠.

وكان عمر والد إبراهيم آنذاك خمساً وسبعين سنة.

قال الطبري: قال عامة السلف من أهل العلم: كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود كوش»[1].

وقال ابن كثير:

«... ولما كان عمر تارخ ـ يقصد آزر ـ خمساً وسبعين سنة ولد له إبراهيم ـ عليه السلام...»[2].

جـ ـ عبادة القوم الذين بعث فيهم:

لقد كان القوم الذين بعث فيهم إبراهيم عليه السلام كفرة ومشركين؛ فهم يعبدون الأصنام والأوثان والكواكب والنجوم وغير ذلك من الآلهة الباطلة المتعددة. ولقد تحدث القرآن الكريم عما كان عليه القوم.

ـ يقول تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ﴾[3] الآيات.

وفي آية أخرى يقول عنه: ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾[4].

---

(١) تاريخ الطبري جـ ١ ص ٢٣٣. وانظر إلى الكامل لابن الأثير جـ ١ ص ٥٣.

(٢) البداية والنهاية م ١، ٢ جـ١ ص ١٤٠.

(٣) سورة الشعراء آية [٧٠، ٧١].

(٤) سورة الأنبياء جزء من الآية [٥٢] إلى الآية [٥٤].

ويقول تعالى حكاية عنه:

﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً.. ﴾[1].

فهذه الآيات ـ وغيرها كثير[2] ـ تصور لنا الحالة التي عليها القوم الذين بعث فيهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ من الضلال والشرك المبين.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ مصوراً الحال التي عليها القوم:

«... وكانوا يعبدون الكواكب السبعة، والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هؤلاء الذين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال. وهكذا كان أهل حرّان يعبدون الكواكب والأصنام، وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام...»[3].

وقال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ:

«... وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه! فلا يشتري أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر

---

(١) سورة العنكبوت جزء من الآية [١٧].

(٢) راجع الآيات من هذه السور: [٧٤] من سورة الأنعام، [٨٦] من سورة الصافات، و [٢٦] من سورة الزخرف.

(٣) البداية والنهاية م ١، ٢ جـ ١ ص ١٤٠ باختصار.

فصوب فيه رؤوسها، وقال اشربي ـ استهزاءً بقومه وبما هم عليه من الضلالة...»[1].

وجاء في قصص القرآن:

كان أهل بابل ينعمون برغد العيش، ويتفيؤون ظلال النعمة، ولكنهم يتخبطون في دياجير الظلام ويترددون في مهوى الضلالة؛ فقد نحتوا الأصنام بأيديهم وصنعوها على أعينهم ثم جعلوها أرباباً ونصبوها آلهة وعكفوا على عبادتها من دون الله الذي خلقهم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة[2].

وقال فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي واصفاً للحالة التي كان عليها قوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ :

كان قوم إبراهيم الخليل صابئة يعبدون الكواكب السيارة فينحتون لها الهياكل في الأرض من الأحجار ونحوها، وكانوا يعظمونها ويتقربون إليها بالذبائح وغيرها وكانوا يستغيثون بها ويتضرعون إليها..»[3].

من خلال هذه النقول يتبين لنا بوضوح الحال التي كان عليها قوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ قبل بعثته، بل وأثناء بعثته.

---

(١) تاريخ الطبري جـ ١ ص ٢٣٥. وانظر إلى الكامل لابن الأثير جـ ١ ص ٥٥.

(٢) قصص القرآن. تأليف محمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص ٣٥ المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٣) مجلة التوعية الإسلامية في الحج العدد السابع ١٣٩٥ هـ.

ثانياً: منهج إبراهيم ـ عليه السلام ـ
في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

أ ـ أمره لأبيه بالمعروف ونهيه عن المنكر:

لقد كان في سيرة ـ الخليل عليه السلام ـ في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر دروس عظيمة، لو أخذ بها السالكون لهذا الطريق لوصلوا إلى نتائج طيبة في أمرهم ونهيهم، وصدق الله حيث يقول ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه.. ﴾ (١).

فرغم أن أباه ارتكب أكبر المنكرات ـ الإشراك بالله ـ إلا أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قابله في أول الأمر مقابلة سهلة بسيطة فيها الترغيب والنصح والإخلاص لأبيه في دعوته إياه. وكلما قسا أبوه عليه من جانب لان له إبراهيم من الجانب الآخر. كل ذلك رجاء أن يسلم وأن ينقاد لله رب العالمين.

والآيات التي تحدثت عن أمر إبراهيم لأبيه بالمعروف ونهيه عن المنكر كثيرة مثل:

قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ (٢).

وقوله سبحانه ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ (٣).

---

(١) سورة الممتحنة جزء من الآية [٤].
(٢) سورة الأنعام آية [٢٦].
(٣) سورة الأنبياء آية [٢٧].

وفي الآيات التي وردت في سورة «مريم» تفصيل واضح لصورة الأمر والنهي والنصح والترغيب والترهيب التي دارت بين إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأبيه.

فحديثنا سوف يكون من خلال هذه الآيات.

يقول تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً؟. يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً، قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألاَّ أكون بدعاء ربي شقياً ﴾ [١].

فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه محمداً ﷺ ويأمره بأن يذكر خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ لقومه الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته وهو «صِدِّيقاً نبياً».

والصديق من صيغ المبالغة، والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله[٢].

ولقد كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ صادقاً فيما يقول ومصدقاً بما يسمع من ربه، فهو أمين على تبليغ الرسالة ولا يزيد ولا ينقص « إذ قال لأبيه

---

(١) سورة مريم الآيات من [٤١] إلى [٤٨].

(٢) انظر تفسير الكشاف. الزمخشري م ٣، ٤ جـ ٤ ص ٩.

يا أبت» فإبراهيم يخاطب أباه بأقوى الروابط وأوثقها وهي رابطة الأبوة «يا أبت» فهو يحاول أن يكسر حدّة أبيه بهذا الأسلوب الجذاب حتى يستطيع أن يوصل دعوة ربه إلى أعماق قلبه؛ لأن الوالد مفطور على محبة ولده مهما اختلف معه. فما أطيبه وألذه من أسلوب لو صادف قلباً حياً.

وفي هذا الأسلوب درسان للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

الأول: البداية بالأقارب من والد وولد إذا كانا يحتاجان إلى ذلك وعموم الأقارب المحيطين به؛ لأن صلاح البيئة القريبة منه يساعده في أمره ونهيه ولئلا يقول له المتعنتون: أصلح أقاربك ثم أصلح الناس.

وهذا هو أسلوب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ولقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بأن ينذر عشيرته الأقربين ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (١) .ثانياً: اختيار الألفاظ الطيبة الجميلة السهلة القريبة التي تحبب الناس لهم وللشرع، واجتناب الألفاظ الشديدة المؤذية التي تنفر الناس منهم ومن الشرع، وكم من شديد لان بسبب كلمة طيبة وكم من سهل أخذته العزة بالإثم بسبب كلمة جافية.

«يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً» فرغم أنه يعيب الآلهة التي يعبدها أبوه إلا أنه بخطاب عقلي ومنطقي هادئ، فهو ينكر عليه ويطلب منه أن يعيد النظر في معبوده فلعله يرجع إلى الحق حينما يعلم أن الآلهة التي يعبدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ومن هذا شأنه فلا خير فيه لنفسه فكيف يفيد الآخرين؟.

---

(١) سورة الشعراء آية [٢١٤].

يقول الزمخشري حول هذه الآية: «... انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا»[1].

«يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً».

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ ينظر بنور الله فهو يعرف بفراسته أن أباه يكبر عليه اتباع ابنه وهو أصغر منه سناً وأقل خبرة في هذه الحياة. فأراد أن يلفت نظره إلى أن الله أكرمه بعلم من عنده، وكرمه لا يناله أي أحد كما أنه ليس له حد. وإذا كان الأمر كذلك فكبر السن وصغره والخبرة لا مجال لها في جانب علم الله الذي يهبه لمن يشاء من عباده، فالأولى لك أن تتبعني كي تحصل على النجاة في الدنيا والآخرة.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية: فليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده، إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى فإنما يتبع ذلك المصدر ويسير إلى الهدى[2].

قلت: وليس هناك من غضاضة أن يتبع الوالد ولده إذا كان على الحق ولو لم يكن على صلة بمصدر أعلى مباشرة.

---

(١) تفسير الكشاف. الزمخشري م ٣، ٤ جـ ٤ ص ١٠.

(٢) في ظلال القرآن. سيد قطب جـ ٤ ص ٢٣١١.

«يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً».

ففي هذه الآيات يبين إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه أسباب الغواية وأنها باتباع الشيطان، ومن اتبعه فقد عبده، ومن عبده فقد هلك.

والشيطان من الذين عصوا الله واستمروا على عصيانه فلا يحصل طاعة للرحمن وللشيطان بنفس الوقت. ثم يبين شفقته عليه بقوله «يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً» فما أعظمه من استعطاف يجمع فيه بين الترغيب والترهيب فهو يقول له: إن المجال أمامك مفتوح فإن أطعت الله دخلت الجنة وإن عصيته دخلت النار.

قال القرطبي حول قوله «إني أخاف أن يمسك» الآية: أي إن مت على ما أنت عليه ويكون «أخاف» بمعنى أعلم ويجوز أن يكون «أخاف» على بابها فيكون المعنى: إني أخاف أن تموت على كفرك فيمسك العذاب[1].

«قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً».

بعد كل هذا الاستعطاف من إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه واللين والعطف والشفقة. أنكر عليه أبوه أن يرغب عن آلهته وآلهة قومه. ولم يخاطبه بمثل ما خاطبه ابنه به وهو جانب الأبوة، بل خاطبه باسمه مجرداً من كل صفة مدح أو تقرب، بل هدده بالرجم وأمره أن يبتعد عنه لئلا يوقع به العذاب.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن م ٦ جـ ١١ ص ١١١.

وفي هذا الموقف درس للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من أنهم قد يأمرون وينهون فترة طويلة ومع ذلك لا يستجاب لهم، وإضافة إلى ذلك إنهم ربما لاقوا من المأمورين أذىً حسياً أو معنوياً، فإذا كان خليل الله ﷺ صبر واحتسب فغيره من باب أولى عليه أن يصبر ويحتسب.

وماذا كان جواب إبراهيم بعد سماعه من أبيه الكلمات الجافية والتهديد بالطرد والرجم. قال له إبراهيم ـ عليه السلام ـ بكل أدب واحترام:

«سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً».

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : أي سلمت من أن أصيبك بمكروه؛ وذلك إنه لم يؤمر بقتاله على كفره «سأستغفر لك ربي، سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته، أو إنه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور في حق المصرين على الكفر. ذكرهما الأنباري»[1].

ولا شك أن استغفار إبراهيم لأبيه كان قبل أن ينهى عنه ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، إن إبراهيم لأواه حليم ﴾[2].

«إنه كان بي حفياً» الحفيّ: المبالغ في البر والإلطاف[3] ففي هذا النص القرآني والذي تحدث الله فيه عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ تسلية للرسول ﷺ لما يواجهه من قومه من الصد والعناد والاستهزاء والإيذاء. فأخبره الله أن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير جـ ٥ ص ٢٣٧.

(٢) سورة التوبة آية [١١٤].

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ٦ جـ ١١ ص ١١٣.

هذا الأمر ليس بدعاً، بل قد واجهه الأنبياء قبلك ولا سيما أبو الأنبياء عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وفيه درس لأمة محمد ولا سيما الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فهم مأمورون بالاقتداء بالرسول ﷺ ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[١] .

ب ـ براءة إبراهيم من أبيه:

بعد أن بذل إبراهيم ـ عليه السلام ـ قصارى جهده في محاولة هداية أبيه واستعمال جميع الأساليب الترغيبية والترهيبية ولم يستجب لذلك كله.

عند ذلك تبرأ منه، كما تبرأ نوح ـ عليه السلام ـ من قبله من ولده وزوجه، ومن بعده محمد ﷺ الذي تبرأ من أقربائه من المشركين.

يقول الله تعالى عن براءة إبراهيم من أبيه: ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ [٢].

إن لطف إبراهيم ولينه مع أبيه كل ذلك رجاء أن يسلم ويهتدي فلما رأى من أبيه الجفوة والعناد وعدم الاستجابة تبرأ منه، وانفصلت الروابط كلها؛ لأن رابطة العقيدة انفصلت وإذا انفصلت فلا خيرة لرابطة بعدها، إنها البراءة من الشرك والمشركين أياً كانت صلتهم.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية: إن العقيدة هي العروة

---

(١) سورة الأحزاب آية [٢١].

(٢) سورة التوبة آية [١١٤].

الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية فإذا انبتّت وشيجة العقيدة انبتت الأواصر الأخرى من جذورها فلا لقاء بعد ذلك في نسب ولا لقاء بعذ ذلك في صهر ولا لقاء بعد ذلك في قوم، ولا لقاء بعد ذلك في أرض.. إما إيمان بالله والوشيجة الكبرى موصولة والوشائج الأخرى كلها تنبع منها وتلتقي بها أو لا إيمان فلا صلة إذن يمكن أن تقوم بين إنسان وإنسان»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد. فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك، فينظر فإذا هو بذيخٍ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فليقى في النار»(٢).

ومن قبل ذلك قال الله تعالى على لسان خليله إبراهيم ﴿ وما أملك لك من الله من شيء ﴾(٣).

فالولاء والبراء يجب أن يكونا من الأسس التي يسير عليها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا تأخذه في الله لومة قريب أو بعيد. كما فعل إبراهيم عليه السلام.

---

(١) في ظلال القرآن جـ٣ ص ١٧٢١.

(٢) رواه البخاري. كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» جـ ٢ ص ٤٥٩ حديث ٣٣٥٠.

(٣) سورة الممتحنة جزء من الآية [٤].

وإذا كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو خليل الله لا يستطيع نفع أبيه يوم القيامة فما بال ناس يطوفون حول القبور ويسألون من فيها من الموتى ويطلبون منهم جلب النفع ودفع الضر بل يشدون إليها الرحال. فأين هؤلاء المقبورون من الموتى من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

فهلا يقوم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بواجبهم حيال أولئك.

جـ ـ إبراهيم يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر:

بعد أن أمر أباه بالمعروف ونهاه عن المنكر ودعاه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أخذ يأمر قومه كذلك وتارة يجمع بينهم في الأمر والنهي.

ولقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن ذلك في كتابه العزيز. يقول تعالى على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ [١] .

فإبراهيم ـ عليه السلام ـ ينكر على أبيه وقومه عكوفهم على هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وإنكاره جاء بصيغة الاستفهام رغم معرفته لقدرها عندهم ولكن ليحقر من شأنها ويعلمهم أنها لا تنفع ولا تضر وأنهم بفعلهم هذا في ضلال مبين.

قال الزمخشري: «ما هذه التماثيل» تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر من شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها »[٢].

---

(١) سورة الأنبياء من الآية [٥٢] إلى [٥٤].

(٢) تفسير الكشاف م، ٣، ٤ جـ٤ ص ٦٣.

ويقول تعالى في موضع آخر عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ﴾ [1] الآيات.

ويقول تعالى: ﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾ [2] .

فإبراهيم ـ عليه السلام ـ يأمر قومه بعبادة الله وحده لا شريك له وأن يتقوه بفعل الأوامر وترك النواهي وأن في ذلك يحصل خيري الدنيا والآخرة. ويعلمهم بأن ما هم عليه من معبودات من دون الله إنما هي افتراء وكذب والدليل أنها لا تملك نفعاً ولا ضراً وإنما النافع الضار هو الله. كما أنه الباسط الرزاق القابض وإليه المرجع في الآخرة فيجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فالآيات المتقدمة وغيرها من الآيات تبين جانباً من أمر إبراهيم ـ عليه السلام ـ لقومه بالمعروف ونهيهم عن المنكر مستعملاً في ذلك الأساليب المختلفة من ترغيب وترهيب.

د ـ إنكاره بالحوار على النمرود:

يقول الله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي

---

(1) سورة الشعراء [٧٠، ٧١]. وانظر الآيات إلى [٧٧].

(2) سورة العنكبوت الآية [١٦، ١٧].

كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [1] .

هذه الآية بدأت بالاستفهام وهو للتعجب من محاجة النمرود وكان سبب محاجته أن أعطاه الله الملك فزاده ذلك بطراً وكبراً ولم يزده شكراً وتواضعاً. فأراد أن يظهر قوته على إبراهيم ليستمر في ملكه وجبروته.

ويظهر من السياق أن نمرود سأل إبراهيم في هذه المناظرة عن سبب تكسير الأصنام، فقال له إبراهيم: لا يصح أن تعبدها لأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً وربي هو الذي يجب أن يعبد لأنه يحيي ويميت[2]. ولذلك لما قال إبراهيم «ربي الذي يحيي ويميت» قال «أنا أحيي وأميت» أي آتي باثنين قد حكم عليهما بالقتل فأعفو عن واحد وأقتل واحداً. وهذا دليل على غباوته وعناده فإبراهيم يقصد بذلك الإنشاء والتكوين ابتداء. ومع ذلك لم يتوقف إبراهيم في نقاشه عند هذه القضية بل اتجه إلى قضية بديهية فلا مفر من الخضوع والخنوع لها «قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» عند ذلك تحطم وعرف أنه لا يستطيع أن يقدم في ذلك ولا يؤخر «فبهت الذي كفر» أي انقطع وبطلت حجته.

ذكر ذلك ابن جرير[3] .

«والله لا يهدي القوم الظالمين» أي والله لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة لأن أهل الباطل حجتهم داحضة[4] .

---

(١) سورة البقرة آية [٢٥٨].

(٢) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله محمد سرور زين العابدين جـ ١ ص ١١٢.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن م ٣ جـ ٣ ص ١٧. (٤) المرجع السابق ص ١٩.

فنهاية هذه المحاجة تبين انتصار إبراهيم ـ عليه السلام ـ على خصمه وظهور حجته على عدو الله وعدوه. وفي ذلك بشارة للرسول ﷺ ومن سار على هديه في الأمر والنهي بأن الله يتولاه وينصره على عدوه وعدوهم إن عاجلاً أو آجلاً، إن في الدنيا أو في الآخرة.

هـ ـ إنكاره للمنكر بيده ـ عليه السلام ـ :

لما أن استعمل إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع أبيه وقومه الأساليب المختلفة في الأمر والنهي ولم يستجيبوا له، أراد عند ذلك أن يغير المنكر بيده ليعرِّف أولئك أنهم على باطل في ادعائهم وعبادتهم وذلك أنه كسر الأصنام وهم يعتبرونها آلهة وإذا كانت كذلك فلماذا لا تدافع عن نفسها ؟! وإذا كانت لا تستطيع الدفاع عن نفسها فكيف تدافع عن الآخرين ؟.

يقول الله تعالى:

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا لقد وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟. قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون. قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ؟. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ ؟[1].

يقول ابن كثير عند قوله تعالى «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل» يخبر تعالى عن خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه وكان أهلاً لذلك[2].

ولقد كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ معروفاً برجاحة عقله وشدة ذكائه وقوة حجته وصائب رأيه وثاقب فكره، ولقد هداه ذلك إلى معرفة أن الله واحد لا شريك له وألقى الله في قلبه كره الأصنام وجميع المعبودات من دون الله.

«إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون» هذا من قبيل الإنكار باللسان من إبراهيم ـ عليه السلام ـ وجاء بصيغة الاستفهام المتضمن لتحقير الآلهة وتوبيخ عابديها فهو يقول ما هذه المعبودات الحقيرة التي لا روح فيها ولا عقل ولا تضر ولا تنفع كيف تقيمون على عبادتها ؟.

يقول القاسمي في محاسن التأويل: أي ما هذه الصور الحقيرة التي عكفتم على عبادتها ؟! استفهام تحقير لها وتوبيخ على العكوف على عبادتها بأنها تماثيل صور بلا روح، مصنوعة، لا تضر ولا تنفع، فكيف تعبد ؟»[3].

«قالوا لقد وجدنا آباءنا لها عابدين» هذه الحجة الواهية التي تمسك

---

(١) سورة الأنبياء الآية [٥١] إلى الآية [٦٧].

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ١٨١، ١٨٢ باختصار.

(٣) تفسير القاسمي م ٧، جـ ١١ ص ٢٦٢.

بها أولئك من أهم المشاكل التي واجهت إبراهيم ـ عليه السلام ـ في دعوة قومه. ذلك أنهم جمدوا وتعصبوا لعقيدة آبائهم وأجدادهم وأصروا على عبادتها وألغوا عقولهم من التفكير والتأمل فيما جاء به إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهذا من أقبح الأشياء.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة في مقابل حرية الإيمان وانطلاقة النظر والتدبر وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليد. فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمية التقليدية والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل»[1].

فإذا أخذ معك المدعو وأعطى وفكر فيما تقول فإنك قد تصل أنت وإياه إلى نتيجة، وأما إذا أصر على رأيه الباطل وجمد عليه عند ذلك ينسد باب الأمل. فلما قالوا: ذلك قال لهم: «لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين».

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في معنى هذه الآية: أي الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم[2].

فلما ضلل آباءهم وسفه أحلامهم واستهزأ بآلهتهم قالوا: «أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين»؟ أي أجادٌ أنت بحق فيما تقول «أم أنت لا عب مازح»[3].

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٣٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ١٨٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ٦ جـ ١١ ص ٢٦٦.

فهم استغربوا إنكار إبراهيم عليهم لأنهم لهم فترة طويلة وهم على عبادتها ومجمعون عليها. فتصوروا أنه ليس بجاد في إنكاره فلعله هازل مازح.

وعلى أي الحالين فهم مكذبون له وساخرون منه وحاقدون عليه.

قال الفخر الرازي حول هذه الآية: اعلم أن إبراهيم - عليه السلام - لما أورد عليهم الحجة المذكورة - وهي عدم صلاحية معبوداتهم للعبادة - فالقوم أوردوا عليه حججاً على صحة أقوالهم، منها أنهم تمسكوا بالتقليد كقولهم «إنا وجدنا آباءنا على أمة» وكقولهم للرسول ﷺ كما حكاه الله ذلك «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب» ومنها أنهم خوفوه بأنك لما طعنت في إلهية هذه الأصنام وقعت من جهة الأصنام في الآفات والبليات ونظير ما حكاه الله تعالى في قصة هود «إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء» فذكروا هذا الجنس من الكلام مع إبراهيم - عليه السلام - فأجاب الله عن ضجتهم بقوله «قل أتحاجوني في الله وقد هدان» يعني لما ثبت بالدليل الموجب للهداية واليقين صحة قولي فكيف يلتفت إلى حجتكم العليلة وكلماتكم الباطلة[1]؟.

قال «بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين».

فبين لهم أنه جاد في قوله وبين لهم الحقيقة في جده بأن ربهم الذي خلق السموات والأرض ابتداءً هو الذي يستحق أن يعبد، وأما الجمادات فإنها لا تستحق شيئاً. وهذه حجة واضحة أشهد عليها.

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ١٣ ص ٥٨.

قال ابن كثير: أي ربكم الذي لا إله غيره، وهو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن وهو الخالق لجميع الأشياء، وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه[1].

«وتالله لأكيدن أصنامكم بعد إن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون».

بعد أن أنكر عليهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالقول والحجة والبرهان ولم يستجيبوا له. أقسم بالله قسماً أسمعه بعضهم حيث أن لهم عيداً يخرجون فيه وطلبوا منه أن يخرج معهم فلما كان منتصف الطريق رمى بنفسه وقال إني سقيم فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون مه فيقول إني سقيم وبعد أن كادوا أن ينتهوا قال مقالته «وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين» أو أنهم طلبوا منه الخروج فتعذر بأنه مريض لكي لا يشكوا فيه ثم قال مقالته عند بعضهم[2].

والمهم معرفة أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أنكر عليهم بلسانه ولم يفد ذلك أخذ ينكر عليهم بيده. فبعد خروجهم حطم الأصنام كلها وجعلها كسرة كسرة إلا واحداً منها وهو أكبر الأصنام فقد وضع عليه القدوم وتركه. قال بعض المفسرين إشارة إلى أنه غار أن تعبد هذه الأصنام الصغيرة معه[3].

قلت: ويحتمل أن يكون ـ إبراهيم عليه السلام ـ يريد أن يثبت لهم أن

---

(١) تفسير القرآن جـ٣ ص ١٨٢.

(٢) انظر إلى تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ ٣ ص ١٨٢.

وانظر إلى الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ٦ جـ ١١ ص ٢٩٦.

(٣) انظر إلى تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٨٢.

كبير الآلهة معه السلاح ولم يتمكن من الدفاع عنها، أو أنه هو الذي حطمها.

فلما رجعوا ورأوا أن آلهتهم محطمة ومكسرة كبر وعظم ذلك الأمر في نفوسهم، وقالوا «من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم».

قال ابن كثير: وهذا دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها، فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخبالهم «من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم» أي يذكرها بالعيب والتنقص والازدراء فهو المقيم عليها والكاسر لها[1].

فأخذت حاشية النمرود وجنوده وأعوانه يبحثون ويتجسسون من هو صاحب هذه الجريمة - في نظرهم - وبدؤوا يجمعون أقاويل الناس واتجهت الأنظار إلى إبراهيم حيث أنه دعاهم إلى تركها من جهة وعابها من جهة أخرى.

«قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون»

وهذا هو الذي أراده إبراهيم - عليه السلام - حتى يظهر حجته القوية الصحيحة أمام ملأ من الناس فلعلهم يهتدون. لقد أقبل الناس من كل حدب وصوب ليشهدوا محاكمته وينظروا إلى عقابه. لكن إبراهيم - عليه

---

(١) البداية والنهاية. ابن كثير م ١، ٢ جـ ١ ص ١٤٤.

السلام ـ لم يؤثر عليه ذلك كله بل هو فرح مسرور بذلك؛ لأن ذلك زمن الصدع بالحق وإظهار الدليل.

«قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون».

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ :

قيل أراد «بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون» تبيين أن من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق أن يعبد. وكان قوله من المعاريض، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب. أي سلوهم إن نطقوا فإنهم يصدقون وإن لم ينطقوا فليس هو الفاعل. وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل وهذا هو الصحيح[1].

وقال القاسمي:

والقول فيه إن قصد إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه عن إلزامهم الحجة وتبكيتهم[2]. فحينما سألوا إبراهيم ـ عليه السلام ـ من فعل هذا ؟ قال فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون. قالوا لقد علمت أنها لا تنطق فكيف نسألها ؟ قال إذاً فكيف تعبدونها وهي كذلك؟ ألا تفكرون قليلاً فأين ذهبت عقولكم ؟ ؟.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٦ جـ ١١ ص ٣٠.

(٢) محاسن التأويل م ٧ جـ ١١ ص ٢٦٦.

«فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون» أي حين عبدتم من لا يتكلم قاله ابن عباس[1] .

«ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون».

قيل: أدركتهم حيرة.

وقيل: انقلبوا على إبراهيم يحتجون عليه بعد أن أقروا له ولاموا أنفسهم.

وقيل: عادوا إلى جهلهم وعنادهم[2].

فالآية تفيد أنهم اضطربوا بين مصدق لإبراهيم ومكذب، وبين لائم لنفسه وبين مصر على عناده وكفره بعد ذلك قالوا «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون» فكيف نسألها وهذا يعني أنهم في غاية الجهل والفساد وإلا كيف يعبدونها وهم معترفون أنها لا تنطق؟.

عند ذلك قال لهم «أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون»؟.

اتضح لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بعد هذا الموقف أنهم عرفوا أنه على حق ومع ذلك أصروا على باطلهم. فلذلك أضجره فعلهم فقال النتن لكم ولمعبوداتكم التي لا تنفع ولا تضر ولو عقلتم لما فعلتم ذلك.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي جـ ٥ ص ٣٦٤.

(٢) انظر المرجع السابق.

وانظر الجامع لأحكام القرآن م ٦ جـ ١١ ص ٣٠٢.

قال الزمخشري:

«... أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف. أجمعوا رأيهم لما غُلبوا بإهلاكه. وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض إليه من المحق ولم يبق له مفزع إلا مناصبته»[1].

وبعد هذا العرض مع هذا النص القرآني الكريم والذي يعطينا صورة واضحة عن حالة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

وبهذا يتبين للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كيف سلك ـ خليل الله ـ عليه السلام طريقه في هذا الباب من تنويع وسيلة الأمر والنهي. فتارة بالحكمة واللين وتارة بالشدة وتارة بالقول وتارة بالفعل وهكذا يلبس لكل حالة لباسها.

يقول الآلوري :

مستنبطاً درساً من هذه الآية يجب على الداعية أن يغير المنكر باليد كلما سنحت له الفرصة بذلك إن كان لا يترتب من التغيير منكر أكبر[2].

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقتدي بإبراهيم ـ عليه السلام ـ في أمره ونهيه ويستعمل الأسلوب المناسب في الأمر والنهي.

---

(١) تفسير الكشاف م ٣، ٤ جـ ٤ ص ٦٦.

(٢) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم.

آدم عبد الله الآلوري. مكتبة وهبة القاهرة ص ٥٦.

ثالثاً: إيذاء قومه له

شاء اللّه تعالى أن تكون سنته في خلقه أن كل من أمر أو نهى ودعا إلى تطبيق شرع اللّه كما أمر به، فإنه لا بد أن يتعرض لأنواع من الإيذاء قد تصل في النهاية إما إلى الطرد من البلاد التي هو مقيم فيها أو إلى القتل للتخلص منه.

وهذا ما واجهه إبراهيم ـ عليه السلام ـ من قومه فقد واجه صنوفاً من الإيذاء منها:

١- الاستهزاء والسخرية:

ويتمثل هذا الجانب بالتحقير والتجاهل لإبراهيم عليه السلام فمع شهرته بينهم في أمره ونهيه وسداد رأيه وقوة حجته. فهم يحاولون تجاهله تماماً. من ذلك أنه حينما حطم الأصنام وأخذوا يسألون عمن حطمها كانت العبارات التي تخرج من أفواههم وتدور بينهم مملوءة بالسخرية والتجاهل. فهم يقولون عنه «سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم».

فتعبيرهم بكلمة «فتى» وبكلمة «يقال له إبراهيم» يحمل السخرية والاستهزاء. فإبراهيم ـ عليه السلام ـ إنما كسر الأصنام بعد الرسالة وفي وقت تبليغ الدعوة لهم. فلا يوصف بالفتوة.

ولو فرضنا أنه فتى آنذاك. ما كان ينبغي أن يوصف بذلك لما جاءهم به ولكن لما أن كان قصدهم الاستهزاء به صغروا من سنه ومن أمره.

وأيضاً قولهم «يقال له إبراهيم» فإبراهيم ليس وليد اليوم عندهم ولا ضيفه حتى يقول ذلك. فهو معروف مشتهر فكيف يقولون ذلك؟ فهذا دليل

على أن قصدهم من ذلك الاستهزاء والسخرية منه. عليه من الله صلاته وتسليمه.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

... وهناك احتمال أن يكون قولهم: «سمعنا فتى» يقصد به إلى تصغير شأنه بدليل تجهيلهم لأمره في قولهم: «يقال له إبراهيم» للتقليل من أهميته وإفادة أنه مجهول لا خطر له، قد يكون. ولكننا نرجح أنه كان فتى حديث السن في ذلك الحين[1] .

والاستهزاء بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يحصل كثيراً للقائمين به من الرسل وغيرهم من قبل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن بعده.

يقول تعالى حكاية عن نوح ـ عليه السلام ـ ﴿ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ [2] .

ويقول تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ [3] .

لكن ذلك كله لم يثن إبراهيم عن دعوته بل استمر وصبر عليها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

فعلى الآمر بالمعروف أن يوطن نفسه فلا يصده ما يجده من الناس من

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٣٨٦.

(٢) سورة هود آية [٣٨].

(٣) سورة الأنعام آية [١٠].

الاستهزاء والسخرية بل يمضي قدماً في أمره ونهيه حتى ينصره الله.

٢- الشتم والسب:

يهون الأمر ويعظم أحياناً فإذا جاءت المصيبة ممن يتوقع أنه سند عظم الأمر. وإذا تخلى عنك من تتوقع أنه سندك فغيره من باب أولى أن يتخلى عنك وإذا شتمك وتبرأ منك قريبك فغيره يفعل بك ذلك من باب أولى.

فإبراهيم ـ عليه السلام ـ جاءه السب والشتم من أبيه فكان ذلك إعلاماً لقومه وترخيصاً لهم بذلك يقول تعالى حكاية عن سب أبيه له: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً﴾[١].

والرجم هنا يحتمل معنيين الأول: الرجم الفعلي وهو الرمي بالحجارة.

والثاني: الشتم والسب وهو الأقرب كما جاء ذلك في بعص كتب اللغة والتفاسير.

قال ابن فارس تحت مادة رجم: والذي يستعار من هذا قولهم رجمت فلاناً بالكلام إذا شتمته. وذكر تفسير ما حكاه الله عز وجل في قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ «لئن لم تنته لأرجمنك» أي لأشتمنك وكأنه إذا شتمه فقد رجمه بالكلام أي ضربه به كما يرجم الإنسان بالحجارة[٢].

وقال في زاد المسير في قوله «لأرجمنك» بالشتم والقول قاله ابن عباس ومجاهد وقيل بالحجارة قاله الحسن[٣].

---

(١) سورة مريم آية [٤٦].

(٢) معجم مقاييس اللغة جـ ٢ ص ٤٩٤.

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي جـ ٥ ص ٢٣٧.

وقال ابن كثير حول هذه الآية: .. يعني إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبها وشتمها وعيبها فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك..[1].

وقال الزمخشري: «لأرجمنك» لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رمياً بالحجارة[2].

فمعظم المفسرين يرجح أن المقصود بالآية السب والشتم، وعلى أية حال فإبراهيم ـ عليه السلام ـ لاقى ألواناً من الأذى من سب وشتم وتهديد بالقتل بل ختموا ذلك بإلقائه في النار.

٣- إلقاؤه في النار:

من خلال إجابة إبراهيم ـ عليه السلام ـ على السؤال الذي وجه له ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ [3] الآيات تبين لهم من إجابته أنه هو الفاعل وأنه هو الذي حطم الأصنام وجعلها جذاذاً..

عند ذلك قرروا أن يعاقبوه عقوبة لم يسبقهم إليها أحد ألا وهي إحراقه بالنار.

يقول تعالى حكاية عن خطتهم المدبرة ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ١٢٣.

(٢) تفسير الكشاف م ٣، ٤ جـ ٤ ص ١١.

(٣) سورة الأنبياء آية [٦٢].

(٤) سورة الأنبياء آية [٦٨].

ويقول سبحانه: ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾[1].

ذكر المفسرون روايات كثيرة حول إحراق إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالنار. لكنها لا تعتمد على نصوص صحيحة لذلك لن نذكرها وإنما سوف نذكر ملخص بعض أقوال المفسرين في ذلك بما يتفق مع النص القرآني.

لما دحض إبراهيم ـ عليه السلام ـ حجتهم وبان عجزهم واندفع الباطل عدلوا إلى استعمال القوة والقسر فلم يكن هناك من مجال للمناظرة ولا الأخذ والرد بل أرادوا أن يعاقبوه عقاباً لم يعاقب به أحد. ألا وهو إحراقه بالنار. فأمر النمرود بجمع الحطب وإحراقه بالنار، فأخذ الناس يجمعون الحطب عدة أيام حتى صار مثل الجبال ثم بعد ذلك أضرموا النار وقذفوا إبراهيم بوساطة المنجنيق فيها فقال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله «كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» قال المفسرون: لم يبق نار في ذلكم اليوم إلا بطل مفعولها وإحراقها.

وقالوا لو لم يقل وسلاماً لتضرر إبراهيم من شدة بردها[2] .

فسبحان من منح النار خاصية الإحراق وسلبها منها حينما أُلقيَ فيها

---

(١) سورة العنكبوت آية [٢٤].

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٦ جـ ١١ ص ٣٠٣، ٣٠٤.

انظر تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ ٣ ص ١٨٣، ١٨٤.

انظر تفسير الكشاف للزمخشري م ٣، ٤ جـ ٤ ص ٦٦.

انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي جـ ٥ ص ٣٦٦، ٣٦٧.

انظر: في ظلال القرآن. سيد قطب. جـ ٤ ص ٢٣٨٧، ٢٣٨٨.

عبد من عباده المخلصين. ولا غرابة في ذلك أبداً فالذي وضع فيها خاصية الإحراق سلبها منها بقوله «كوني برداً وسلاماً».

وانتصار إبراهيم ـ عليه السلام ـ في هذا الموقف العظيم فيه تسلية للرسول ﷺ ولمن سار على طريقه من بعده في الأمر والنهي. فالله سبحانه ناصر للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إن عاجلاً أو آجلاً إما في الدنيا والآخرة أو في الآخرة.

فإبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو خليل الله واجه من قومه صنوفاً من الإيذاء انتهت بمحاولة قتله بالنار بل بقتله بالنار لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه منها.

وإذا كان خليل الله واجه ذلك في سبيل الله وإعلاء كلمة الله فغيره من باب أولى أن يواجه بمثل ذلك.

رابعاً: اجتهاده في الأمر والنهي:

١- استخدامه للمعاريض في الأمر والنهي «إنكار المنكر»:

ورد في النصوص القرآنية والآحاديث النبوية أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال ما ظاهره خلاف الواقع.

من ذلك قوله ـ تبارك وتعالى ـ حكاية عنه ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾[١].

وقوله ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾[٢].

---

(١) سورة الأنبياء آية [٦٣].

(٢) سورة الصافات آية [٨٨، ٨٩].

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم يكذب إبراهيم - عليه السلام - إلا ثلاث كذبات»[1]. وقد جاء تفسير ذلك بالرواية التالية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ولم يكذب إبراهيم - عليه السلام - إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله «إني سقيم» وقوله «بل فعله كبيرهم هذا» وقال: بينما هو ذات يوم وسارّة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إنّ ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه قال: أختي. فأتى سارّة. قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق. فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيم؟ قالت: رد الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره. وأخدم هاجر. قال أبو هريرة: تلكم أمكم يا بني ماء السماء[2]»[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» جـ ٢ ص ٤٦١ حديث ٣٣٥٧.

(٢) يا بني ماء السماء: يقصد العرب لكثرة معيشتهم في الفلوات واستقبالهم للمطر، أو لأنهم ولد إسماعيل وقد تربى على ماء زمزم الذي تفجر لأمه هاجر وهو من السماء...

(٣) رواه البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» جـ ٢ ص ٤٦١ حديث رقم ٣٣٥٨.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «أتي النبي ﷺ يوماً بلحم، فقال إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم ـ فذكر حديث الشفاعة ـ فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من الأرض اشفع لنا إلى ربك، فيقول ـ فذكر كذباته ـ : نفسي نفسي اذهبوا إلى موسى». تابعه أنس عن النبي ﷺ (١).

فهذه النصوص أشكلت على كثير من العلماء. هل هذا كذب؟ وهل يجوز الكذب على الأنبياء؟ أم أن هذا من الكذب الاضطراري أو المباح؟ أم أنه من المعاريض الجائزة؟ فبعضهم أوَّل النصوص القرآنية وقال: إنها لا تعني أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد كذب وأنها مؤولة باحتمالات.

وأما بالنسبة للأحاديث فإما أنها غير صحيحة أو مؤولة كذلك أو لو فرضنا صحتها فإنها من أحاديث الآحاد التي لا يحتج بها في باب العقيدة.

قال الفخر الرازي في هذه المسألة: للناس فيها قولان:

أحدهما: وهو قول كافة المحققين إنه ليس بكذب، وذكروا في الاعتذار عنه وجوهاً:

أحدها: إن قصد إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم.

وثانيها: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ غاظته تلك الأصنام حين أبصرها

---

(١) المرجع السابق الكتاب والباب ص ٦٢ حديث ٣٣٦١.

مصطفة مزينة، وكان غيظه من كبيرها أشد لما له من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو السبب في استهانته بها وتحطيمه لها.

وثالثها: أن يكون حكاية لما يلزم على مذهبهم كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم. إن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا وأشد منه[1] .

ورابعها: إنه كناية عن غير مذكور أي فعله من فعله وكبيرهم ابتداء الكلام.

وخامسها: أنه يجوز أن يكون فيه وقف عند قوله كبيرهم. ثم يبتدئ فيقول هذا فاسألوهم والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لأن الإنسان أكبر من كل صنم.

وسادسها: أن يكون في الكلام تقديم وتأخير كأن قال بل فعله كبيرهم هذا. إن كانوا ينطقون فاسألوهم فتكون إضافة الفعل إلى كبيرهم مشروطاً بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكونوا فاعلين.

القول الثاني: وهو قول طائفة من أهل الحكايات أن ذلك كذب واحتجوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قال «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلها في ذات الله تعالى»[2] قوله «إني سقيم» وقوله «بل فعله كبيرهم هذا» وقوله لسارة هي أختي»[3] وفي خبر آخر أن أهل الموقف إذا سألوا إبراهيم الشفاعة قال «إني كذبت ثلاث كذبات»[4] ثم قرروا قولهم

---

(١) وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها الزمخشري في تفسيره الكشاف م ٣.٤ جـ٤ ص ٦٥.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٢٢.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٢٢.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٢٣.

من جهة العقل وقالوا الكذب ليس قبيحاً لذاته. فإن النبي ـ عليه السلام ـ إذا هرب من ظالم واختفى في دار إنسان، وجاء الظالم وسأل عن حاله فإنه يجب الكذب فيه. وإذا كان كذلك فأي بعد في أن يأذن الله تعالى في ذلك لمصلحة لا يعرفها إلا هو. واعلم أن هذا القول مرغوب عنه. أما الخبر الأول وهو الذي رووه فلأن يضاف الكذب إلى رواته أولى من أن يضاف إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذبوا لمصلحة ويإذن الله تعالى فيه، فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبروا عنه وفي كل ما أخبر الله تعالى عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع وتطرق التهمة إلى كلها. ثم إن ذلك الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

فأما قوله تعالى «إني سقيم» فلعله كان به سقم قليل أما قوله لسارة: إنها أختي فالمراد أنها أخته في الدين، إذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلا زنديق[1] .

فمذهبه رده للنصوص وتكذيب رواتها. وفي ذلك إفراد. وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم ـ عليه السلام ـ والبحث عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون فالأمر أيسر من هذا بكثير..[2].

---

(١) تفسير الفخر الرازي م ١١، جـ ٢٢ ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٣٨٧.

صحيح أن التهكم في جواب إبراهيم واضح ولكن الذي سماه كذباً الرسول ﷺ والخليل نفسه كما جاء في حديث الشفاعة[١] .

ومن الكتاب المحدثين الذين ضلوا في الباب أو المسألة عبد الوهاب النجار صاحب كتاب «قصص الأنبياء»[٢] وقد كونت لجنة لدراسة رأيه الذي يستبعد الكذب من إبراهيم. وقد أثبتت هذه اللجنة خطأه في هذه المسألة إلا أنهم التمسوا له أعذاراً فيها[٣] ومن أهم الأعذار:

« .. أنه يعلم تلك الأحاديث ويعلم أنه لا مطعن فيها ويعتقد أن الأحاديث الصحيحة أهم مصدر بعد كتاب الله للحوادث التاريخية إلا أنه حين تدوينه لهذه القصة سها عن تلك الأحاديث وهذا الاحتمال هو الذي نميل إليه والله أعلم بحقيقة الحال»[٤] .

وقد أجاب عن اعتذارهم له بقوله: .. والذي أخبر به حضراتهم إني أعلم هذه الأحاديث وأعلم أنها من الأحاديث التي صح إسنادها ولكنها ترمي إلى إسناد الكذب إلى إبراهيم فهي تنص على وجوب اعتقاد الكذب في جانب إبراهيم عليه الصلاة والسلام والأحاديث وإن كانت صحيحة الإسناد لا يمكن أن تكون برهاناً على إثبات أمر اعتقادي[٥].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٢٣.

(٢) كتاب قصص الأنبياء للنجار فيه انحرافات كثيرة: منها رد أحاديث الآحاد في أمور العقيدة، وتقديم العقل على النقل واعتماده على مصادر أهل الكتاب. وقد رد عليه بعض العلماء الأفاضل وبينوا الحق.

(٣) انظر قصص الأنبياء. عبد الوهاب النجار. ص ١٠٩، ١١٤.

(٤) انظر قصص الأنبياء ص ١١١.

(٥) انظر قصص الأنبياء ص ١١٤.

فملخص كلامه رد هذه الأحاديث الصحيحة. ويذكر مناظرة دارت بينه وآخر حيث يقول:

واعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي ﷺ أنه قال «ما كذب إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلا ثلاث كذبات» فقلت الأولى ألا تقبل مثل هذه الأخبار فقال على طريقة الاستنكار فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة. فقلت يا مسكين إن قبلناه لزمنا الحكم لتكذيب إبراهيم ـ عليه السلام ـ وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة. ولا شك أن صون إبراهيم ـ عليه السلام ـ عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب[1] .

فسبحان الله كيف يجترئ على صحابة رسول الله ويطلق عليهم المجاهيل وهذا دليل على انحراف فكره وتأثره بكتب أهل الكتابين.

وذهب فريق من العلماء إلى أن ذلك من المعاريض الجائزة أو الكذب الاضطراري.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : .. وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذباً لكنه إذا تحقق لم يكن كذباً لأنه من باب المعاريض المحتملة للآمرين فليس بكذب محض. فقوله «إني سقيم» يحتمل أن يكون أراد إني سقيم سأسقم واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً، ويحتمل أنه أراد أني سقيم بما قدر علي من الموت، أو سقيم الحجة على الخروج معكم. وقوله «بل فعله كبيرهم» قال ابن حجر قال القرطبي: هذا قاله تمهيداً للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة وقطعاً لقوله لهم في قولهم إنها تضر وتنفع، وهذا الاستدلال يتجوّز فيه في

---

(١) قصص الأنبياء ص ١١٨.

الشرط المتصل ولهذا أردف قوله: «بل فعله كبيرهم» بقوله «فاسألوهم إن كانوا ينطقون» قال ابن قتيبة: معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فالحاصل أنه مشترط بقوله: «إن كانوا ينطقون» أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب. وقوله هذه أختي يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام[1].

وقال ابن العربي: اختلف الناس في ظاهر المقصود به فمنهم من قال: هذا تعريض وفي التعاريض مندوحة عن الكذب، ومنهم من قال بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فشرط النطق في الفعل.

والأول أصح لأنه عدّده على نفسه فدل على ذلك أنه خرج مخرج التعريض، وذلك أنهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة دون الله وهم كما قال إبراهيم لأبيه «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً؟» فقال إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا ليقولوا إنهم لا ينطقون ولا يفعلون ولا ينفعون ولا يضرون، فيقول لهم: فلم تعبدون؟ فتقوم الحجة عليهم منهم، ولهذا يجوز عند الأئمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه فإنه أقرب للحجة وأقطع للشبهة[2].

وبتتبع معظم كتب التفسير يتضح أنهم يحاولون أن يجعلوا المسألة من باب المعاريض فيؤولون ذلك بمعاريض مقبولة ومعقولة ومعاريض غير مقبولة ولا معقولة.

ورأي الباحث في هذه المسألة:

أولاً: كلمة كذب كبيرة وقد يشق على النفس أن تسمية ما قاله

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني جـ٦ ص ٣٩١، ٣٩٢.

(٢) أحكام القرآن جـ٣ ص ٢٥٢.

إبراهيم ـ عليه السلام ـ كذباً ولكن إذا عرفنا أن الذي سماه كذباً هو المصطفى ﷺ وإبراهيم نفسه أيضاً. هان ذلك على النفس.

ثانياً: إن هذه الكلمات ليست في مجال التبليغ عن الله؛ لأن ذلك يتنافى مع عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ولا كذباً صريحاً لذاته فذاك أمر محرم على سائر الناس فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: إن ذلك ضرورة اقتضته مصلحة الدعوة إذ لو صرح بمراده لقتلوه ولم يتركوه يحطم الأصنام.

رابعاً: إن قصد إبراهيم ـ عليه السلام ـ من ذلك الاحتجاج على قومه وتجهيلهم والتهكم بهم.

خامساً: إن هدف إبراهيم ـ عليه السلام ـ الدفاع عن العقيدة فهي في ذات الله وليس فيها حظوظ للنفس.

سادساً: إن ذلك من المعاريض الجائزة شرعاً وقد استعملها الرسول ﷺ في سلمه وحربه.

قال ابن جزي عند قوله «إني سقيم» يحتمل أن يكون كذباً صراحاً وجاز له ذلك لهذا الاحتمال، لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعاريض فإنه أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لا بد له أن يمرض أو أنه سقيم النفس من كفرهم، وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق أما المعاريض فجائزة[1] .

---

(١) كتاب التسهيل جـ ٣ ص ٣٣٧.

فلا يشك أحد أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قصد بذلك الكذب وإنما ذلك بصورة الكذب عند السامع. فلذلك أطلق عليه بأنه كذب.

قال ابن عقيل: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه. وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم ـ عليه السلام ـ يعني إطلاق الكذب على ذلك، إلا في حالة شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخلاً لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها[1] .

والدليل على أنها في ذات الله وأنها لم تخل بمكانته عند الله تعالى ثناء الله عليه. إذ يقول تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾ [2] .

وقوله ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [3] .

إذا اتضح بعد ذلك فعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يستعينوا بالصدق في أمرهم ونهيهم، ويجعلوه شعارهم فما نجح أمر ولا نهي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني جـ ٦ ص ٣٩٢.

(٢) سورة مريم آية [٤١].

(٣) سورة مريم آية [٤١].

إلا بالصدق. وإذا ما اضطروا إلى استعمال المعاريض فلا يتوسعوا في هذا الباب وإنما بحدود ضيقة تحدهم في ذلك تقوى الله من جميع جوانبهم. حتى يسدد الله خطاهم ويجعل النجاح حليفهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم.. ﴾ (١) الآية.

٢- هجرته عليه السلام:

بعد أن حاول إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه محاولات كثيرة في سبيل هداية قومه رأى من خلال ذلك أن جذور الشرك ضاربة في أعماق قلوبهم، وأن الضلال أعمى بصائرهم فلم ينفع فيهم نصح ولا إرشاد ولا دليل عقلي ولا نقلي بل يزدادون عتواً ونفوراً. قرر إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يبحث عن مكان يستفيد من دعوته العظيمة وينهل من هذا المعين العذب. قرر أن يهاجر بدينه ودعوته إلى مكان يتقبل دعوته.

يقول تعالى في ختام قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه في سورة الأنبياء:﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين. ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ (٢) .

يقول الفخر الرازي: وفي الأخبار أن هذه الواقعة كانت في حدود بابل فنجاه الله تعالى من تلك البقعة إلى الأرض المباركة، ثم قيل إنها مكة .

وقيل أرض الشام لقوله تعالى:﴿ إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾(٣). والسبب في بركتها، أما في الدين فلأن أكثر الأنبياء عليهم

---

(١) سورة الأحزاب آية [٧٠] وجزء من الآية [٧١].

(٢) سورة الأنبياء آية [٦٩، ٧٠].

(٣) سورة الإسراء جزء من الآية [١].

السلام بعثوا منها وانتشرت شرائعهم وآثارهم الدينية فيها، وأما في الدنيا فلأن الله تعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب العيش»[١].

وقال القرطبي: نجينا إبراهيم ولوطاً إلى أرض الشام وكانا بالعراق وقال ابن عباس: الأرض المباركة مكة، وقيل بيت المقدس؛ لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، وقيل الأرض المباركة مصر[٢].

ولعل الراجح أن أول هجرة له إلى أرض الشام وهي الأرض المباركة وعلى ذلك سار معظم المفسرين:

كالقرطبي[٣] والألوسي[٤] والفخر الرازي[٥] وأبي حيان[٦] والشيخ[٧] عبد الرحمن السعدي.

والمشهور في كتب التاريخ والسير أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ له ثلاث هجرات:

الأولى: إلى الشام.

والثانية: إلى مصر.

---

(١) تفسير الفخر الرازي م ١١ جـ ١٢ ص ١٩٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن م ٦ جـ ١١ ص ٣٠٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر روح المعاني. الألوسي جـ ١٧ ص ٧٠.

(٥) تفسير الفخر الرازي م ١١ جـ ١٢ ص ١٩٠.

(٦) البحر المحيط جـ ١٧ ص ١٤٩ «التفسير الكبير».

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان جـ ٦ ص ٤١.

والثالثة: إلى مكة.

وقد تركنا التفصيل لهذه الهجر لعدم حاجة بحثنا إليها والذي يهمنا معرفته: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ فرّ بدينه تاركاً أهله وقرابته وأرضه التي عاش عليها. كل ذلك في ذات الله فلم يتردد ولم تؤثر عليه العلاقات والروابط الأخرى فبمجرد أنه رأى أن المكان الذي هو فيه غير صالح لدعوته ذهب للبحث إلى مكان آخر فيه من يتقبل دعوته ويسمع كلامه ويطبق شرع الله الذي أمر به.

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يستفيد من سيرة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فحينما لا يجد لأمره ونهيه قبولاً من الناس وحينما يسلك جميع الطرق التي سلكها إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أمره ونهيه، عليه أن يسلك الطريق الأخير وهو البحث عن مكان خصب يشعر فيه أن لأمره ونهيه قبولاً.

يقول الآلوري: يجب على الداعية أن يعتقد بضرورة الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام لتمكين الدعوة من الانتشار فقد كان سيدنا إبراهيم أول من هاجر ومصداقه قوله تعالى: ﴿ فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾ (١) (٢).

ولا يتصور أن هذا الدرس لا يطبق إلا على الهجرة المعروفة المشهورة فمن الممكن أن يطبقها في حياته كل يوم في الأمر والنهي ـ وإن لم يصدق عليها مسمى الهجرة ـ فينتقل من بيئة إلى أخرى ومن حي إلى آخر ومن

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ص ٥٦.

(٢) سورة العنكبوت آية [٢٦].

مدينة إلى أخرى وقد يحتاج في نهاية الأمر إلى الهجرة الكبرى فينتقل من دولة إلى أخرى. والمهم أن ينذر نفسه لله ويتجه حسبما يتطلبه قبول الأمر والنهي. فإذا ضيق عليه في مكان ما ولم يعد هناك قبول لأمره ونهيه عليه أن يسيح في أرض الله الواسعة وينتقل من مكان إلى آخر حتى يجد الأرض الخصبة التي تمسك الماء وتنبت الكلأ. وليحتسب ذلك عند الله تعالى.

صحيح أن مفارقة البلد والقرابة صعبة على النفس لكن إذا كانت في ذات الله تعالى كانت سهلة ومحبوبة للنفس. ولنتذكر أفضل الأنبياء وخاتمهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والذي طبق هذه السنة. سنة الهجرة ـ فلهم به أسوة ـ وليتأمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في قول الله تعالى: ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (١) .

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : إن المنهج الرباني القرآني يعالج في هذه الآية مخاوف النفس المتنوعة، وهي تواجه مخاطر الهجرة في مثل تلك الظروف التي كانت قائمة والتي قد تتكرر بذاتها أو ما يشابهها من المخاوف في كل حين، وهو يعالج هذه النفس في وضوح وفصاحة، فلا يكتم عنها شيئاً من المخاوف، ولا يداري عنها شيئاً من الأخطار ـ بما في ذلك خطر الموت ـ ولكنه يكسب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى وبضمانة الله سبحانه وتعالى فهو أولاً يحدد الهجرة بأنها «في سبيل الله» وهذه هي

---

(١) سورة النساء آية [١٠٠].

الهجرة المعتبرة في الإسلام، فليست هجرة للثراء أو هجرة للنجاة من المتاعب أو هجرة للذائذ والشهوات أو هجرة لأي غرض من أغراض الحياة ومن يهاجر هذه الهجرة يجد في الأرض فسحة ومنطلقاً فلا تضيق به الأرض ولا يعدم الحيلة والوسيلة للنجاة وللرزق والحياة.

وإنما هو ضعف النفس وحرصها وشحها، يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق مرهونة بأرض. ومقيدة بظروف ومرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلاً وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة هو الذي يجعل النفوس تقبل الذل والضيم وتسكت على الفتنة في الدين، ثم تتعرض لذلك المصير اليائس.

﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ .

أجره كله أجر الهجرة والرحلة والوصول إلى دار الإسلام والحياة في دار الإسلام، فماذا بعد ضمان الله من ضمان. إنها صفقة رابحة دون شك يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى. والموت هو الموت في موعده الذي لا يتأخر والذي لا علاقة له بهجرة أو إقامة ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته لجاءه الموت في موعده ولخسر الصفقة الرابحة فلا أجر ولا مغفرة ولا رحمة بل هنالك الملائكة تتوفاه ظالماً لنفسه[1] .

وهذا بالنسبة للمستطيع وليس للضعيف العاجز.

أفلا ينتبه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر لهذه المعاني فيعملون بها.

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٢ ص ٧٤٥، ٧٤٦ باختصار.

النموذج الثالث

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ

إن الحديث عن سيرة الرسول ﷺ ومواقفه البطولية يطول حيث إن حياته ﷺ مملوءة بالعبر والدروس والفوائد.

والذي يعين على ذلك أن سيرته وحياته قد حفظت بتمامها وما قبل ولادته قد حفظ ولا يخفى جانب من جوانب حياته أبداً بخلاف من سبقه من الأنبياء فليس عندنا عنهم خبر موثوق إلا ما ورد في كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ وللّه في ذلك حكمة، ومن هذه الحكمة أن الرسول ﷺ هو رسول للثقلين الجن والإنس وخاتم الأنبياء والمرسلين ولذلك اختص بهذا الأمر.

لذا فلن نتناول في هذا النموذج إلا القليل من جوانب حياته ومع توخي الاختصار. واللّه المستعان.

ولادته:

ذكر كثير من المؤرخين أن مولد الرسول ﷺ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من عام الفيل.

فأما بالنسبة ليوم الاثنين فقد جاء التصريح عنه ﷺ بذلك.

فقد روى مسلم في الجامع الصحيح عن أبي قتادة رضي الله عنه في حديثه الطويل.. قال وسئل رسول اللّه ﷺ عن صيام يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه»[1] الحديث.

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الصيام. باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين م ٢ جـ ٣ ص ١٦٨.

وأما بالنسبة للشهر: فهو قول الجمهور. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ ثم الجمهور على أن ذلك ـ ولادة الرسول ـ في شهر ربيع الأول[1] وأما بالنسبة للعام فقد قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ولا خلاف أنه ﷺ ولد بمكة عام الفيل[2] . وإنما الخلاف في تاريخ هذا اليوم من هذا الشهر.

فقيل في اليوم الثاني منه.

وقيل في اليوم الثامن منه.

وقيل في اليوم العاشر منه.

وقيل في اليوم الثاني عشر منه.

وقيل في اليوم السابع عشر منه.

وقيل في اليوم الثاني والعشرين منه.

وقيل غير ذلك.

ولعل الأحرى أنه ولد يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل. وقد حكى الإجماع على ذلك سعيد بن المسيب وعليه العمل الآن في الأمصار[3] والله أعلم.

---

(١) البداية والنهاية. ابن كثير. م ١ جـ ٢ ص ٢٦٠.

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ص ٣٩ مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) انظر السيرة الحلبية. علي الحلبي جـ ١ ص ٩٣ بيروت ١٤٠٠.

نسبه الشريف ﷺ :

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن العباس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1] .

وهذه السلسلة محل اتفاق وما عداها محل اختلاف[2] وقد نقل ابن سعد في الطبقات أثراً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ونصه أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان ثم يمسك، ويقول كذب النسابون قال الله عز وجل «وقروناً بين ذلك كثيراً»[3] [4] .

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ لما ساق نسب الرسول ﷺ وانتهى إلى عدنان: هنا انتهى النسب الصحيح الذي لا شك فيه، وعدنان من ولد إسماعيل الذبيح ـ رسول الله ـ ابن إبراهيم خليل الله ورسوله ﷺ[5] .

المجتمع الذي عاش فيه الرسول ﷺ :

لقد عاش الرسول ﷺ وبعث في مجتمع جاهلي منحرف فاسد. مجتمع يعيش في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء من عبادة للأصنام والأوثان والنجوم ومن شرب للخمور واعتداء على الأموال، ومن إهانة للمرأة ووأد للبنات، فالحالة الدينية والاجتماعية والاقتصادية كلها فاسدة ومنحرفة.

---

(١) تاريخ الطبري جـ٤ ص ٢٣٩، ٢٧٦.

(٢) انظر مختصر سيرة الرسول للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ص ٣٩.

(٣) سورة الفرقان جزء من الآية [٣٨].

(٤) الطبقات الكبرى. ابن سعد جـ ١ ص ٥٦.

(٥) جوامع السير ابن حزم ص ٢ تحقيق د. إحسان عباس، د. ناصر الأسد ومراجعة أحمد شاكر.

الحالة الدينية:

لم يكن هناك من هو على دين صحيح إلا القليل ممن هو على الملة الحنيفية أو من أهل الكتاب وحتى أولئك لم يكونوا ملتزمين بذلك لما حصل من التحريف في كتبهم، اللهم إلا قلائل يعدون على الأصابع ممن هو ملتزم بذلك، وأما معظم الناس فهم على شرك كبير وانحراف خطير.

يقول الشيخ محمد الخضري بك: .. وكان لهذيل صنم اسمه سواع في رهاط من أرض ينبع، وكان يعبده من يليه من مصر وله سدنة من بني لحيان. وكان لمذحج وأهل جرش يغوث. واتخذت خيوان يعوق، وكانت تعبده همدان ومن والاها من اليمن. واتخذت حمير نسراً. وكانت هذه التماثيل قديمة في العالم إستحدثها هؤلاء القوم وصوروا على شاكلتها. ومن أوثانهم مناة، وكان منصوباً على البحر بناحية الشلل بقديد بين مكة والمدينة، وكانت العرب تعظمه وتذبح عنده. خصوصاً الأوس والخزرج. ومنها اللات بالطائف. ومنها العزى بواد من نحلة الشامية. ومنها ذو الخلصة، وكانت مروة بيضاء منقوشاً عليها كهيئة التاج.

وكانت على الكعبة أصنام أعظمها هبل وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلت له يداً من ذهب. وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة[1] .

وساق الأزرقي بسنده عن ابن عباس قال: لقد دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وإن بها ثلاثمائة وستين صنماً قد شدها إبليس بالرصاص

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية. الشيخ محمد الخضري بك م ١ جـ ١ ص ٥٤، ٥٥. المكتبة الكبرى بمصر ١٩٦٩ م.

وكان بيد رسول الله ﷺ قضيب فكان يومئ عليها ويقول: ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ثم يشير إليها بقضيبه فتتساقط على ظهورها »[1] .

وقال أحمد عوض الله : .. ثم إن العرب كانوا يقدسون الحيوان ويعبدونه. وكان العربي يتفاءل بالطير كالحمامة وبنباح الكلب على مجيء الضيوف، ويتشاءم من الثور الأعضب مكسور القرن، ومن الغراب وكانوا يضربون بالغراب المثل في الشؤم[2] .

وقال أبو الحسن الندوي: أما العرب فساءت أخلاقهم فأولعوا بالخمر والقمار وبلغت بهم القساوة والحمية المزعومة إلى وأد البنات، وشاعت فيهم الغارة وقطع الطريق على القوافل، وسقطت المرأة، فكانت تورث كما يورث المتاع أو الدابة، ومن المأكولات ما هو خاص للذكور محرم على الإناث، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر والإملاق، وكانت العصبية والقبلية والدموية شديدة جامحة، وأغرقوا بالحرب حتى صارت مسلاة لهم وملهى وهانت عليهم إراقة الدماء، فتثيرها حادثة تافهة وتدوم الحرب أربعين سنة ويقتل فيها ألوف من الناس[3] .

---

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من آثار محمد بن عبد الله الأزرقي م ١ جـ١ ص ١٢٠، ١٢١. تحقيق رشدي ملحس مطابع دار الثقافة بيروت، مكة ١٣٩٩هـ. ط الثالثة. باختصار.

(٢) مكة في عصر ما قبل الإسلام. ص ٦٨، ٦٩ باختصار.

(٣) السيرة النبوية أبو الحسن الندوي ص ٣٢، ٣٣ دار الشروق الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ. ولمزيد من التفصيل انظر إلى ص ٨٣، ٨٤.

هذه هي حالة الناس الدينية وجانباً من الحالة الاجتماعية جهالة جهلاء وضلالة عمياء وتخبط في ظلمات الضلال. وقل مثل ذلك بالنسبة للحالة الاقتصادية من الربا والظلم في البيوع ونحو ذلك.

ولقد ورد كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين الجوانب التي عليها العرب قبل وأثناء بعثه ﷺ وهذه الأمور تجعل الأمل كبيراً لدى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وتبعد عنهم اليأس حيث إن الرسول ﷺ قابل تلك الجاهلية وقلبها رأساً على عقب فأخرجها من الظلمات إلى النور. ومن الضلال إلى الهدى في فترة وجيزة لا تزيد عن ثلاثٍ وعشرين سنة.

وإذا كان الرسول تحمل ذلك وسط تلك المجتمعات الجاهلية والتي قابلته بالعناد والصد فمن باب أولى أن يكون لدى الآمر أمل بنجاح أمره ونهيه إذا خلصت نيته مهما كانت الظروف.

الوحي وكيف بدأ ؟

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني

فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذَعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ : أوَ مخرجي هم؟! قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي»[1].

وفي حديث رسول الله ﷺ عن فترة الوحي قال: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت: «زملوني» فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها المدثر. قم فأنذر ﴾ إلى قوله: ﴿ والرجز فاهجر ﴾ فحمي الوحي وتتابع[2] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الوحي. باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ جـ ١ ص ١٤، ١٥ حديث ٣. (٢) المرجع السابق ص ١٥ حديث ٤.

فهذه الروايات الصحيحة تبين كيف بدأ الوحي على الرسول ﷺ وتتابع.

قال بعض العلماء: والحكمة في الغطة ثلاث مرات شغله عن الالتفات لشيء آخر، وإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيهاً على ثقل القول الذي سيلقى إليه[1] .

سرية الدعوة أو سرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بعد تتابع الوحي على الرسول ﷺ أخذ يدعو إلى ربه سراً فأخفى أمره وذلك لحكمة يعلمها الله؛ ومنها أن المجتمع عاش فترة طويلة عيشة جاهلية فنقله من هذه الحال إلى حال أخرى فيه صعوبة فلا بد أولاً من تكوين خلية قوية يستعين بها الرسول ﷺ في مقابلة العدوان للدعوة إلى الله تعالى.

فأخذ رسول الله ﷺ يدعو من يثق به ويتوسم به الخير وسلامة الفطرة.

جاء في السيرة الحلبية: لا يخفى أنه ﷺ لما بعث أخفى أمره وجعل يدعو إلى الله سراً واتبعه ناس عامتهم ضعفاء الرجال والنساء[2].

وقد أسلم مع الرسول ﷺ من مختلف فئات المجتمع من الرجال والنساء والصغار ـ ولله في ذلك حكمة ـ وقد أمرهم الرسول ﷺ بكتمان

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٧٦.

(٢) السيرة الحلبية، علي الحلبي جـ ١ ص ٤٣١.

الأمر وعدم إفشائه لأنه لم يؤمر بالجهر بالدعوة.

يقول د. عماد الدين خليل: وقد أمر الرسول ﷺ أتباعه بالتزام الحيطة والحذر والتخفي وعدم الإعلان عن الإسلام إلى أن يقضي الله أمره. فكانوا إذا أرادوا الصلاة خرجوا فرادى إلى الشعاب والبرية يصلون على حذر ولهم عيون ترى القادم لتنبيه المصلين عليه فلا يؤخذون على غرة ويظهر أمرهم للناس(١).

ويقول الشيخ محمد الخضري بك: كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة ـ إلى هذا الدين ـ في بدء أمرها سريّة لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم، فكان يدعو كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه. يعرفهم بحب الحق ويعرفونه بتحري الصدق فأجابه من هؤلاء جمع سماهم التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين وفي مقدمتهم خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وأبو بكر الصديق. ودعا أبو بكر إلى ذلك فأجابه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وغيرهم..(٢).

وقد استمر الرسول ﷺ في الدعوة السرية ثلاث سنوات أسلم خلالها فئة قوية الإيمان تستطيع أن تساهم مع الرسول ﷺ في دعوته.

وهذا الجانب من دعوة الرسول ﷺ يستفيد منه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحرى الوقت المناسب للأمر والنهي فلا يأمر حيث

---

(١) انظر دراسات في السيرة. د. عماد الدين خليل ص ٦٣ مؤسسة الرسالة. دار النفائس طبعة «٣» ١٣٩٨ هـ.

(٢) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية. الشيخ محمد الخضري بك م١جـ١ص ٧١، ٧٢.

يحسن ترك الأمر ولا ينهى حيث يحسن ترك النهي. وإنما يأمر حيث يحسن الأمر وينهى حيث يحسن النهي.

جهره ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بعد مضي ثلاث سنوات من بعثته ﷺ التي قضاها في دعوته السرية أمره ربه أن يعلن الأمر والنهي صراحة وبدون مجاملة وأن يبدأ بالأقربين إليه.

فأنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ [1].

وقوله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ [2].

فبعد نزول هاتين الآيتين جمع الرسول ﷺ أقاربه وأخبرهم أنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد.

ورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

لما نزلت «وأنذر عشيرتك الأقربين» الآية خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه. فقالوا: من هذا ؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال

---

(١) سورة الحجر آية [٩٤].

(٢) سورة الشعراء [٢١٤ - ٢١٦].

أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام. فنزلت: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ (١) (٢) .

وبعد هذا الإنذار ناصبت قريش العداوة للرسول ﷺ فأعلنت الحرب عليه وعلى من تبعه وعلى ما يدعو إليه.

إيذاء الرسول ﷺ بسبب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

واجه الرسول ﷺ ألواناً كثيرة ومتنوعة من الإيذاء فقد أوذي بالقول من سب وسخرية واستهزاء... وأوذي في جسمه ـ صلوات الله وسلامه عليه وعرضه ـ في مكة المكرمة والمدينة المنورة على مستوى الأفراد والجماعات فصبر واحتسب حتى نصره الله على أعدائه.

أولاً: صور من إيذائه على مستوى الأفراد:

١- أمثلة من بعض مواقف أبي جهل من الرسول ﷺ :

أ ـ كان أبو جهل من أشد من عادى رسول الله ﷺ وهو من الذين بادروا رسول الله ﷺ الإيذاء والتكذيب فكان من جرأته وافترائه ينهى رسول الله ﷺ عن الصلاة والدعوة إلى الله.

---

(١) سورة المسد آية [١٠].

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. سورة «تبت يدا أبي لهب وتب» جـ ٣ ص ٣٣٣ حديث ٤٩٧١.

وقد ذكر المؤرخون روايات كثيرة حول هذه القصة تركنا ذكرها اختصاراً ولمزيد من هذه الروايات انظر الطبقات الكبرى. ابن سعد جـ ١ ١٩٩ - ٢٠١.

تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣١٨ - ٣٢٥.

السيرة النبوية ابن هشام جـ٢ ص ٣ - ٨.

الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام السهلي جـ٢ ص ٥ - ٨.

ولقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن هذا الجانب. يقول تعالى:

﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى. إن إلى ربك الرجعى. أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى. أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى. كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة. فليدع ناديه. سندع الزبانية. كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾ [(١)].

ومعظم المفسرين على أن هذه الآيات نزلت في أبي جهل.

قال الفخر الرازي: «أكثر المفسرين على أن المراد من الإنسان هنا إنسان واحد وهو أبو جهل...»[(٢)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأن على رقبته قال: فما فجأهم إلا هو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال: فقيل له: ما لك؟ فقال إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فأنزل الله عز وجل.

«كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» إلى آخر السورة[(٣)] .

---

(١) سورة العلق من [٦ - ٩].

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ ١٦ ص ١٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٧ ص ١٣٩، ١٤٠.

ب ـ تحريض أبي جهل المشركين على أذى الرسول:

ورد عن عبد الله بن مسعود قال: «بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم أو قال قائل منهم[1] ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه. وثبت النبي ﷺ ساجداً فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام ـ وهي جويرية ـ فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: اللهم عليك بقريش اللّهم عليك بقريش اللّهم عليك بقريش ثم سمى: اللّهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد» قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر. ثم قال رسول الله ﷺ وأتبع أصحاب القليب لعنة»[2] .

جـ ـ أبو جهل يشتم الرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم كان واعية: أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن

---

(١) جاء مفسراً في رواية مسلم وهو أبو جهل ـ لعنه الله ـ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الصلاة. باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى. جـ ١ ص ١٨٠ حديث ٥٢٠.

جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة. فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب ﷺ أن أقبل موشحاً قوسه فلما مرّ بالمولاة قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام، وجده ههنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى حتى أقبل على أبي جهل في فناء الكعبة فضربه بقوسه فشجه شجة منكرة، ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردّ ذلك علي إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً»[1].

هذه ثلاث صور فعلها أبو جهل ـ لعنه الله ـ برسول الله ﷺ وهو رسول الله أفضل الأمة بل الأمم بأنبيائها كل ذلك بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومع ذلك صبر واحتسب حتى نصره الله تعالى على قومه وأعدائه معهم.

٢- بعض مواقف الوليد بن المغيرة ضد الرسول ﷺ :

لا تقل مواقف الوليد بن المغيرة عن مواقف أبي جهل ـ لعنهما الله ـ فقد آذى رسول الله ﷺ وأخذ يكذب الرسول بما يوحى إليه من القرآن الكريم ويعتبره سحراً وقول بشر. ولقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن هذا الجانب بقوله ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد. كلا إنه كان لآياتنا عنيداً، سأرهقه

---

(١) سيرة ابن هشام بحاشية الروض الأنف جـ ٢ ص ٣٤.

صعوداً. إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر. ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر. سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر ﴾ (١).

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي. وإن كان الناس خلقوا مثله. وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول ﷺ (٢).

٣- نموذج من أذى أبي لهب وامرأته للرسول ﷺ:

كان أيضاً من أشد من آذى رسول الله ﷺ أبو لهب وامرأته. وهما من المكذبين الضالين المعاندين ولقد عاقبهما الله تعالى عقاباً يتناسب مع أفعالهم فأنزل فيهم سورة صرحت باسميهما وأفعالهما وعقابهما.

يقول تعالى: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾(٣).

هذه صور متعددة من أذى الأفراد للرسول ﷺ بسبب دعوته وأمره ونهيه. ومع ذلك كله فهو صابر ومحتسب.

لذا فليعلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أنه لا بد أن يواجه

---

(١) سورة المدثر من آية [١١] إلى [٣٠].

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ١٠ جـ ١٩ ص ٧١.

(٣) سورة المسد بكاملها. ولمعرفة سبب نزولها انظر فتح الباري كتاب التفسير سورة «تبت يدا أبي لهب وتب» جـ ٣ ص ٣٣٣ حديث ٤٩٧١.

صعوبات في أمره ونهيه وأنواعاً من الإيذاء وأن الوسيلة للتغلب على ذلك والنيل من مرضاة الله تعالى. هو الصبر وعدم التقهقر أو التراجع عن هذا الطريق حيث إنه طريق الأنبياء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ثانياً: صور من إيذاء الرسول ﷺ على مستوى الجماعات:

لقد أجمع الكفار ومن خُتم على قلبه وجُعل على بصره غشاوة على الاستكبار ومعاندة الرسول ﷺ والصد عن دعوته وعدم السماع لها.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن مواقفهم هذه بإسهاب نسوق بعض الآيات القرآنية التي تدل على ذلك.

يقول تعالى: ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين. وإذ قالوا اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ (٢) الآية.

ويقول تعالى حكاية عنهم ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ﴾ (٣) .

ويقول تعالى: ﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ﴾ (٤).

---

(١) سورة الأنفال آية [٣١، ٣٢].

(٢) سورة الحج جزء من الآية [٧٢].

(٣) سورة سبأ جزء من الآية [٣١].

(٤) سورة الزخرف آية [٣٠].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي توضح ما عليه المشركون من الاستكبار والعناد وإيذاء رسول الله ﷺ إذاً فليس بغريب أن يواجه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر صنوفاً من الصدود والإيذاء من أفراد وجماعات. ولكن علاج ذلك هو الصبر وهو الذي تسلح به رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

وهذه من الأمور التي تعرض لها الرسول ﷺ في مكة المكرمة. وسوف نعرف جانباً مما حصل للرسول ﷺ بالمدينة لما هاجر إليها.

هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة:

دعا رسول الله ﷺ قومه بشتى أساليب الترغيب والترهيب وبذل كل غال ورخيص في سبيل هداية قومه ولكن كما ذكرنا من قبل الكثرة الكاثرة صدوا عن دعوته وناصبوه العداء. عند ذلك أذن الله له بالهجرة إلى المدينة المنورة.

ولقد تحدثت كتب التاريخ والسير عن هجرته ﷺ بالتفصيل. وسوف نحاول اختصارها لأنها ليست من صميم بحثنا ويهمنا منها استنباط ما يستفاد منها. فنقول:

لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. بعد هذا الاجتماع تم اتخاذ قرار يقضي بقتل الرسول ﷺ فنزل الوحي فأخبره بمؤامرة قريش.

فأذن الله له بالخروج وذهب الرسول ﷺ لأبي بكر ليخبره بذلك ويضع معه خطة لمراحل الهجرة. وقد طلب أبو بكر من الرسول ﷺ مرافقته في هذه الهجرة فوافق رسول الله ﷺ على ذلك.

وأما قريش فإنها أحاطت بيت رسول الله ﷺ بشبان أقوياء لقتل رسول الله ﷺ فقد قضوا نهارهم للإعداد لتنفيذ الخطة المرسومة والتي اتفق عليها في دار الندوة. وكانوا على ثقة بنجاح مؤامرتهم ـ وما يعلمون أن الله من ورائهم محيط وحافظ رسوله ﷺ .

يقول تعالى في محكم كتابه متحدثاً عن هذا الجانب:

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾(1).

فمع استعداد قريش لتنفيذ خطتهم فقد أخفقوا إخفاقاً فاحشاً. فقد أمر الرسول ﷺ علياً أن يبيت على فراشه ويتغطى ببردته. ثم بعد ذلك خرج رسول الله ﷺ واخترق صفوفهم وحثا على وجوههم التراب. وقد غطى الله على أبصارهم فلا يرونه. فذهب هو وأبو بكر حتى دخلا في غار ثور. ومكثا في الغار ثلاث ليالٍ.

وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما ثم يصبح مع قريش فلا يسمع أمراً يهمهما إلا وعاه حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام. وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وكان يتبع أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفي أثره.

---

(1) سورة الأنفال آية [٣٠].

وقد وصل الباحثون عنه إلى باب الغار، ولكن الله معهم وغالب على أمره. فلقد رفع أبو بكر رأسه فإذا بأقدامهم على باب الغار. فقال يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لأبصرنا فقال الرسول ﷺ : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. ولما خيب الله بحث المشركين، في هذه الأيام فلم يعثروا عليه، جعلوا مبلغاً كبيراً لمن يعثر عليه.

المهم أن الرسول ﷺ واصل هجرته في أمن وأمان وقد خاب كل من حاول الوصول إليه.

وأكرمه الله ببعض المعجزات التي حصلت له أثناء طريقه. وهكذا حتى وصل إلى المدينة المنورة صلوات الله وسلامه عليه(١).

فإذا تأمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هجرة الرسول ﷺ أسبابها ونتائجها فإنه يجد فيها الدروس الكثيرة التي تعينه في أمره ونهيه. ومنها:

١- بذل الجهد في الأمر والنهي في المكان الذي يعيش فيه ما بين أهله وعشيرته وأقربائه وقومه.

٢- الصبر وتحمل الأذى فيما يواجهه منهم من الصدود والعناد وغير ذلك. فإن هذا من طبيعة الأمر والنهي. أو من يأمر وينهى؛ حتى يعذر إلى الله تعالى.

---

(١) انظر الروض الأنف وإلى سيرة ابن هشام حاشية الروض جـ٢ ص ٢٢١ إلى ٢٣٦ والرحيق المختوم. صفي الرحمن المباركفوري ص ١٨٠ - ١٩٤. مختصر سيرة الرسول. الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ص ١٦٦ - ١٧٥. تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٧٣ إلى ٣٩٢. الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٢٢٧، ٢٣٧.

٣- عندما يرى عدم الاستجابة فإنه يحاول البحث عن مكان مناسب يجد فيه من يناصره في أمره ونهيه.

٤- البحث عن أعوان والاتفاق معهم على مناصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- الثقة الكاملة بالله والتوكل عليه بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته ويعز الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

إلى غير ذلك من الدروس العظيمة التي تستفاد من هجرته ﷺ.

صور من الابتلاء للرسول ﷺ في المدينة المنورة:

لما أن هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ووصل إليها واستقر فيها أخذ يجد لوناً من الابتلاء بسبب أمره ونهيه فقد واجه أموراً صعبة لا تقل عما واجهه في مكة، لكن الله أعانه ونصره على أعدائه ومن هذه الصور:

١- ما واجه الرسول ﷺ في أحد:

لما قدم الرسول ﷺ المدينة ضاق المنافقون واليهود بقدوم الرسول ﷺ إليهم. ومنهم أبو عامر الفاسق الذي ذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ﷺ ويحضهم على قتاله ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا إليه، ولكن الله خيب ظنه بأول نداء له حتى قال: لقد أصاب قومي بعدي شراً.

ونذكر هنا بعض الأحاديث التي تبين الابتلاء الذي مر به الرسول ﷺ

ورد عن أنس رضي الله عنه قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد. فقال: كيف يفلح

قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [1] [2].

وعن أبي حازم ﷺ أنه سمع سهل بن سعد وهو يُسأل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دووي قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله، وعليّ يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه[3].

٢- ما واجه الرسول ﷺ في غزوة الأحزاب:

لقد بين الله في كتابه العزيز جانباً لما حصل للرسول ﷺ وأصحابه من الابتلاء والاختبار في غزوة الأحزاب.

يقول تعالى ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ [4].

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية:

إنها صورة الهول الذي روع المدينة والكرب الذي شملها والذي لم ينج

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية [١٢٨].

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المغازي. باب ليس لك من الأمر شيء جـ ٣ ص ١٠٧.

(٣) المرجع السابق باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد حديث ٤٠٧٥.

(٤) سورة الأحزاب آية [٩ - ١١].

منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كل جانب من أعلاها ومن أسفلها فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله وسلوكها في الشدة. وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقاً والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسماً لا تردد فيه..»[1] .

٣- الأذى في العرض:

لقد آذى المنافقون رسول الله ﷺ حتى في عرضه ولكن الله فضحهم شر فضيحة. يقول تعالى: ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ [2] الآيات.

ويقول في موضع آخر: ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً. والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ [3] .

فإذا تأمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هذا العرض السريع المختصر فإنه يتضح له أمور يستفيد منها في أمره ونهيه منها:

١- إن ذهابه من مكان إلى مكان للبحث عن نوعية من الناس تقبل الأمر والنهي فإن ذلك لا يعني حصوله على النتيجة المرجوة بصورة سريعة

---

(١) في ظلال القرآن. سيد قطب م ٥ ص ٢٨٣٧.

(٢) سورة النور آية [١١].

(٣) سورة الأحزاب آية [٥٧، ٥٨].

ودون اختبار وامتحان. فقد يواجه أشد مما واجهه من قبل فلا بد أن يهيئ نفسه لذلك.

٢- إن الآمر بالمعروف قد يبتلى في جسمه فيحصل له ضرب وشج ونحو ذلك. وقد يبتلى في عرضه فينسب إليه ما ليس فيه.

فإذا حصل له شيء من هذا القبيل فليعرف أن من هو أفضل الناس حصل له شيء من ذلك ومع ذلك فقد صبر واحتسب. والمتتبع للواقع فإنه يجد مثل ذلك في كل عصر من العصور وهو أن أعداء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يحاولون أن يشوهوا سمعتهم بأي أمر من الأمور التي تضعف ثقة الناس بهم.

وهذا يطمئن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فلا يوهن ذلك من عزمه في أمره ونهيه فإن الله سبحانه وتعالى سيبين الحق ويبطل الباطل. ولو كره العصاة المجرمون.

٣- قد يبتلى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فيدخل في صفوفهم من ليس منهم بل هدفه مشايعتهم وأخذ أسرارهم والكشف عن خططهم. لذا عليهم أن ينتبهوا إلى كل من ينتمي إليهم فلا يدخلوا فيهم إلا من يثقون بصلاحه وتقاه. إلى غير ذلك من الدروس. وبالجملة فإن من تتبع سيرة الرسول ﷺ وأخذ منها واستفاد من دروسها فإنها بلا شك سوف تقوده إلى النجاح والحصول على نتائج طيبة في الدنيا والآخرة.

فعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يجعلوا سيرة الرسول ﷺ دائماً نصب أعينهم لأنها نور تضيء الطريق لهم.

والله المستعان.

الفصل الثاني

نماذج من الصحابة في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر

لا شك أن لصحابة رسول الله ﷺ مكانة كبيرة حيث إنهم صحبوا رسول الله ﷺ وناصروه فلهم فضل على سائر الأمة ومهما تحدثنا عنهم فلن نوفيهم حقوقهم. وسوف نأخذ نموذجين فقط يبينان جانباً مما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ .

النموذج الأول

أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ ومن العشرة المبشرين بالجنة. وله دور كبير في إحقاق الحق وإبطال الباطل

نسبه واسمه ولقبه:

أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ : عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، يلتقي مع الرسول ﷺ في مرّة[1] .

قال السيوطي: قال النووي في تهذيبه: وما ذكرناه من أن اسم أبي بكر «الصديق» عبد الله هو الصحيح المشهور. وقيل: اسمه عتيق والصواب الذي عليه كافة العلماء أن عتيقاً لقب له لا اسم. ولقب عتيقاً لعتقه من النار. وقيل: لعتاقة وجهه. وقيل: لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به[2].

---

(١) انظر الطبقات الكبرى. ابن سعد جـ ٣ ص ١٦٩، ١٧٠.

تاريخ الخلفاء. السيوطي ص ٣١. إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء. محمد بك.

(٢) انظر الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٦٩، ١٧٠، تاريخ الخلفاء ٣١.

سبب تسميته بالصديق:

ورد في الطبقات الكبرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أبو بكر سميتموه الصديق وأصبتم اسمه[1] .

وقال السيوطي: وأما الصديق فقيل: كان يلقب في الجاهلية لما عرف منه من الصدق، وقيل لمبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ فيما كان يخبر به. ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاء المشركون إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: لقد صدق، إني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة. فلذلك سمي الصديق[2] .

إسلامه:

يعتبر أبو بكر الصديق من السابقين للإسلام بل هو من أولهم.

ورد عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أسلم أبي أول المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا هو يدين الدين[3] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر الخلاف فيمن أول من أسلم. أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، والنساء خديجة ومن الموالي زيد ابن حارثة، ومن الغلمان علي بن أبي طالب[4] . وكان سبب إسلامه رضي الله عنه

---

(١) الطبقات الكبرى ابن سعد جـ ٣ ص ١٧٠.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٣، ٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ ص ١٧٢.

(٤) البداية والنهاية م ٢ جـ٣ ص ٢٦.

دعوة الرسول ﷺ له.

ذكر أصحاب السير عن ابن إسحاق أنه قال: إن أبا بكر رضي الله عنه لقي رسول الله ﷺ فقال أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا فقال رسول الله ﷺ بلى، إني رسول الله ونبيه، يعني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه لحق. أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر. فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد. ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق. وقال أيضاً حدثني محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم[1] حين ذكرته ولا تردد فيه»[2] .

وقد أنكر العلماء على ابن إسحاق قوله «فلم يقر ولم ينكر» والرواية الثانية ترد عليه.

قال ابن كثير: وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله «فلم يقر ولم ينكر» منكر فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه صاحب رسول الله ﷺ من قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله. ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم[3] .

---

(١) عكم أي تلبث.

(٢) حياة الصحابة جـ ١ ص ٨٤.

(٣) البداية والنهاية م ١ جـ ٣ ص ٢٧.

فضل أبي بكر الصديق:

كان لأبي بكر فضل كبير فهو أول من أجاب الدعوة من الرجال من غير تردد، وقام بعدها بدعوة الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فأسلم على يديه رجال كثير منهم عثمان بن عفان ﵁ والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وغيرهم وأعتق كثيراً من العبيد الذي أسلموا. وحاز شرف الصحبة. ولم يفارق رسول الله ﷺ لا حضراً ولا سفراً إلا فيما أذن له الرسول ﷺ في الخروج فيه. وشهد المشاهد كلها.

ولقد نزل في فضله آيات تتلى إلى يوم القيامة. وأحاديث عن الرسول ﷺ في فضله. ما يجعلنا نقطع بأنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ .

يقول تعالى: ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا.. ﴾ [١] . قال القرطبي: هو الصديق. ويقول أيضاً: ومن أنكر أن يكون أبو بكر ﵁ صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر[٢] .

والمفسرون مجمعون على أن المراد بصاحبه أبو بكر الصديق بل الأمة كلها على ذلك.

ويقول تعالى ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ [٣].

قال القرطبي: اختلف في الذي جاء بالصدق وصدق به. فقال علي ﵁

---

(١) سورة التوبة جزء من الآية [٤٠].

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٤ جـ ٨ ص ١٤٦.

(٣) سورة الزمر آية [٣٣].

الذي جاء بالصدق النبي ﷺ وصدق به أبو بكر الصديق[1] .

ثم ذكر الأقوال الأخرى.

ويقول تعالى: ﴿ وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ [2] قال الفخر الرازي: أجمع المفسرون على أن المراد منه أبو بكر رضي الله عنه [3] .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي» وفي رواية ولكن أخوة الإسلام[4] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي ﷺ : أما صاحبكم فقد غامر[5] فسلم. وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك فقال «يغفر الله لك يا أبا بكر «ثلاثاً» ثم إن عمر ندم. فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ٨ جـ ١٥ ص ٢٥٦.

(٢) سورة الليل الآيات من [١٧] إلى [٢١].

(٣) تفسير الفخر الرازي م ١٦ جـ ٣١ ص ٢٠٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ جـ ٣ ص ٨ حديث ٣٦٥٦، ٣٦٥٧.

(٥) أي دخل في غمرة الخصومة.

والله أنا كنت أظلم «مرتين» فقال النبي ﷺ «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي «مرتين» فما أوذي بعدها»[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب - يعني الجنة - يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان. فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر[2] .

فهذه الأحاديث - والذي لم نذكره أكثر - تبين فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلو منزلته من حين أسلم وإلى أن توفاه الله.

والذي يتأمل في هذه الأحاديث يعرف بحق ما تحلى به هذا الصحابي الجليل من الوقوف مع الرسول ﷺ في كل حين وفي كل أمر ويعرف كيف بذل نفسه وماله وجهده ووقته في خدمة الإسلام والمسلمين.

فما أحوج الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلى الاستفادة من هذه النماذج والاقتداء بها.

---

(١) المرجع السابق حديث ٣٦٦١.

(٢) المرجع السابق رقم ٣٦٦٦.

نماذج من إنكاره للمنكر:

١- .. تجمع من أعيان قريش في الحرم حول رسول الله ﷺ وتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال: ويلكم ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ (١) (٢) فكفوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر يضربونه قالت بنته: فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا أجابه ـ أي سقط شعر رأسه من شدة جذبهم له ـ وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام. وجاء أنهم جذبوا رأسه ولحيته فقام أبو بكر دونه وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ دعهم يا أبا بكر فوالذي نفسي بيده إني بعثت إليهم بالذبح ففرجوا عنه صلوات الله وسلامه عليه(٣).

فواضح من هذه الحادثة إنكاره رضي الله عنه على المشركين فعلهم بالرسول ﷺ.

٢- عرض الصديق رضي الله عنه على رسول الله ﷺ الخروج من دار الأرقم إلى الحرم للصلاة فقام في الناس خطيباً وداعياً إلى الله ورسوله. ورسول الله قاعد ـ وهو أول داع إلى الله تعالى ـ وثار المشركون على أبي بكر

---

(١) سورة غافر جزء من الآية [٢٨].

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب فضائل الصحابة. باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ جـ ٣ ص ١٤ حديث ٣٦٧٨.

(٣) انظر السيرة الحلبية جـ ١ ص ٤٧٣، ٤٧٤.

حياة الصحابة جـ١ ص ٣٩٢.

وعلى الرسول يضربونهم ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر بالأرجل وضرب ضرباً شديداً، وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين ـ أي مطبقتين ـ ويحرفهما إلى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملوه في ثوب إلى أن أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعوا ودخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة.

ثم رجعوا إلى أبي بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى إذا كان آخر النهار تكلم وماذا كان أول كلامه؟ سأل أمه: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فعذلوه فصار يكرر ذلك. فقالت أمه متضايقة: والله مالي علم بصاحبك، فلم يمهلها ﵁ وألح عليها أن تذهب إلى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ﵁ وقد أسلمت وأخفت إسلامها. فسألتها عن رسول الله ﷺ فأجابتها بأنها لا تعرف محمداً ولا أبا بكر. ولكنها قالت لها تريدين أن أخرج معك؟ قالت: نعم فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعاً فصاحت مستنكرة وإن من فعل به هذا لأهل فسق وكفر وإني لأرجو الله أن ينتقم منهم فسألها الصديق عن رسول الله ﷺ فأشارت إلى أمه وسماعها للحديث فطمأنها بأنها لا تفشي سرها. قالت عن رسول الله ﷺ سالم صالح. فقال أين هو؟ فقالت: في دار الأرقم بن الأرقم.

فقال والله لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ قالت أمه: فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس فخرجت به وهو متكئ على أمه حتى دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة. وأكب عليه يقبله وصنع المسلمون صنيع رسول الله ﷺ فأخذوا يقبلونه فتكلم أبو

بكر ﷺ وقال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي!! وهذه أمي برّة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك. فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت[1] .

فيستفاد من هذه الحادثة الأمور التالية:

١- طلبه من الرسول ﷺ إظهار المعروف للناس فلعلهم يهتدون بسبب ذلك.

٢- قيامه خطيباً ومبيناً المعروف الذي يجب اتباعه والمنكر الذي يجب الابتعاد عنه.

٣- تحمله ما حصل بسبب أمره ونهيه من الأذى والصبر على ذلك.

٤- إن همه الأكبر الاطمئنان على الرسول فهو مصاب إصابة عظيمة ولم يشغله ذلك عن السؤال عن الرسول ﷺ حتى قابله.

٥- بذل الأسباب في هداية الناس. حيث طلب من الرسول ﷺ أن يدعو لأمه.

إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة التي يستفيد منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. والله المستعان.

٣- إنكاره على المرتدين وقتالهم:

إن من أعظم المنكرات التي قاومها أبو بكر الصديق ﷺ وحاربها ووقف في وجهها وصمد أمامها. مقاومته للردة وقتال المرتدين.

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٤٧٥، ٤٧٦.
حياة الصحابة جـ ص ٣٩٣، ٣٩٤.

ذلك أنه بعد وفاة النبي ﷺ أصيب المسلمون بمصيبة عظمى لا يعلم مدى حجمها إلا الله.

ولكن لطف الله ورحمته بهذه الأمة أن قيض لها من يقوم برد الناس إلى الصراط المستقيم.

فبعد وفاة النبي ﷺ ارتد معظم العرب ولم يبق على الدين الصحيح إلا القليل.

وقد انقسم المرتدون إلى قسمين:

فمنهم التارك للدين بالمرة وهم بنو طيء وأسد ومن تبعهم من غطفان الذين اتبعوا طليحة بن خويلد الأسدي وبنو حنيفة الذين اتبعوا مسيلمة وأهل اليمن الذين اتبعوا الأسود العنسي وغيرهم.

ومنهم المعطل للزكاة وهم بعض بني تميم يرأسهم مالك بن نويرة وبنو هوازن وغيرهم.

فعزم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على قتال الجميع رغم أن بعض الصحابة خالفه ورأى غير رأيه. مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال لأبي بكر كيف تقاتل الناس. وقد قال رسول الله ﷺ :

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله»[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠٦/٣، ومسلم ٣٨/١ وأخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وأحمد في المسند.

قال أبو بكر: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً[1] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها[2] قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق»[3] .

فشمر أبو بكر رضي الله عنه عن ساعد الجد غير مبال بما أمامه من كثرة العدو بعدده وعدته مع قلة المسلمين وعدتهم، ولكن معه الثقة بالله تعالى بأنه سينصره.

وقد عقد أحد عشر لواءً على كل لواء قائد من القواد الأفاضل، وأمر كل واحد أن يتجه إلى جهة معينة لقتال أولئك.

وقد كتب: كتاباً كتاب للأمراء وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره، وأمره بالجهد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرّوا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن

---

(١) عقالا: العقال: الرباط الذي يعقل به. وجمعه عُقُل. لسان العرب جـ٤ /٣٠٤٧ مادة عقل.

(٢، ٣) رواهما البخاري في الجامع الصحيح.كتاب الزكاة.باب أخذ العناق في الصدقة جـ ١ ص ٤٥٠ حديث ١٤٥٦، ١٤٥٧.

أجاب إلى أمر الله وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله. فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استيسر به، ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مرغمه لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلى الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ومن قاتله فإن أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله إلا الخمس فإنه يبلغنا به ويمنع اصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم وأن يقتصد بالمسلمين ويوثق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول»[1] .

ثم كتب كتاباً آخر للمرتدين قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم» من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله وأومن بما جاء به «أما بعد» :

فإن الله أرسل محمداً ﷺ بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً «لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين» يهدي الله للحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بأنه من

---

(١) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص ٣٦.

أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرها ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين ذلك لأهله فقال: ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ (١)وقال: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ (٢)وقال للمؤمنين: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ (٣) . فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه. وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وأن تهتدوا بهديه وأن تعتصموا بدين الله عز وجل، فإن لم يهده الله ضل وكل من لم يعرفه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول، فمن هداه الله كان مهدياً، ومن أضله كان ضالاً ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ (٤) ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله عز وجل وجهالة لأمره وإجابة للشيطان وقال جل ثناؤه ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾ (٥).

---

(١) سورة الزمر الآية [٣٠].

(٢) سورة الأنبياء الآية [٣٤].

(٣) سورة آل عمران الآية [١٤٤].

(٤) سورة الكهف آية [١٧].

(٥) سورة الكهف آية [٥٠].

وقال جل ذكره: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [1] وإني قد أنفذت لكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى يقاتله على ذلك ولا يبقي على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة، ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الآذان فإن أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فاسألوهم بما عليهم فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا اقبلوا منهم وحملهم على ما ينبغي لهم[2] وسير هذا الكتاب من قبل مسير الأمراء ثم خرجت الأمراء معهم العهود كل إلى وجهته والله ناصره.

وفي كتابي أبي بكر الصديق للأفراد والمرتدين من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيء الكثير. فقد جمع فيهما بين الترغيب والترهيب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيضاح الحق والدلالة عليه، والدعوة إلى الله والحذر من معصيته، وبين العدل والإنصاف وعدم الجور والإجحاف، والتذكير والتبشير والإنذار والتشجيع على الخير وتيسير طريقه، والحذر من الشر وسوء عاقبته. وفي ذلك كله إخلاص النية لله تعالى في الأمر والنهي والنصح في تنفيذ ما في الخطابين. وغير ذلك من

---

(١) سورة فاطر آية [٦].

(٢) البداية والنهاية م ٣ جـ ٦ ص ٣١٥، ٣١٦ باختصار.

الفوائد العظيمة والتي لا يستغني عنها بحال الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. بدليل توفيق الله تعالى لأبي بكر حيث قال وفعل ونفذ قواده ما قال وما أمر بفعله، فكانت نتيجة ذلك أن أقر الله عين أبي بكر والمسلمين بانتصار المسلمين ورد كيد الخائنين في نحورهم، ورد من شاء إلى الإسلام بعد ردتهم عنه. وما ذاك إلا بفضل الله تعالى ثم فضل أبي بكر الذي أخلص دينه لله واتبع سنة نبيه ﷺ ونفذ وصيته وما أمر به قبل موته.

وأي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر يصاحبه الإخلاص، فإن صاحِبَه لا بد له أن ينتصر إن عاجلاً أو آجلاً في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معا.

والله المستعان.

وفاة الصديق رضي الله عنه :

استمر ـ رحمه الله ـ طيلة خلافته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في سبيل الله ويدعو إليه. حتى إذا أحس بمرض الموت جمع كبار الصحابة فاستشارهم في العهد لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فكلهم قال خيراً. فدعا عثمان بن عفان وأملى عليه كتاباً ضمنه كل خير وحذر فيه من كل شر فقال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة..

إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيراً فإن صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت. لكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ثم أمر بالعهد فقرأ على المسلمين وقد أطل عليهم فقال لهم:

أترضون من استخلف عليكم؟

فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا.

فإني والله ما ألوت من جهد الرأي.

فقالوا سمعنا وأطعنا.

ثم نادى عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ يا عمر إن لله حقاً بالليل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله في الليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة. ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون ثقيلاً. ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا باطل أن يكون خفيفاً...»[1] إلى آخر كلامه مع عمر رضي الله عنه وكل كلامه ووصيته له بالقيام بالمعروف والنهي عن المنكر والحق والعدل والرفق بالرعية.

وقد توفي ـ رحمه الله ـ لسبع خَلَوْن من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

والله المستعان.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير جـ ٢ ص ٢٩٢ دار الكتاب العربي.

النموذج الثاني

عن الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

والحديث عن عمر بن الخطاب بل عن بعض جوانبه يطول وشخصيته رضي الله عنه أشهر من أن تعرف في سطور فهو أشهر من ذلك.

وحسبه في ذلك أنه إذا أطلق اسم عمر فلا ينصرف هذا المسمى إلا إليه. وإذا تحدث الناس عن الشجاعة والعدالة والزهد والورع والكرم فإنهم لابد أن يستشهدوا بعمر رضي الله عنه .

نسبه ومولده:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان، ويجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي[1] .

مولده: كان عمر رضي الله عنه يقول ولدت قبل الفجار الأعظم بأربع سنين[2] وكان الفجار الأعظم قبل المبعث بست وعشرين سنة وكانت سن الرسول صلى الله عليه وسلم أربع عشرة فكان مولده قبل المبعث بثلاثين سنة[3] .

نشأته: نشأ رضي الله عنه في مكة المكرمة وتعلم القراءة والكتابة

---

(١) الكامل في التاريخ. ابن الأثير. جـ ٣ ص ٢٨.
الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ ص ٢٦٥.

(٢) تاريخ عمر للطنطاويين ص ١٧.

(٣) المرجع السابق.

وحذق في شبابه وتعلم أنواعاً من الرياضة البدنية كالمصارعة وركوب الخيل والفروسية. وكان جيد البيان محباً لتذوق الشعر ورواياته. وقد اختارته قريش في سفارتها إلى القبائل. وكان محبوباً في قريش مهيباً عند العرب. فكانت إذا وقعت حروب بين قريش والعرب أو أمر يستوجب التفاوض بعثوه سفيراً لهم؛ لأنهم كانوا يعلمون مدى رجولته وشهامته ومهابته وصلابته إذا دعا داعي الجد[1] رضي الله عنه وأرضاه[1] .

إسلام عمر رضي الله عنه :

يروى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج عمر متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال عمر: ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذي أنت عليه. قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن أختك وختنك قد صبأا وتركا دينك الذي أنت عليه. فمشى عمر حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت في مخدع[2] لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما. فلما دخل قال ما هذه الهينمة[3] التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً قال: بلى والله لقد

---

(١) من فضائل العشرة المبشرين بالجنة. محمد سعيد الطنطاوي ص ٦٢. مطابع الأهرام بالقاهرة سنة ١٣٩٦هـ.

(٢) المخدع بضم الميم وفتحها. البيت يكون في جوف البيت.

(٣) الهينمة: الصوت الخفي. القاموس المحيط فصل الهاء، باب الميم.

أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها. فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله. فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى، وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفاً أنظر هذا الذي جاء به محمد ـ وكان عمر كاتباً ـ فلما قال ذلك. قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال لا تخافي وحلف بآلهته ليردنّها إذا قرأها إليها. فلما قال ذلك طمعت في إسلامه. فقالت له يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام واغتسل فأعطته الصحيفة وفيها ـ «طه» ـ فقرأها فلما قرأ منها صدراً قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه. فإني سمعته أمس وهو يقول «اللّهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب»[1] فالله الله يا عمر. فقال له عمر عند ذلك: فدلني على محمد حتى آتيه فأسلم. فقال خباب: هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه. فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلال الباب فرآه متوشحاً سيفه فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع. فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف فقال حمزة: فائذن له. فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ ائذن له، فأذن له الرجل. ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه وجبذه جبذة شديدة وقال:

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب المناقب جـ ٥ ص ٢٨٠ حديث ٣٧٦٦.

«ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة» فقال عمر: يا رسول الله. جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عز في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم[1] .

وجاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال بعدما أسلم: ألسنا على الحق يا رسول الله إن متنا وإن حيينا قال: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم» قال: ففيم الاختفاء...[2] .

وهذه العبارات التي صدرت من عمر رضي الله عنه في أول إسلامه تدل على مصداق دعوة الرسول ﷺ من أن الله سيعز هذا الدين بهذا الرجل من جهة. ومن جهة أخرى تدل على قوته وشجاعته رضي الله عنه .

فضل عمر رضي الله عنه :

جاء في حلية الأولياء: وثاني القوم عمر الفاروق ذو المقام الثابت المأمون، أعلن الله به دعوة الصادق المصدوق، وفرق به بين الفصل والهزل، وأيد بما قواه به من لوامع الطول. ومهد له من منائح الفضل شواهد

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ ص ٢٦٧ إلى ٢٦٩.
الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٩٨ إلى ١٠٠.
وقد أورد أبو نعيم قريباً من هذه الرواية في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء م ١ جـ ١ ص ٤٠، ٤١.

(٢) المرجع السابق.

التوحيد، وبدد به مواد التنديد فظهرت الدعوة ورسخت الكلمة فجمع اللّه تعالى بما منحه من الصولة، ما نشأت لهم من الدولة فعلت بالتوحيد أصواتهم بعد تخافت، وتثبتوا في أحوالهم بعد تهافت، غلب كيد المشركين بما ألزم قلبه من حق اليقين لا يلتفت إلى كثرتهم وتواطيهم، ولا يكترث لممانعتهم وتعاطيهم اتكالاً على من هو منشئهم وكافيهم، واستنصاراً بمن هو قاصمهم وشانيهم. محتملاً لما احتمل الرسول، ومصطبراً على المكاره لما يؤمل من الوصول، ومفارقاً لمن اختار التنعم والترفيه. المخصوص[1] من بين الصحابة بالمعارضة للمبطلين والموافقة لأحكام رب العالمين، السكينة تنطق على لسانه والحق يجري لحكمة عن بيانه..»[2].

هذا قليل مما قاله العلماء في عمر وهو يستحق أكثر من ذلك.

والدليل على فضله ومكانته ما ورد فيه من أحاديث صحيحة تبين مال لعمر ﵁ عند اللّه تعالى في الدنيا والآخرة منها:

١- ما ورد عن أبي هريرة ﵁ قال: بينما نحن عند رسول اللّه ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر. فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول اللّه؟»[3] .

٢- وفي رواية أخرى قال رسول اللّه ﷺ : بينا أنا نائم شربت ـ يعني

(١) لو قال المشهور لكان أصوب.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم م ١ جـ ١ ص ٣٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب عمر جـ ٣ ص ١٤ حديث ٣٦٨٠.

اللبن ـ حتى أنظر إلى الري[1] يجري في ظفري ـ أو أظفاري ـ ثم ناولت عمر، قالوا فما أولته يا رسول الله، قال: العلم»[2] .

٣- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين»[3] .

هذه بعض النصوص الصحيحة التي تبين فضل عمر وعظيم مكانته. رضي الله عنه وأرضاه.

أثر إسلام عمر على المسلمين:

كان لإسلام عمر أثر كبير على المسلمين حيث إنهم من قبل إسلامه يشتكون من قلة الأعوان ويشتكون من أذى المشركين. حتى أنهم كانوا لا يستطيعون أداء العبادات إلا في خفية وعلى خوف.

أما بعد إسلام عمر ﷺ فقد قل أذى المشركين لهم وأصبحوا يؤدون شعائرهم علناً.

ورد عن ابن مسعود ﷺ قال: كان إسلام عمر فتحاً وهجرته نصراً وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا[4] .

---

(١) المرجع السابق حديث ٣٦٨١.

(٢) المرجع السابق حديث ٣٦٩١.

(٣) وللمزيد من الأحاديث في فضل عمر انظر الصفحة ١٤ إلى ١٨ المرجع السابق.

(٤) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٦٤.

ويقول حذيفة ﷺ: «لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً»[1] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[2] .

هذه بعض الآثار ـ التي تدل على أن لإسلام عمر ـ ﷺ أثراً كبيراً في مناصرة الإسلام والمسلمين.

فرحم الله عمر ومن سلك مسلك عمر.

وهذا يعني أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عليهم أن يضموا إلى صفوفهم الرجال الأقوياء الأذكياء الذين يستعان بهم بعد الله تعالى في الأمر والنهي.

جهره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «في مكة المكرمة»:

كانت الدعوة إلى الله تعالى في أول الأمر سرية حتى أمر الرسول ﷺ أن يجهر بها. فلما جهر بالدعوة إلى الله واجه المعارضة الشديدة من المشركين. لذا يندر من كان من الصحابة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ولكن عمر ﷺ لما أسلم طلب من الرسول ﷺ أن يظهروا الأمر والنهي ولا يخافوا من المشركين مهما كان الأمر.

فكان من أول ما قاله: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن

---

(١) تاريخ الخلفاء. السيوطي ص ١١٥ تحقيق محمد محيي الدين الطبعة الثالثة مطابع المدني بمصر ١٣٨٣هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب عمر جـ ٣ ص ١٥ حديث ٣٦٨٤.

حيينا. فقال ﷺ إنكم على الحق إن متم وإن حييتم» قال: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن. فأذن بالإعلان وخرج ﷺ مع أصحابه في صفين، عمر في أحدهما، وحمزة في الآخر ولهم كديد ككديد[1] الطحين حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق[2] .

فهذه الصور وأمثالها تبين ما كان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من إظهاره للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل الأذى في ذلك.

هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لما ضايقت قريش المسلمين وآذتهم أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة. فكان الصحابة رضي الله عنهم يهاجرون خفية خوفاً من أن تمنعهم قريش.

لكن لعمر بن الخطاب موقفاً فريداً خالف غيره من الصحابة فقد أعلن هجرته وهاجر على مرأى من قريش ولم يخف من إرهاب قريش ولا تهديدهم.

ورد عن علي بن أبي طالب قال: ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا متخفياً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهماً واختصر عنزته ومضى قِبَلَ الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ثم أتى المقام فصلى متمكناً ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي فلم يتبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم

(١) الكديد التراب الناعم.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم م ١ جـ ١ ص ٤٠.

وأرشدهم ومضى لوجهه»[1] .

فهذه الرواية تبين قوة عمر ﷺ وتحديه لقوة الطغيان. فلم يجرؤ عليه أحد من شياطين الإنس والجن. ولعل هذا فيه مصداق لقول الرسول ﷺ فيه في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص وفيه «... إيهاً يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»[2] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها، ولا يمنع من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته. وقال أيضاً: وهذا يدل على صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض.

ونقل عن النووي قوله: «وهذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه»[3] .

فقوي الإيمان لا يخاف أي قوة في الأرض لا شيطانية ولا إنسانية. فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقوي إيمانه بكثرة اتصاله بالله تعالى. لكي يستعين به على أعدائه من شياطين الجن والإنس. والله المستعان.

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة. ابن الأثير جـ٤ ص ٥٨. وقد ساق ابن الأثير هذه الرواية بسنده.

(٢) رواه البخاري. في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب عمر بن الخطاب جـ ٣ ص ١٤ حديث ٣٦٨٣.

(٣) فتح الباري. شرح صحيح البخاري جـ ٧ ص ٤٧.

إنكاره للمنكر في المدينة المنورة:

كان لعمر بن الخطاب ﷺ أثر كبير في إنكار المنكر في المدينة. وكان كثيراً ما يجرد سيفه على أعداء الله أو الذين يقعون في منكرات كبيرة، إلا أن الرسول ﷺ يمنعه من ذلك. ولكن شدته تلك اتجاه الباطل، وأما في جانب الحق فهو سهل هين قريب.

روي أنه مر على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام فقال ما شأن هؤلاء؟ فقيل له أقيموا في الشمس في الجزية فأنكر ذلك ودخل على أميرهم وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من عذب الناس عذبه الله» وروى أنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل وهو شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه. وقال من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي. قال فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال أسأل الجزية والحاجة. قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال له: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم»[1] .

فهذه الصورة توضح لنا لين عمر ﷺ بجانب الحق وأما إذا رأى أن هذا منكر فإنه يقف أمامه موقف الجد.

ورد عن عمر أنه نهى أبا موسى أن يستخدم نصرانياً. وقال له أبو موسى: له دينه ولي كتابته فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله ولا تكرموهم وقد أهانهم الله ولا تأمنوهم وقد خونهم الله. وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا[2] .

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٤٩. (٢) الرياض النضرة. الطبري جـ ٢ ص ٣٧.

هذا موقفه مع أهل الكتاب.

وأما موقفه مع المنافقين :

فإننا نرى عمر رضي الله عنه في كل حادثة من الحوادث والتي يكون من ورائها المنافقون فإنه يجرد سيفه ويستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما أنه يجرد سيفه حتى على المسلم الذي قد يفعل أموراً كبيرة فيها ضرر للمسلمين. كما استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل حاطب بن أبي بلتعة حينما أخبر بخطة الرسول صلى الله عليه وسلم في فتح مكة[1] ويظهر جلياً موقفه من المنافقين قصته في الصلاة على عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول.

ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه. فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتُ إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا ؟ قال: أعدد عليه قوله. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «أخر عني يا عمر » فلما أكثرت عليه قال: إني خيرت فاخترت، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها. قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة

﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ـ إلى قوله ـ وهم فاسقون ﴾ .

---

(١) انظر زاد المعاد. ابن القيم م ١ جـ ٢ ص ١٦٢.

قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم»[1] .

فهذا الموقف من عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبين شدته وقوة إنكاره على المنافقين.

يرد عن حذيفة رضي الله عنه قال: والله ما أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر[2] .

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يقوم بحقهما تماماً ما لم يكن من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

ولقد كان عمر رضي الله عنه ينكر على من يأمره بفعل الأمور المباحة.

قال عكرمة بن خالد: إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر فقالوا: لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق قال: أكلكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم. قال: قد علمت نصحكم، ولكني تركت صاحبي على جادة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل»[3] .

هذا قليل من كثير عن عمر رضي الله عنه فهلا سلك الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر طريق عمر.

* * *

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» جـ ٣ ص ٢٣٨ حديث ٤٦٧١.

(٢) تاريخ الخلفاء. السيوطي ص ١٣٣. مطابع معتوق إخوان. بيروت.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٢.

الفصل الثالث

نماذج من السلف الصالح في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر

١- عمر بن حبيب[١] وإنكاره على هارون الرشيد[٢] :

ذكر البغدادي بسنده عن عمر بن حبيب القاضي قال: حضرت مجلس الرشيد يوماً فجرت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الأصوات فيها. فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعض الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: أبو هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم. فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ فنظر إليَّ الرشيد نظر مغضب، وانصرفت إلى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن. فقلت: اللّهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه. وأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسراً ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه

---

(١) عمر بن حبيب العدوي البصري القاضي. حدث عن حميد الطويل وخالد الحداد وهشام بن عروة وغيرهم. ولي القضاء في البصرة وفي الجانب الشرقي من بغداد للمأمون. ويقال إن الرشيد أراد قتله لأنه رد عليه خطأ فرد الله عنه مات سنة ٢٠٧هـ. (التاريخ الكبير ١٤٨/٦ وأخبار القضاة وسير الأعلام ٤٩٠/٩.

(٢) هارون الرشيد بن محمد بن المنصور العباسي. خامس خلفاء الدولة العباسية، وكان عالماً بالأدب والحديث والفقه. بويع بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي سنة ١٧٠هـ بعهد من أخيه سير الأعلام ٢٧٦/٩. تاريخ الخلفاء ٣٠٧، ٣٠٨ والبداية والنهاية ٢١٣/١٠ مكتبة المعارف بيروت.

النطع، فلما بصر بي قال: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد بمثل ما تلقيتني به وتجرأت عليَّ. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته ودافعت عنه وملت إليه، وجادلت عنه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، فإنه إذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين؛ فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة. فالله الله أمير المؤمنين أن تظن ذلك، أو تصغي إليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ من الناس كلهم. فلما سمع كلامي رجع إلى نفسه. ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله، أحييتني أحياك الله، أحييتني أحياك الله[1] .

فقد أنكر عمر بن حبيب على الخليفة وبرر إنكاره بأسلوب قوي جعله يدخل الحق إلى قلبه وينكر المنكر في الوقت ويأمن عليها من الله أولاً ثم من الخليفة ثانياً.

والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر محتاجون إلى مثل هذا الأسلوب.

٢- أبو حازم[2] يقول كلمة الحق أمام سليمان بن عبد الملك[3] :

---

(١) تاريخ بغداد. أحمد البغدادي ١٩٧/١١. المكتبة السلفية. المدينة المنورة.

(٢) سلمة بن دينار شيخ المدينة وكان واعظاً زاهداً. وهو مولى بني ليث. ولد في أيام الزبير وابن عمر ومات في خلافة أبي جعفر سنة ١٤٠ هـ.

الأعلام ٩٦/٦ وتذكرة الحفاظ ١/٣٣.

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٩٦هـ . ويتميز بالعقل والفصاحة، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر. وولد بالمدينة سنة ٥٤ هـ ونشأ بالشام وتوفي سنة ٩٩ هـ.

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وهو يريد مكة. فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل قال له سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فأجابه بكل صدق وصراحة قائلاً لأنكم خرّبتّم آخرتكم وعمّرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال سليمان: كيف القدوم على الله؟

قال: يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

ثم بكى وقال: ليت شعري ما لي عند الله؟

قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ﴾ [١] .

وأخذ سليمان يسأل وأبو حازم يجيب... إلى أن قال: ما تقولون فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفيني؟ قال: لا بد فإنها نصيحة تلقيها إليَّ.

قال أبو حازم: إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا منهم قتلة عظيمة وقد ارتحلوا. قال رجل من الحاضرين لأبي حازم: بئسما قلت.

قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. ثم سأل سليمان أبا حازم: وكيف لنا أن نصلح الفساد؟ فأجابه: أن تأخذه من حله فتضعه في حقه. قال سليمان: ومن يقدر على ذلك؟ فأجابه: من يطلب الجنة ويخاف النار[٢] .

---

(١) سورة الانفطار آية [١٣].

(٢) حاشية الإحياء ٢/١٣٠ بتصرف.

ودخل يوماً أبو حازم على أمير المدينة فقال له تكلم قال له: انظر الناس ببابك إن أدنيت أهل الخير ذهب أهل الشر، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير[1] .

ولما دخل على أحد الأمراء ووجد عنده مجموعة من العلماء. قال: إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شر العلماء من أحب الأمراء»[2] .

٣- كلمة الحق عند السلطان الجائر:

وتتضح هذه الصورة مع الموقف العظيم الذي وقفه العالم الجليل سعيد بن جبير[3] مع الحجاج[4] .

جيء بسعيد بن جبير فأدخل إلى مجلس الحجاج، ونظر رجل من الحاضرين إلى سعيد فبكى. فقال له سعيد: ما يبكيك قال: لما أصابك قال

---

(١) سير أعلام النبلاء. الذهبي جـ ٦ ص ١٠٠.

(٢) المرجع السابق جـ٦ ص ١٠١.

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي من كبار التابعين. أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر وثار مع ابن الأشعث ضد الحجاج فلما قتل ابن الأشعث ذهب سعيد إلى مكة فقبض عليه فيها وأرسل إلى الحجاج فقتله شر قتلة في واسط سنة ٩٥هـ.

(٤) الحجاج بن يوسف بن عقيل الثقفي. تولى إمرة العراق والمشرق كله مدة عشرين سنة وله فتوحات كثيرة وصلت إلى بلاد الهند والسند وإلى قريب من بلاد الصين. حاصر ابن الزبير بالكعبة ورماها بالمنجنيق وأذل أهل الحرمين. قال عنه الإمام الذهبي: كان ظلوماً جباراً ناصبياً خبيثاً سفاكاً للدماء ونعته بقوله: وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه أمره إلى الله وله توحيد بالجملة توفي ٩٥هـ.

الأعلام ٣٤٣/٤ ولسان الميزان ١٨٠/٢، البداية والنهاية ١١٧/٩.

سعيد: فلا تبك كان في علم الله أن يكون هذا ثم تلا قوله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ [1] .

قال الحجاج لسعيد: ما اسمك؟

س: سعيد بن جبير[2] .

ح: بل شقي بن كسير.

س: بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

ح: شقيت أمك وشقيت أنت.

س: الغيب يعلمه غيرك.

ح: لأبدلنك الدنيا ناراً تلظى.

س: لو علمت أن ذلك بيديك لاتخذتك إلهاً.

ح: فما قولك في محمد.

س: نبي الرحمة وإمام الهدى.

ح: فما قولك في علي أهو في الجنة أم في النار؟

س: لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها.

ح: فما قولك في الخلفاء.

س: لست عليهم بوكيل.

---

(١) سورة الحديد جزء من الآية [٢٢].

(٢) رمز «س» لسعيد،«ح» الحجاج.

ح: فأيهم أعجب إليك.

س: أرضاهم لخالقه.

ح: فأيهم أرضى للخالق.

س: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

ح: أحب أن تصدقني.

س: إن لم أحب أن أكذبك.

ح: فما بالك لا تضحك.

س: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار.

ح: فما بالنا نضحك.

س: لم تستو القلوب.

بعد هذه المحاولات الاستفزازية يسلك أسلوباً آخر من الإغراء بالمال.

فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت مجمعة بين يديه.

س: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء من الدنيا إلا ما طاب وزكى.

ثم يدعو الحجاج العود والناي فلما ضرب بالعود ونفخ بالناي. بكى سعيد فقال الحجاج ما يبكيك. أهو اللعب؟ قال سعيد هو الحزن.

أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ .

وأما العود فشجرة قطعت من غير حق.

وأما الأوتار فمن الشاة تبعث يوم القيامة.

ح: ويلك يا سعيد.

س: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

ح: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك.

س: اختر أنت لنفسك. فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله في الآخرة.

ح: ألا تريد أن أعفو عنك.

س: إن كان العفو فمن الله. وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

ح: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج ضحك فأخبر الحجاج بذلك فردوه إليه.

ح: ما أضحكك.

س: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك.

فأمر بالنطع فبسط وقال: اقتلوه.

س: ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ﴾ (١) .

ح: وجهوا به لغير القبلة.

س: ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (٢) .

ح: كبوه على وجهه.

س: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾(٣) .

---

(١) الأنعام [٧٩].   (٢) البقرة [١١٥].

(٣) طه [٥٥].

ح: اذبحوه.

س: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة.

ثم دعا سعيد على الحجاج بقوله: اللّهم لاتسلطه على أحد يقتله بعدي.

وقيل: لما بلغ الحسن البصري موت سعيد قال: «اللّهم قاصم الجبابرة أقصم الحجاج» فما بقي بعد ذلك أياماً حتى وقع في جوفه الدود وأصابه الكزاز[1] [2].

فإذا تأمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في هذه القصة فإنه يخرج منها بدروس منها:

١- أسلوب السخرية والاستهزاء والاستفزاز.

٢- أسلوب الترهيب.

٣- أسلوب الإغراء بالمال بشتى صنوفه.

٤- أسلوب الإضلال والإغواء.

٥- أسلوب البطش والقهر.

ولكن هذا العالم لم يتأثر بذلك كله فهذا ثابت على مبدأ واحد لا يتغير ولايتبدل.

---

(١) الكزاز: ماء يأخذ من شدة البرد وتعتري منه رعدة. لسان العرب ٥/٤٠٠.

(٢) كتاب المحن. التميمي ص ٢٠٨، ٢٢٥ ووفيات الأعيان ٢/٣٧٢، ٣٧٣ وسير أعلام النبلاء جـ٤ ص ٣٢٩-٣٣٨ والبداية والنهاية ٩/٦٩-٩٨.

٤- إنكار المنذر بن سعيد على الناصر لدين الله لإسرافه في المال:

لما اشتدت الجفوة بين المنذر بن سعيد[١] والناصر لدين الله[٢] نتيجة محاسبة المنذر له على إسرافه في بناء مدينة الزهراء[٣] أراد ولده الحكم أن يزيل ما وقع بينهما، فاعتذر له عند الخليفة فقال: يا أمير المؤمنين، إنه رجل صالح وما أراد إلا خيراً، ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية لعذرك، فلما قال له ولده ذلك، أمر ففرشت بفرش الديباج وجلس فيها لأهل دولته، ثم قال لقرابته ووزرائه: أرأيتم أم سمعتم ملكاً كان قبلي صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، وإنك الأوحد في هذا الشأن. فبينما هم على ذلك، إذ دخل المنذر بن سعيد ناكساً رأسه. فلما أخذ مجلسه قال له: ما قال لقرابته فأقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته لسوء ما رأى، وقال: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن مع ما آتاك الله تعالى،

(١) المنذر بن سعيد البوطي أبو الحكم الأندلسي قاضي الأندلس. وكان إماماً عالماً وخطيباً مفوهاً جامعاً لصنوف العلم والتقوى والزهد والورع، تولى القضاء والجمعة على عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله ولم يسمع أخطب منه الأندلس.
سير الأعلام ١٧٣/١٦ والبداية والنهاية ٢٨٨/١١.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المرواني الأندلسي. باني مدينة الزهراء بويع بالخلافة سنة ٣٠٠ هـ وكان عمره ٢٢ سنة ودامت دولته ٥٠ سنة و ٦ أشهر. وكان صاحب فتوحات كثيرة وغزوات مشهورة.
سير الأعلام ٥٦٢/١٥ والبداية والنهاية ٢٣٨/١١.

(٣) مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس. اختطها عبد الرحمن الناصر الأموي ٣٢٥ هـ وعملها منزهاً له. وأنفق عليها من الأموال ما بلغ حد الإسراف.
انظر معجم البلدان ١٦١/٣.

وفضلك به على المسلمين حتى ينزلك منازل الكافرين، فاقشعر الخليفة من قوله وقال له: انظر ما تقول. كيف أنزلني الله منازلهم.

فقال: نعم أليس الله تعالى يقول: ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون. ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً... ﴾ (١) .

فوجم الخليفة ونكس رأسه ملياً. وجعلت دموعه تنحدر على لحيته. ثم أقبل على المنذر وقال له: جزاك الله خيراً وعن الدين خيراً فالذي قلت هو الحق ثم قام من مجلسه وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قراميدها(٢) تراباً على صفة غيرها(٣) .

وهكذا استطاع المنذر أن ينكر على الخليفة إسرافه بالمال بغير حق ويؤثر عليه حتى أعاده إلى الصواب.

هذا قليل من كثير من الصور المشرقة التي توضح إنكار المنكر بكل قوة وجرأة.

وهناك صور عديدة لا حصر لها ولا عد تركناها من أجل الاختصار. والغرض من ذلك هو معرفة مواقف السلف من الواقعين في المنكرات وكيف تم الإنكار عليهم لكي يسير عليه من يرغب في الحصول على رضى الله. وما ذكرنا فيه الكفاية. والله المستعان.

---

(١) سورة الزخرف [٣٣ إلى ٣٥].

(٢) القراميد. مفردها قرميد. وهي الآجر. وهو خزف يطبخ.

انظر إلى تاج العروس ٢/٤٦٥.

(٣) انظر البداية والنهاية م ٦ جـ ١١ ص ٢٨٨، ٢٨٩.

الباب الثالث

في

درجات تغيير المنكر

الفصل الأول

درجات النهي عن المنكر

المبحث الأول

القدرة والاستطاعة وضابطها

إن من فضل الله تعالى على خلقه أن جعل دين الإسلام دين الواقعية، فهو لا يطالب المسلمين بأمور فوق طاقتهم لا يستطيعون فعلها أياً كان هذا المأمور به، فإما أن يسقط كلية أو يخفف إلى درجة تتناسب مع قدرات هذا الشخص.

ولقد جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة موضحة ذلك أوضح بيان. يقول تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (١) .

ويقول تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (٢) .

ويقول تعالى: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٣) .

ويقول ﷺ : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(٤).

فهذه النصوص الشرعية تبين بوضوح أن الإنسان لا يكلف فوق طاقته

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية [٢٨٦].

(٢) سورة التغابن جزء من الآية [١٦].

(٣) سورة البقرة جزء من الآية [١٨٥].

(٤) تقدم تخريجه انظر ص ١٨٧ من هذا البحث.

في أي أمر من أمور الشرع، وما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا جزء من أوامر الشرع.

ومدار هذا المبحث على حديث رسول الله ﷺ والذي يقول فيه:

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١].

فهذا نص صريح من المصطفى ﷺ بأن المغير للمنكر لايلزمه إزالته بطريقة واحدة، بل عليه أن يغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أقل الأحوال.

يقول الجصاص حول قوله ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده» الحديث: أخبر النبي ﷺ أن إنكار المنكر على هذه الوجوه الثلاثة على حسب الإمكان، ودل على أنه إن لم يستطع تغييره بيده فعليه تغييره بلسانه، ثم إن لم يكن ذلك فليس عليه أكثر من إنكاره بقلبه[٢].

وقال النووي ـ رحمه الله ـ : وأما صفة النهي ومراتبه فقد قال ﷺ في هذا الحديث الصحيح: «فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه» فقوله ﷺ فبقلبه معناه فليكرهه بقلبه وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر ولكنه هو الذي وسعه[٣] .

وقال عبد القادر عودة: ويشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ١٨٧ من هذا البحث.

(٢) أحكام القرآن. الجصاص جـ٢ ص ٣٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ ٢ ص ٢٥.

المنكر أن يكون قادراً على الأمر والنهي وتغيير المنكر، فإن كان عاجزاً فلا وجوب عليه إلا بقلبه أي يكره المعاصي وينكرها ويقاطع فاعليها[1] .

ويدخل في عدم القدرة ما يلي:

١- العجز الحسي.

٢- العجز المعنوي.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يماثل الجهاد والدعوة إلى الله أو هما معاً، لذا فإنه كلما تتوفر القدرة العلمية والجسمية فإن عطاءه ونفعه يكون أكثر، وكلما نقص لديه جانب من الجوانب ذات الصلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن نفعه يكون أقل.

لذا اشترط العلماء لإيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القدرة الحسية والمعنوية.

أولاً: العجز الحسي: فيشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر سلامة جسمه وقوته وكمال حواسه فلا يلزم الأخرس والأصم والأعمى بما لا يعلمون أنه منكر، أو لا يستطيعون إنكاره لفقد تلك الحواس أو بعضها.

كذلك ضعيف الجسم وهزيله الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه أو لا يتحمل الأذى.

وكذلك لا يلزم من يخشى على ماله وعرضه من النهب أو الانتهاك إذا أمر أو نهى أو نحو ذلك.

---

(١) التشريع الجنائي. عبد القادر عودة جـ ١ ص ٤٩٧.

وقد أفاض الغزالي القول في ذلك ونقتطف مما قال: الشرط الخامس: كونه قادراً، ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه، إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها. ثم قسم الاستطاعة إلى أحوال منها قوله:

أحدها: أن يعلم أنه لا ينفع كلامه، وأنه يضرب إن تكلم، فلا تجب عليه الحسبة، بل ربما تحرم في بعض المواضع، نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا لحاجة مهمة أو واجب..

الحالة الثانية: أن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله يناله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة.

الحالة الثالثة: أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره ولكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها. ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام، وتذكير الناس بأمر الدين.

الحالة الرابعة: أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق، بحجر فيكسرها ويريق الخمر.. ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه. فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ ٧ ص ٢٦ باختصار. ولمزيد من التفاصيل انظر الصفحات من ٢٦ إلى ٣٥ من المرجع نفسه.

ثانياً: الجانب المعنوي:

فيشترط في المحتسب أن يكون عالماً عارفاً بأحكام الشرع وعالماً بالمنكرات، فيعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها. حيث إن الحسبة أمر بمعروف ونهي عن منكر، فلا بد أن يعرف حدود المعروف وحدود المنكر فإذا كان عالماً فإنه يعرف مراتب كل منهما.

يقول الشيرزي: لما أن كانت الحسبة أمراً بمعروف ونهياً عن منكر وإصلاحاً بين الناس وجب أن يكون المحتسب فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة؛ ليعلم ما يأمر به وينهى عنه. فإن الحسن ما حسّنه الشرع، والقبيح ما قبّحه الشرع، ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر إلا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ. ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشرع، ويرتكب المحظور وهو غير عالم به..[1].

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها. وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق الاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء[2].

إذاً فليس على العامي إنكار فيما يحتاج إلى علم أو اجتهاد بل يسقط عنه الأمر والنهي في هذه الحالة. ولكن يلزمه أن ينكر الأمور التي

---

(١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة. عبد الرحمن الشيرزي ص ٦. تحقيق السيد الباز العريني ـ دار الثقافة بيروت ١٣٦٥ هـ.

(٢) شرح صحيح مسلم. النووي جـ ١ ص ٥١.

لا يعذر أحد بجهلها كترك الصلاة وفعل الزنا وشرب الخمر ونحو ذلك.

يقول الغزالي: العامي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة، كشرب الخمر، والزنا، وترك الصلاة، فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى الاجتهاد فالعامي إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه[1] .

رفع الالتباس عن تفسير قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [2] .

يخطئ كثير من الناس ويتصورون هذه الآية حجة لهم في رفع الحرج عنهم في عدم استطاعتهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا التزموا هم بأنفسهم.

بل ربما دعاهم تصورهم هذا إلى تثبيط الناس؛ وإقعاد هممهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا مفهوم خطير وفيه ضرر كبير على الناس لأنهم بهذا التصور لا يهتمون بالناس ولا بإصلاحهم ولا أمرهم ولا نهيهم وإنما يهتمون بإصلاح أنفسهم فقط وهذا هو عين الخطأ المخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهذا الفهم له خيوط قديمة إلا أن الخليفة الراشد ـ أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه أزال هذا المفهوم العالق بأذهان بعض الناس فقد دفعه هذا الأمر إلى أن يصعد المنبر ويقول: «يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية «يا أيها الناس عليكم أنفسكم» الآية. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ ٧ ص ٢٨.

(٢) سورة المائدة جزء من الآية [١٠٥].

«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه[1] .

وعن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«ما من رجل في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا»[2] .

ويقول أبو بكر الجصاص حول الآية «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم»: وليس على ما يظن هذا الظان لو تجردت هذه الآية عن قرينة وذلك لأنه قال «عليكم أنفسكم» يعني احفظوها لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ومن الاهتداء اتباع أمر الله في أنفسنا وفي غيرنا فلا دلالة إذاً على سقوط فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3] .

وقال الزمخشري: ليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتدٍ، وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه[4] .

ولو كان الأمر كما تصوروا لما جردت السيوف وأريقت الدماء، وبذلت

---

(١) رواه أبو داود في سننه. كتاب الملاحم. باب الأمر والنهي جـ٤ ص ١٢٢ حديث ٤٣٣٨.
ورواه الترمذي في سننه. أبواب الفتن. باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر. جـ ٣ ص ٣١٦ حديث ٢٢٥٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي جـ٤ ص ١٢٢، ١٢٣ حديث ٤٣٣٩.

(٣) أحكام القرآن الجصاص جـ ٢ ص ٥٩٢.

(٤) تفسير الكشاف م ١ جـ ٢ ص ٥١.

الأنفس والأموال. بل لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي به تستقيم الأمور.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية: والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضُّلال، وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باللسان وتارة باليد[1] .

وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ .. وكلا والله إن هذا الدين لا يقوم إلا بجهد وجهاد، ولا يصلح إلا بعمل وكفاح. ولابد لهذا الدين من أهل يبذلون جهدهم لرد الناس إليه وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ولتقرير ألوهية الله في الأرض، ولرد المغتصبين لسلطان الله مما اغتصبوه من هذا السلطان، ولإقامة تشريع الله في حياة الناس، وإقامة الناس عليها. لابد من جهد بالحسنى حين يكون الضالون أفراداً ضالين يحتاجون إلى الإرشاد والإنارة. وبالقوة حين تكون القوة الباغية في طريق الناس هي التي تصدهم عن الهدى وتعطل دين الله أن يوجد، وتعوق شريعة الله أن تقوم. وبعد ذلك تسقط التبعة عن الذين آمنوا، وينال الضالون جزاءهم من الله حين يرجع هؤلاء وهؤلاء إلى الله ﴿ إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [2] [3] .

---

(١) الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٦٢. دار الكتاب العربي.

(٢) سورة المائدة جزء من الآية [١٠٥].

(٣) طريق الدعوة في ظلال القرآن. سيد قطب. جمع وإعداد أحمد فائز ص ١٥١ دار الأرقم بيروت ط ١٣٩٤.

وخلاصة القول في المفهوم العام من هذه الآية والنصوص التي بمعناها. أنها تأمر الناس بالدعوة إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الخوف أو التردد أو التوقف مهما ضل الناس ومهما اعترض الناس.

ضابط الاستطاعة:

لا شك أن ضابط الاستطاعة ليس له ميزان دقيق، فالأشخاص يختلفون، فهذا يقدر على أمور لا يستطيعها شخص آخر، وهذا قد أعطاه الله قوة في العلم والجسم وآخر قد فقدهما أو أحدهما. فالضابط الحقيقي متروك لضمير الشخص نفسه. ولكن مع ذلك ينبغي أن يكون هناك حد أدنى يقف عنده الناس حتى لا يكون مبدأ عدم القدرة وسيلة لترك الأمر والنهي فهناك أمور يجب ألا تصد الناس عن الأمر والنهي. فمثلاً الخوف من اللوم أو السب والشتم ونحو ذلك. فلا يعذر أحد من الناس بسبب ذلك لأنه بسيط وهو في ذات الله تعالى. ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يجاهدون في سبيله ولا يخافون فيه لومة لائم.

يقول تعالى: ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾[1].

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ : أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله تعالى وإقامة الحدود وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يردهم عن ذلك رادّ، ولا يصدهم عنه صادّ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل[2].

---

(١) سورة المائدة جزء من الآية [٥٤].

(٢) تفسير القرآن العظيم. جـ ٢ ص ٧٠ دار الفكر.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم[1].

وقال القرطبي: «أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره»[2].

ويقول الغزالي: ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه أو تعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا تنفك الحسبة عنه[3].

فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ألا يلتفت لهذه الأمور الصغيرة فإنها تعد قشوراً بسيطةً تصيبه في ذات الله وهو مع ذلك لا يعتبر قدم شيئاً يذكر، وكان الأولى له والأفضل أن يقدم نفسه رخيصة في سبيل الله.

ويجب أن يعرف المسلم أن عذر الشارع في عدم النهي عن المنكر إذا خاف الإنسان على نفسه رخصة. وأما طريقة العزيمة والفضل فهو أن يقدم الإنسان نفسه وما يملك من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، دون أن يتراجع عن كلمة الحق مهما كلفته؛ لأن الشارع رغب في ذلك.

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأحكام. باب كيف يبايع الناس الإمام جـ ٤ ص ٣٤٣ حديث ٧٢٠٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن م ٢ جـ ٤ ص ٤٨.

(٣) إحياء علوم الدين م ٣ جـ ٧ ص ٣٣ باختصار. دار الفكر.

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ :إنه تصيب أمتي في آخر الزمان من سلطانهم شدائد لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه ويده وقلبه فذلك الذي سبقت له السوابق، ورجل عرف دين الله فصدّق به، ورجل عرف دين الله فسكت عليه، فإن رأى من يعمل الخير أحبه عليه وإن رأى من يعمل بباطل أبغضه عليه فذلك ينجو على إبطانه كله»[1] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» أو «أمير جائر»[2] .

وفي المسند عن أبي سعيد الخدري ﷺ في حديثه الطويل عن النبي ﷺ وفيه: «ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[3] .

فهذه الأحاديث وغيرها تفيد أن الإنسان مأجور عندما يصدع بكلمة الحق ويأمر وينهى، ولو أدى ذلك إلى هلاكه وتعذيبه؛ لأن نتيجة الكلمة الصادقة عند السلطان الجائر معروفة.

يقول العمري[4] : لا شك أن التضحية بالنفس والنفيس في سبيل الجهر بكلمة الحق ليست بأمر سهل ترغب فيه النفوس فهي تطلب حباً قوياً

---

(١) رواه البيهقي. مشكاة المصابيح. التبريزي. تحقيق محمد ناصر الألباني جـ٣ ص ١٤٢٥ ، ١٤٢٦. المكتب الإسلامي.

(٢) رواه أبو داود في سننه كتاب الملاحم. باب الأمر والنهي جـ٤ ص ١٢٤ حديث ٤٣٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٣ ص ١٩ .

(٤) عالم هندي معاصر من مواليد ١٣٥٦هـ. وله مؤلفات إسلامية تقارب عشرين كتاباً.

وإخلاصاً عميقاً، وعزيمة صادقة وهمة بعيدة. ولكن مما لا شك فيه أيضاً أن أصحاب العزيمة وأهل الإخلاص هم أرفعهم عند الله درجة وأعلاهم مكانة.

ثم يقول: هذه الأمة التي ألقى الله على كواهلها مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي عليها أن تصلح أمرها بنفسها لها تاريخ مشرق مجيد في الصدق والجرأة والشهامة والصدع بالحق، ولئن وجدت فيه من سكت عن المنكر وما قوي على إظهار المعروف لضعف إيمانه، فلا تستقل عدد أولي العزم وأصحاب الهمم الذين تصدوا للباطل وشهدوا بالحق في ظلال السيوف وذلك هو الذي ما زال يضمن للأمة، حياتها وبقاءها وإن فقدت كافة الأمة يوماً هذه الروح: روح التضحية والفداء والتفاني كان أشأم يوم في تاريخها وانقطعت عنها رحمة الله ولم يحل بينها وبين هلاكها شيء وسقطت في الدرك الأسفل إلى هاوية الانحطاط»[1].

وجوب الأمر والنهي ولو خاف على نفسه:

قد يكون الأمر والنهي واجباً ولو خاف على نفسه الهلاك، وذلك إذا كان يترتب على ذلك هداية طائفة من الناس إذا قال كلمة الحق، أو ضلالهم إذا سكت. فهنا يجب عليه أن يقول كلمة الحق ولو أدى ذلك إلى قتله.

والدليل على ذلك قصة الغلام مع الملك التي رواها صهيب عن النبي ﷺ في حديثه الطويل وقد ذكرها أهل التفاسير عند تفسير سورة البروج.

ورواها الترمذي في سننه وفيها: «... فقال الغلام للملك: إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول إذا رميتني بسم الله رب هذا

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. جلال الدين العربي ص ٢٦٢، ٢٦٣.

الغلام. قال فأمر به فصلب ثم رماه فقال بسم الله رب هذا الغلام. قال فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي ثم مات. فقال أناس لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد فإنا نؤمن برب هذا الغلام...»[1] .

فهذا الغلام ضحى بنفسه لعلمه أنه سيهتدي بعده آلاف الناس وقصة الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ مشهورة. حيث ثبت على قوله الحق في أن القرآن منزل غير مخلوق لعلمه أن الناس سيقتدون به، ولو قال إنه مخلوق تورية لضل بذلك خلق كثير.

فهذه الحالات وأمثالها يجب على المسلم أن يقول فيها كلمة الحق ولو أدى ذلك إلى هلاكه. والله المستعان.

المبحث الثاني

التغيير باليد وشروطه

ونقصد بذلك تغيير المنكر باليد ككسر الملاهي وإراقة الخمر وإتلاف آنيته إذا لم يمكن ذلك وخلع الحرير، وتكسير الأصنام وتمزيق الصور أو طمسها وإتلاف الكتب والمجلات المضللة ونحو ذلك.

الأصل في تغيير المنكر باليد الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على ذلك.

يقول تعالى حكاية عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ﴾ [2] فإبراهيم ـ عليه السلام ـ كسر الأصنام بيده.

---

(١) رواه الترمذي في سننه. أبواب التفاسير. سورة البروج جـ٥ ص ١٠٩ حديث ٣٣٩٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية [٥٧، ٥٨].

وقال تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - ﴿ وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾ [١].

فأخبر - سبحانه وتعالى - عن كليمه موسى - عليه السلام - أنه أحرق العجل الذي عبد من دون الله ونسفه في اليم.

ويقول تعالى آمراً نبيه أن يقول: ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ [٢].

وذلك حينما دخل مكة عام الفتح فأخذ يطعن الأصنام بعود بيده وهو يتلو هذه الآية.

ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده. ويقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾[٣] [٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده» [٥] الحديث.

فهذا نص صريح من الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير المنكر باليد.

---

(١) سورة طه جزء من الآية [٩٧].

(٢) سورة الإسراء آية [٨١].

(٣) سورة الإسراء آية [٨١].

(٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب التفسير. باب وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» جـ ٣ ص ٢٥٢ حديث ٤٧٢٠.

(٥) تقدم تخريجه انظر صفحة « ٦٦ » من هذا البحث.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[1] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي ابن كعب من فضيخ زهوٍ وتمر فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حرمت. فقال أبو طلحة: قم يا أنس فاهرقها فَهَرَقْتُها»[2] .

وفي رواية لمسلم: فقال أبو طلحة: يا أنس قم إلى هذه الجرة فاكسرها فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت»[3] .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المربد فخرجت معه فكنت عن يمينه، وأقبل أبو بكر فتأخرت له فكان عن يمينه وكنت عن يساره فأتى رسول الله ﷺ المربد، فإذا بزقاق على المربد فيها خمر. قال ابن عمر: فدعاني رسول الله ﷺ بالمدية، وما عرفت المدية إلا يومئذ، فأمر بالزقاق فشقت ثم قال لعنت الخمر وشاربها»[4] الحديث.

وفي رواية لابن عمر ـ أيضاً ـ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب البيوع. باب قتل الخنزير جـ٢ ص ١١٩ حديث ٢٢٢٢.

(٢) المرجع السابق. كتاب الأشربة. باب نزل تحريم الخمر وهي من البسر والتمر جـ ٤ ص ١٢ حديث ٥٥٨٢.

(٣) رواها مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الأشربة. باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب.. م ٣ جـ ٦ ص ٨٨، ٨٩.

(٤) رواه الإمام أحمد ﷺ في المسند جـ٢ ص ٧١.

بمدية وهي الشفرة فأرهفت فأتيته بها فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها وقال: اغد علي بها ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق خمر قد جلبت من الشام فأخذ المدية مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها، وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت فلم أترك في أسواقها زقاً إلا شققته»(١) .

فهذه الأحاديث دليل واضح بالقول والفعل من الرسول ﷺ وصحابته على تغيير المنكر باليد.

المنكرات التي يجوز إتلافها باليد:

للناهي عن المنكر أن يتلف الأشياء العينية المحرمة مثل الأصنام المعبودة من دون الله بشتى أنواعها وأياً كانت مادتها من خشب أو ذهب أو نحاس. فله تكسيرها وإتلافها وكذلك آلات اللّهو بشتى أنواعها من عود وآلات موسيقية ونحو ذلك أو الأشرطة التي سجل فيها أغاني خليعة وموسيقى ماجنة ونحو ذلك. أو الصور الخليعة المحرمة فله طمسها أو تمزيقها وإتلافها.

كل ذلك يجوز له تغييره باليد وإتلافه لكن عليه أن ينظر إلى قواعد الشرع قبل الإقدام على ذلك ومراعاة المصلحة لا يخلف ذلك منكراً أكبر منه...

قال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن رجل كسر عوداً كان مع أَمَة لإنسان

---

(١) المرجع السابق. وانظر مجمع الزوائد جـ ٥ /٣٦.

فهل يغرمه. أو يصلحه؟ قال:

لا أرى عليه بأساً أن يكسره ولا يغرمه ولا يصلحه. قيل فطاعتها؟ قال: ليس لها طاعة في هذا.

وقال أبو داود: سمعت أحمد يسأل عن قوم يلعبون بالشطرنج فنهاهم فلم ينتهوا، فأخذ الشطرنج فرمى بها. قال: قد أحسن. قيل: فليس عليه شيء. قال: لا، قيل له: وكذلك إن كسر عوداً أو طنبوراً؟ قال: نعم. وقال عبد الله: سمعت أبي - في رجل يرى مثل الطنبور أو العود أو الطبل أو ما أشبه هذا ما يصنع به؟ قال: إذا كان مكشوفاً فاكسره.

وقال المروزي: سألت أبا عبد الله عن كسر الطنبور الصغير يكون مع الصبي؟ قال يكسره أيضاً. قلت: أمر في السوق فأرى الطنبور تباع أأكسره؟ قال: ما أراك تقوى، إن قويت - أي فافعل - قلت أدعى لغسل الميت فأسمع صوت الطبل؟ قال إن قدرت على كسره وإلا فاخرج[1] .

وهذه الروايات عن الإمام أحمد - رحمه الله - تفيد إنكار المنكر باليد، وكسر مثل هذه المنكرات وإزالتها. وهذه مبنية على أصل الشرع.

فعن أبي الهياج الأسدي ﵁ قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» وفي رواية «ولا صورة إلا طمستها»[2] .

---

(١) ذكر ذلك كله ابن القيم رحمه الله. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) رواهما مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجنائز. باب الأمر بتسوية القبر م ٢ جـ ٣ ص ٦١.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال ﷺ أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة»[1] الحديث.

وفي رواية لابن عباس ـ أيضاً ـ أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت»[2] الحديث.

فهذه الأحاديث وغيرها من النصوص تبين مشروعية إزالة المنكرات باليد، على أية صورة كانت الإزالة مما يناسب ذلك المنكر إما تغييراً كلياً أو جزئياً.

هل يضمن المُنكِر ما أتلفه؟

المسألة خلافية بين العلماء فبعضهم يقول لا يضمن ما أتلفه؛ لأن ما أتلفه منكر ومحرم فثمنه حرام فلا ضمان عليه. وبعضهم يقول ما يزول به المنكر لا ضمان فيه وأما الباقي فيضمنه.

ذكر الخلال في كتابه بسنده عن أبي الحصين أن شريحاً أتي في طنبور فلم يقض فيه بشيء[3] .

وقال الخلال أخبرني محمد بن أبي هارون، أن يحيى بن يزدان أبا السفر حدثهم، أنه سأل أبا عبد الله عن رجل رأى في يد رجل عوداً، أو

(١، ٢) رواهما البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأنبياء. باب قوله الله تعالى «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» النساء ١٦٥ جـ٢ ص ٤٥٩، ٤٦٠ حديث ٣٣٥١، ٣٣٥٢.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الخلال ص ١٢٩.

طنبوراً فكسره أصاب أو أخطأ وما عليه في كسره شيء؟ فقال قد أحسن وليس عليه في كسره شيء[1] .

وقال ابن قدامة: وإن كسر صليباً أو مزماراً أو طنبوراً أو صنماً لم يضمنه.

وقال الشافعي: إن كان ذلك إذا فصل يصلح لنفع مباح، وإذا كسر لم يصلح لنفع مباح لزمه ما بين قيمته منفصلاً ومكسوراً. لأنه أتلف بالكسر ما له قيمة، وإن كان لا يصلح لمنفعة مباحة لم يلزمه ضمانه.

وقال أبو حنيفة: يضمن. ولنا أنه لا يحل بيعه فلم يضمنه كالميتة. والدليل على أنه لا يحل بيعه قول النبي ﷺ:

«إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» متفق عليه.

وقال: بعثت بمحق القينات والمعازف»[2] .

وقال ابن عبد القوي في منظومته:

*ولا غرم في دف الصنوج كسرته * ولا صور أيضاً ولا آلة الدَّدِ*

*وآلة تنجيم وسحر ونحوه * وكتب حوت هذا وأشباهه اقدد*

*وبيض وجوز للقمار بقدر ما * يزيل عن المنكور مقصد مفسد*

*ولا شق زق الخمر أو كسر دنه * إذا عجز الإنكار دون التقدد*

*وإن يتأتى دونه دفع منكر * ضمنت الذي ينقي بتغسيله قد*[3]

(١) المرجع السابق.

(٢) المغني والشرح الكبير. كتاب الضمان جـ ٥ ص ٤٤٥، ٤٤٦.

(٣) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب. جـ ١ ص ٢٤٣ إلى ٢٥٥.

ورأي ابن عبد القوي في هذه المسألة التفصيل[1] .

قلت: والذي يظهر لي أن الاختلاف يتعلق بالمنكر نفسه فأحياناً يكون كله منكراً، وأحياناً يجمع بين المنكر والمعروف. فإذا كان كله منكراً كالعود ـ آلة الغناء ـ فهذا يكسر ولا ضمان فيه؛ لأنه مخصص لهذا الغرض فقط ولا يمكن الاستفادة منه بشيء آخر. وإن كان فيه من هذا وذاك فالأولى إزالة المنكر وترك ما عداه. فمثلاً: إذا كان فيه كتاب فيه فصول جيدة ولكن فيه فصل خبيث. فتمزق أوراق هذا الفصل ويترك الباقي. وكذلك الحال لو كان فيه مجلة فيها مقالات طيبة ولكن فيها صورة خليعة فتمزق هذه الصورة ويترك الباقي. ولكن ينبغي أن يعلم إذا كانت المصلحة تقتضي إتلاف الذي جمع بين المنكر والمعروف فإنه يتلف ولا ضمان.

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يزن هذه الأمور بميزان الشرع ثم يمضي لتنفيذ أمر الله تعالى.

شروطه وضوابطه:

١- أن يكون تغييره للمنكر خالصاً لوجه الله تعالى وليس هدفه من ذلك هو ردود فعل أو الانتقام أو التشفي أو نحو ذلك من حظوظ النفس.

٢- أن يتبع قواعد الشرع في ذلك بحيث يتأكد أن إنكاره هذا لن يخلفه منكر أشد منه فإن توقع ذلك توقف حتى تتضح له الأمور.

٣- أن يتحقق من هذا المنكر وأنه يستحق التغيير أو الإتلاف.

٤- أن لا يتجاوز الحد المشروع إن كان من المنكرات التي يمكن إتلاف بعضها وترك البعض الآخر.

٥- أن يباشر ذلك بنفسه إن تيسر ذلك أو يستعين بمن هو أهلاً لذلك.

---

(١) راجع شرح هذه الأبيات في تلك الصفحات.

المبحث الثالث

التغيير باللسان وشروطه

من أهم وسائل تغيير المنكر تغييره باللسان وذلك بتعريف الناس بالحكم الشرعي بأن هذا محرم ومنهي عنه. فقد يرتكب المنكر لجهله به. فيمكن تغيير المنكر عن طريق الوعظ والإرشاد والنصح والتخويف وتغليظ القول والتقريع والتعنيف ونحو ذلك، فلعله يقلع عن المنكر بسبب ذلك.

ولتغيير المنكر باللسان مراتب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يسلكها أولاً بأول؛ لأن الهدف الأساسي هو إصلاح الناس وليس إيذاؤهم.

المرتبة الأولى: التعريف:

وذلك بأن يعرف مرتكب المنكر ـ إما بالمباشرة أو التعريض حسب الموقف ـ بأن هذا لا ينبغي أو حرام وأنت لست ممن يفعل ذلك بالقصد، فأنت أرفع من ذلك. ويبين له ذلك بالحكمة والرفق واللين حتى يقبل ولا ينفر.

وقد ضرب الغزالي مثلاً لذلك قال فيه: «فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله، وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي[1] يصلي ولا يحسن الركوع والسجود، فيجب تعريفه باللطف من غير عنف؛ وذلك لأن في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء، وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور ولا سيما بالشرع. ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف أن تنكشف عورة جهله والطباع أحرص على ستر عورة

---

(١) السوادي: الجاهل من أهل الريف.

الجهل. فنقول له إن الإنسان لا يولد عالماً ولقد كنا أيضاً جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء، ولعلّ قريتك خالية عن أهل العلم، أو عالمها مقصر في شرح الصلاة. وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء، فإيذاء المسلم محذور كما أن تقريره على المنكر محذور. وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول، ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه، فقد غسل الدم بالبول على التحقيق..»[1].

قلت: ويختلف الأسلوب من شخص لآخر ومن وقت إلى وقت، فعلى الناهي عن المنكر أن يلبس لكل حالة لبوسها. ولابد في كل الحالات من عامل مشترك ألا وهو التعريف بالرفق واللين واللطف ولا سيما إذا كانت حال الواقع في المنكر مجهولة.

ولقد كان الرسول ﷺ إذا علم شخصاً ما قد وقع في محظور فإنه يخطب ويعمم ولا يخصص. كل ذلك من أجل ألاّ يجرح شعور ذلك الشخص.

فقد ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».

وفي رواية «إذا بلغه عن الرجل شيء»[2] الحديث.

وروى الخلال بسنده قال أخبرني عصمة بن عصام قال: حدثنا حنبل أنه

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ ٧ ص ٤٥ باختصار.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الأدب باب في حسن العشرة جـ٤ ص ٢٥٠ حديث ٤٧٨٨.

سمع أبا عبد الله يقول: والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً مبايناً معلناً بالفسق والردى فيجب عليك نهيه وإعلانه؛ لأنه يقال: ليس لفاسق حرمة، فهذا لا حرمة له[1].

وقال أيضاً: أخبرني محمد بن علي الوراق قال: حدثني مهنا قال: قال أحمد بن حنبل، كان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون. يقولون مهلاً رحمكم الله[2].

فهذه الآثار تبين طريقة السلف رضي الله عنهم في النهي عن المنكر.

المرتبة الثانية: النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى:

وهذه الدرجة تتعلق غالباً في مرتكب المنكر العارف بحكمه في الشرع بخلاف الدرجة الأولى فهي في الغالب تستعمل للجاهل في الحكم.

فهذا يستعمل معه أسلوب الوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى ويذكر له آيات الترهيب والوعيد، ولكن بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة يقول تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [4].

وحتى لو كان عارفاً لهذه النصوص فلها تأثيرها وهذا يعتبر ذكرى.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الخلال ص ٨٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة النحل جزء من الآية [١٢٥].

(٤) سورة آل عمران الآية [١٥٩].

والله يقول: ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ [1].

وبيبن له ما أعد الله للطائعين، ويذكره بالموت وأنه ليس له وقت معين، بل يأتي بغتة، وربما جاء الإنسان وهو واقع في المعصية، فتكون خاتمته سيئة.

ويبين له أن هدفه من نصحه وإرشاده حبه له وخوفه عليه من عذاب يوم القيامة، وأنه ما فعل ذلك إلا إشفاقاً عليه، حتى يطمئن له وتنفتح نفسه لسماع الموعظة وربما أعقب ذلك الإقلاع عما هو واقع به.

وينبغي أن يتدرج مع المنهي في الأحوال التالية:

١- أن يذكر بعض النصوص من القرآن والسنة المخوفة للعاصين والمذنبين، وأقوال السلف في ذلك. ويختار من ذلك القصير شديد الوقع في النفس.

٢- تذكيره بالأمم والطوائف والأشخاص الذين وقعوا في المعصية وحل عليهم غضب الله وعذابه. والشواهد في الكتاب والسنة كثيرة جداً.

٣- أن يذكره أن للذنوب سلبيات كثيرة، وأن ما يصيب الإنسان في نفسه وأهله وماله بسبب الذنوب.

ورد عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزيد العُمْرَ إلا البرّ، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليُحْرم الرزق بالذنب يصيبه»[2].

---

(١) سورة الذاريات آية [٥٥].

(٢) رواه ابن ماجه في سننه. كتاب الفتن. باب العقوبات جـ ٢ ص ١٣٣٤ حديث ٤٠٢٢.

وقوله تعالى ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ [1].

وغير ذلك من النصوص والآثار التي تبين عقوبة المعاصي في الدنيا والآخرة.

٤- محاولة ذكر الأدلة والشواهد الخصُوصية إن كان يعرف ذنبه بشكل خاص. فإذا كان معروفاً بشرب الخمر ركز على عقوبة شارب الخمر والآثار الواردة في ذلك والعقوبات المترتبة عليه في الدنيا والآخرة. ثم ينتقل إلى الوعظ بشكل عام.

وليحرص كل الحرص أن تكون الموعظة سراً بينه وبينه حتى لا تأخذه العزة بالإثم فيرفض قبولها، وحتى يعلم بحق أنه ليس للناهي هدف سوى النصيحة والإشفاق عليه فقط.

ذكر ابن عبد البر في كتابه بهجة المجالس:،عن مسعر بن كدام قال: رحم الله من أهدى إلي عيوبي في ستر بيني وبينه فإن النصيحة في الملأ تقريع»[2].

وروى الحافظ أبو نعيم في الحلية ـ بسنده ـ عن مرة بن شرحبيل قال: سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة فخالفه عمرو بن شرحبيل. فغضب سلمان ابن ربيعة ورفع صوته فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى فأتيا أبا موسى الأشعري فقال: القول ما قاله أبو ميسرة. وقال لسلمان ينبغي لك ألا تغضب إن أرشدك رجل. وقال لعمرو: قد كان ينبغي

---

(١) سورة الشورى آية [٣٠].

(٢) بهجة المجالس. ابن عبد البر جـ ١ ص ٤٧.

لك أن تساوره يعني تساوره ولا ترد عليه والناس يسمعون»[1].

فينبغي للناهي عن المنكر أن يستخدم السبل التي تعين صاحب المنكر على أن يقلع عن معصيته. والله أعلم.

المرتبة الثالثة: الغلظة بالقول:

وهذه المرتبة يلجأ إليها بعد استخدامه الأسلوب السهل اللين القريب. وبعد معرفته أن أسلوب اللين لم يجد عند ذلك يغلظ له القول ويشدد عليه ويزجره مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك.

فإذا أمن شره فإنه يقوم بذلك ولكن لا يقول إلا حقاً.

وهذا الأسلوب قد استعمله أبو الأنبياء عليه وعليهم السلام. يقول الله تعالى حكاية عنه ﴿ أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [2] .

فيقول اتق الله أما تخاف الله أما تستحيي ألا تعرف أن فعلك هذا فعل الفساق والفجار، وهكذا، فلعله ينزجر.

وينبغي للناهي ألا يطلق لسانه في كل ما يرد عليه، بل يحاسب نفسه على كلمة ستخرج منه، وفي الوقت نفسه عليه ألا يتعدى، فإذا علم أن صاحبه استجاب أو أقلع وقف. وشكره على استجابته كأن يقول: جزاك الله خيراً وبارك فيك.

يقول الغزالي ولهذه الدرجة أدبان:

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. م ٢ جـ ٤ ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) سورة الأنبياء آية [٦٧].

أحدهما: ألا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف.

الثاني: ألا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه. فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل على قدر الحاجة..»[1].

المرتبة الرابعة: التهديد والتخويف:

وهذه المرتبة هي آخر المحاولات لنهيه باللسان ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل.

فيقال له: إن لم تنته لأضربنك ولأوذينك، أو لأخبرنَّ بك السلطات لتسجنك وتعاقبك على فعلك.

وهكذا يورد عليه بعض أساليب التخويف والتهديد ولكن ينبغي أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلاً وشرعاً حتى يعرف أنك صادق في تهديدك؛ لأنك لو هددته بأمور غير جائزة شرعاً عرف أنك غير جاد؛ لأن الآمر يجب أن يكون أقرب الناس استجابة لشرع الله تعالى.

فلا يقول له: إن لم تنته سوف أحرق بيتك بمن فيه وأسلب مالك وأفعل وأفعل. من أمور لا تجوز شرعاً.

يقول الغزالي: ولا يهدد بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبينَّ زوجتك وما يجري مجراه بل إن ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب..»[2].

هذه هي مراتب الإنكار باللسان فعلى الناهي أن يسلك هذه المراتب عند نهيه مرتبة مرتبة، ولا ينتقل من مرتبة قبل أختها؛ لأن المقصود إصلاح

---

(١) إحياء علوم الدين. الغزالي م ٣ جـ ٧ ص ٤٧.

(٢) إحياء علوم الدين. م ٣ جـ ٧ ص ٥٠.

هذا المسلم الذي وقع في منكر، وليس المقصود الانتقام منه أو الانتصار عليه. فإن انتهى عند المرتبة الأولى فهو المطلوب وإلا انتقل للتي تليها وهكذا. والله المستعان.

المبحث الرابع

التغيير بالقلب وبيان منزلته من الدين وحكم الرضى بالمنك وإقراره

المنكر لا تقره الشريعة بأي حال من الأحوال، فلا بد من تغييره ولكن تغييره على مراتب.

ولما كان الناس يختلفون في قدراتهم الجسمية والعقلية وغير ذلك. فإن الشارع الحكيم رتب إنكار المنكر على حسب قدرة الشخص، ولكن لا يعذر أحد من المكلفين بترك الإنكار مهما يكن من أمر.

فيجب عليه أن يغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أقل الأحوال؛ لأن كل إنسان يستطيع ذلك ومن هو الذي لا يقدر على الإنكار بالقلب إلا رجل قد مرض قلبه وانتكس فهذا أمره أشد من قضية الإنكار بالقلب.

والأصل في هذا الحكم. ما رواه الإمام مسلم بسنده عن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

---

(١) رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإيمان. باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان م ١ جـ ١ ص ٥٠.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1] الحديث.

وقد ذكر الإمام النووي بشرح مسلم كلام القاضي عياض - رحمه الله - فقال: هذا الحديث أصل في صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه. أو يأمر من يفعله، وينزع المغصوبات ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إذا أمكنه، ويرفق جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخوف شره. إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله. كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويغلظ على المتمادي في غيه والمسرف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكراً أشد مما غيره لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم فإن غلب على ظنه أن تغييره يسبب منكراً أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده، واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف. فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان في سعة وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى. وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه هذا هو فقه المسألة، وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين خلافاً لمن رأى الإنكار

---

(١) المرجع السابق الجزء والصفحة.

بالتصريح بكل حال، وإن قتل ونيل منه كل أذى، هذا آخر كلام القاضي ـ رحمه الله ـ [1].

ومن كان في قلبه حياة وليس في مقدوره أن يغير المنكر بيده ولا بلسانه فعليه أن يكره هذا المنكر ويعلم الله من قلبه الصدق والعزيمة على تمني زوال هذا المنكر ولولا المانع لأزاله.

قيل لابن مسعود ﷺ من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً[2].

فالذي لا يأمر بالمعروف ولا ينكر المنكر بأدنى درجاته فهو ميت القلب.

وعندما تكلم يحيى بن معاذ الرازي[3] يوماً في الجهاد وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قالت له امرأة: هذا واجب وضع عنا فقال: هبي أنه وضع عنكن سلاح اليد واللسان فلم يوضع عنكن سلاح القلب فقالت له صدقت جزاك الله خيراً[4]. فإن سلاح اللسان لا يسقط عن المرأة فعليها أن تنكر على من تستطيع الإنكار عليه من أقاربها الرجال وأما النساء فعليها الإنكار عليهن بصفة عامة. ولهذا شواهد:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي م ١ جـ ٢ ص ٢٥.

(٢) الأمر بالمعروف لابن تيمية ص ١٨.

(٣) هو يحيى بن معاذ الرازي واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته وله مواعظ مشهورة أقام ببلخ ومات في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ.

سير الأعلام جـ ١٣ ص ١٥، حلية الأولياء م ٥ جـ ١٠ ص ٥١.

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم.

ورد أن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها رأت امرأة بين الصفا والمروة عليها خميصة من صلب ـ أي ثوب عليه خطوط متصالبة ـ فقالت عائشة : «انزعي هذا من ثوبك فإن رسول الله ﷺ إذا رآه في ثوب قضبه»[1].

وأما بالنسبة للإنكار على الرجال:

فقد ورد أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ رأت أخاها عبد الرحمن يسرع في الوضوء ليدرك الصلاة على سعد بن أبي وقاص. فقالت: يا عبد الرحمن أسبغ الوضوء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للأعقاب من النار»[2].

ولا شك أن إنكار المرأة بقلبها على الرجال هو الغالب وعلى النساء في بعض الحالات بخلاف الرجل فإن إنكاره في قلبه مقيد بظروف معينة، وهي عدم مقدرته على الإنكار باليد واللسان فيجب على المسلم أن يعلم أنه لا يعذر بحال بترك الإنكار بقلبه عند عجزه عن الإنكار باليد واللسان. وإذا كان قلبه لا يتحرك عند رؤيته للمنكر فعليه أن يعلم أن قلبه مريض ويحتاج إلى علاج. وأما إذا علم صدق نيته بقلبه في بغضه للمنكر وتمنى زواله فإن الله سبحانه وتعالى يعطيه مثل أجر القادر عليه وعلى أسوإ الأحوال فإنه لا يأثم بتركه ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فأمَّا حُبُّ القلب وبغضه

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٦ ص ٢٢٥.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما. م ١ جـ ١ ص ١٤٧.

وإرادته وكراهته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان. وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل..»[1].

المبحث الخامس

موقف الناهي من فاعل المنكر عند الإصرار عليه ويدخل في ذلك الهجر والغلظة والبغض

قد تمر بالإنسان حالات لا يستطيع فيها تغيير المنكر إما لضعفه أو لعجزه أو لقوة فاعل المنكر فلا يستطيع تغييره لا بيده ولا بلسانه. فيتعين عليه تغييره بقلبه. ولكن لابد أن يكون للتغيير بالقلب رصيد من الواقع يصدق ما في القلب.

وقد شرع الشارع الحكيم أمراً يطالب به الإنسان أن يفعله تجاه فاعل المنكر عند الإصرار عليه، وهو بغضه وهجره.

تعريف الهجر لغة:

قال الجوهري: الهجر: ضد الوصل. والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية.

والتهاجر: التقاطع. والهجرتان: هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة[2].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن تيمية. تحقيق صلاح الدين المنجد ص ٢٣.

(٢) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري جـ ٢ ص ٨٥١.

والهجر الشرعي نوعان:

الأول: بمعنى الترك للمنكرات. ومنه قوله تعالى ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾ [١].

قال ابن كثير: أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه»[٢].

ومنه قوله تعالى:﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾[٣].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : والخطاب مجرد للنبي ﷺ وقيل إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه وهو الصحيح. فإن العلة سماع الخوض في آيات الله وذلك يشملهم وإياه..

ودل بهذا على أن الرجل إذا علم من الآخر منكراً وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يقبل عليه[٤].

وورد في حديث جابر بن عبد الله ـ الطويل ـ وفيه « .. ومن كان يؤمن

---

(١) سورة النساء جزء من الآية [١٤٠].

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٥٦٦، ٥٦٧.

(٣) سورة الأنعام آية [٦٨].

(٤) الجامع لأحكام القرآن م ٤ جـ ٧ ص ١٢.

بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر»[1] الحديث.

ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

ومنه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾[2].

قال القرطبي: وهو أول من هاجر من أرض الكفر[3].

وقال القرطبي أيضاً حول قوله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾[4].

قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمتْ هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تُغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها. وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم.. وبهذا قال السلف رضي الله عنهم»[5].

الثاني: الهجر على وجه التأديب والعقوبة، وهو هجر أهل المعاصي والمنكرات والمخالفات وهو بمنزلة التعزير، ويفعله إذا رآه أقوى في نفسية الفاعل من التغيير باليد واللسان أو إذا عجز عن التغيير باليد واللسان.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٣ ص ٣٣٩.

ورواه الترمذي أيضاً في سننه. أبواب الاستئذان والآداب. باب دخول الحمام جـ ٤ ص ١٩٩ حديث ٢٩٥٣.

(٢) سورة العنكبوت جزء من الآية [٢٦].

(٣) الجامع لأحكام القرآن م ٧ جـ ١٣ ص ٣٣٩.

(٤) سورة الأنفال جزء من الآية [٢٥].

(٥) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م ٤ جـ ٧ ص ٣٩٢. باختصار.

فإذا أظهر الإنسان المكلف معصيته أو عرف بها وأصر عليها سواء أكانت هذه المعصية فعلية أم قولية أم اعتقادية فمن السنة هجره، فالهاجر يثاب عليه؛ لأنه من أجل الله تعالى.

وقد هجر النبي ﷺ كعباً وصاحبيه وأمر الصحابة بهجرهم خمسين يوماً. وهجر نساءه شهراً. وهجرت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ابن أختها عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ مدة.

ورد عن كعب بن مالك ـ وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ـ «أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة وغزوة بدر. قال: فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى، وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى. وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين، ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا. فاجتنب الناس كلامنا. فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي عليّ النبي ﷺ أو يموت الرسول ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي عليّ فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة..»[1] الحديث.

فهذا الحديث يثبت هجر رسول الله ﷺ لبعض الصحابة والصحابة لهم. ومن ناحية أخرى يثبت كيف كان لهذا الهجر الأثر الكبير في تركهم للمعروف وفعلهم للمنكر في ترك الرسول ﷺ وعدم الخروج معه.

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب تفسير القرآن. باب «وعلى الثلاثة الذين خلفوا» الآية جـ ٣ ص ٢٣٩ حديث ٤٦٧٧.

وورد أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة. فقالت: والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنث إلى نذري. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ـ وهما من بني زهرة ـ وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلكم ـ ولاتعلم أن معهم ابن الزبير ـ فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا كلمته وقبلت منه. ويقولان إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد. فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة. وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها»[1].

وروي عن الإمام أحمد قال: إذا علم أنه مقيم على معصيته وهو يعلم بذلك لم يأثم إن هو جفاه حتى يرجع وإلا كيف يتبين للرجل ما هو عليه إذا

---

(١) المرجع السابق. كتاب الأدب. باب الهجر جـ٤ ص ١٥٠ حديث ٦٠٧٥. وقد بوب البخاري في الباب الذي بعده باب ما يجوز من الهجران لمن عصى. وذكر حديث الثلاثة. وذكرناه بطوله قبل هذا الحديث مباشرة.

لم ير منكراً ولا جفوة من صديق[1].

وورد عن سفيان الثوري أنه قال لعلي بن الحسن السليمي:

إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك، فإنما يفسد عليك قلبك أهل الدنيا وأهل الحرص وإخوان الشياطين الذين ينفقون أموالهم في غير طاعة الله، وإياك وما يفسد عليك دينك فإنما يفسد عليك دينك مجالسة ذوي الألسن المكثرين للكلام، وإياك وما يفسد عليك معيشتك، فإنما يفسد عليك معيشتك أهل الحرص وأهل الشهوات، وإياك ومجالسة أهل الجفاء، ولا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي، ولا تصحب الفاجر ولا تجالسه ولا تجالس من يجالسه، ولا تؤاكله ولا تؤاكل من يؤاكله ولا تحب من يحبه، ولا تفشي إليه سرك ولا تبتسم في وجهه ولا توسع له في مجلسك فإن فعلت شيئاً من ذلك فقد قطعت عرى الإسلام. وإياك وأبواب السلطان وأبواب من يأتي أبوابهم وأبواب من يهوى هواهم، فإن فتنتهم مثل فتن الدجال...[2].

فمن خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار يتبين لنا مشروعية الهجر، وأنه سنة يثاب عليها الإنسان إذا كان ذلك لله تعالى.

أنواع الهجر:

النوع الأول: الهجر كلية. ويكون ذلك للكفار فلا يجالسهم ولا يسلم عليهم ولا يؤاكلهم ولا يشاربهم فلا علاقة معهم مطلقاً.

---

(١) الآداب الشرعية في المنح المرعية. ابن مفلح جـ ١ ص ٢٥٨.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء م ٤ جـ ٧ ص ٤٧.

يقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [١].

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [٢] .

ويقول تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ [٣] الآية.

وغير ذلك من النصوص التي تفيد وجوب هجر الكفار وتركهم وعدم محبتهم مهما كانوا، حتى ولو كانوا من الأقربين.

النوع الثاني: هجر كلي لمدة مؤقتة كشهر أو شهرين أو أقل أو أكثر حسب ما تقتضيه مصلحة صلاحه. كما فعل النبي ﷺ وصحابته مع الثلاثة الذين خلفوا[٤].

ولما ورد في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم على بعض ثم قال: ﴿ لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا

---

(١) سورة المائدة الآية [٥١].

(٢) سورة الممتحنة جزء من الآية [٥١].

(٣) سورة المجادلة جزء من الآية [٢٢].

(٤) انظر الصفحة «٥٣٣» من هذا البحث.

يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾ إلى قوله ﴿ فاسقون ﴾ [١] [٢].

فهؤلاء ذمهم الله تعالى رغم أنهم أمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ولكن لما أصروا على فعلهم لم يهجروهم بل آكلوهم وشاربوهم ولذلك عاتبهم الله.

النوع الثالث: هجر جزئي كأن يهجره في بعض جوانب التعامل فقط.

مثل هجر الزوجة في المنام فقط لتأديبها.

يقول تعالى: ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾ [٣].

والهجر: أن يوليها ظهره فلا ينام معها في فراش أو تحت لحاف واحد[٤].

وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه في حديثه الطويل قلت:

«ما حق زوجة أحدنا عليه قال: «تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»[٥] الحديث.

---

(١) سورة المائدة آية [٧٨ - ٨١].

(٢) رواه أبو داود.

(٣) سورة النساء جزء من الآية [٣٤].

(٤) انظر الكشاف. الزمخشري م ١ جـ ١ ص ٢٤٤.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٥ ص ٣.

أقسام الناس بالنسبة للهجر:

تختلف منزلة الناس من حيث المعصية فبعضهم كافر أو يصل إلى درجة الكفر، وبعضهم مبتدع وبعضهم عاصٍ أو مخالف، إلى غير ذلك من هذه الأنواع، فالمسلم يجب أن يكون موقفه منهم بحسب معصيتهم. وسوف نورد أقسام الناس من حيث المعصية على النحو التالي:

القسم الأول: الكافر: فهذا يقاطع بالكلية وقد تحدثنا عن ذلك وذكرنا الأدلة عليه[1] .

القسم الثاني: مبتدع: والمبتدع ينقسم إلى قسمين:

أ ـ مبتدع يدعو إلى بدعته، فهذا يجب هجره ومقاطعته.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : ويجب هجر من كفر أو فسق ببدعة أو دعا إلى بدعة مضلة أو مفسقة على من عجز عن الرد عليه أو خاف الاغترار به دون غيره، وقيل: يجب هجره مطلقاً وهو ظاهر كلام الإمام أحمد رضي الله عنه السابق. وقطع ابن عقيل به في معتقده قال: ليكون ذلك كسراً له واستصلاحاً[2] .

وقال الخلال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق الثقفي النيسابوري أن أبا عبد الله سئل عن رجل له جار رافضي يسلم عليه؟ قال: لا وإن سلم لا يرد عليه[3] .

---

(١) انظر صفحة «٥٣٥» من هذا البحث.

(٢) الآداب الشرعية ابن مفلح جـ ١ ص ٢٦٨.

(٣) المرجع السابق.

وقد ورد عن النبي ﷺ أخبار تفيد ذلك منها:

ما رواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله. إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم»[1].

وروى الإمام أحمد بمسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية»[3] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال..»[4] الحديث.

وفي رواية لأبي داود أيضاً «وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[5] .

فهذه الأحاديث تفيد مقاطعة أهل البدع والضلالات والأهواء الذين يدعون إليها ويصرون عليها.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه. باب القدر جـ ١ ص ٣٥ حديث ٩٢.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٣٠.

(٣) رواه الترمذي في سننه. أبواب القدر. باب ما جاء في القدرية جـ ٣ ص ٣٠٨ حديث ٢٣٣٩ . وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

(٤) رواه أبو داود في سننه. كتاب السنة. باب في القدر جـ ٤ ص ٢٢٢ حديث ٤٦٩٢.

(٥) المرجع السابق الجزء والصفحة حديث ٤٦٩١.

ب : المبتدع العامي: وهو الجاهل بالبدعة التي اعتنقها فمثل هذا لا يقاطع بل يتابع ويبين له الحق ويوضح له بالسبل المناسبة لتفكيره فربما كانت عودته سهلة؛ لأن ميول الجاهل في الغالب عاطفية. وإن أصر للمرة الأولى والثانية فتواصل معه المحاولة فلعله يرجع وإن أصر بعد ذلك فيتبع بهم الهجر.

قال الغزالي: المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يُخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يقابع بالتغليظ والإهانة، بل يتلطف به في النصح فإن قلوب العوام سريعة التقلب. فإن لم ينفع النصح وكان الإعراض عنه تقبيحاً لبدعته، تأكد الاستحباب في الإعراض»[1] .

٣- القسم الثالث: مرتكب الكبيرة: فهذا يهجر حتى يدع تلك الكبيرة، ويكون هجره كلياً من قبل الشخص أو الأشخاص الذين يعلمون بفعله.

٤- القسم الرابع: مرتكب الصغيرة ويكون هجره جزئياً في بعض جوانب الحياة[2] .

٥- القسم الخامس هجر المجتهد المخطئ في اجتهاده كأن يفعل أمراً يعلم أنه مخطئ فيه ولكن خوفه من السلطان جعله يتأول أو يعرض وينجو من السلطان وقد هجر الإمام أحمد ﷺ جماعة ممن أجابوا في المحنة مثل يحيى ابن معين وعلي بن المديني وغيرهما مع فخامة شأنهم[3].

---

(١) انظر إحياء علوم الدين. الغزالي. مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم جـ٢ ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) انظر صفحة «٥٣٧» من هذا البحث.

(٣) انظر غذاء الألباب السفاريني جـ ١ ص ٢٥٧، ٢٥٨.

الهجر المحرم:

الهجر من الأمور الكبيرة. لذلك لا يجوز لمسلم أن يهجر أخاه المسلم إلا إذا تبين بحق أنه يستحق الهجر. وأما إذا كان مسلماً عدلاً في اعتقاده وأقواله وأفعاله، فإنه لا يجوز هجره بحال.

وقد جاء النهي عن ذلك صريحاً في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ منها:

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[1] .

وعن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[2] .

ورواه مسلم بنفس اللفظ وزاد في رواية «فيصد هذا ويصد هذا» وفي رواية أخرى «ثلاثة أيام»[3] .

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح.كتاب الأدب. باب الهجر جـ٤ ص ١٠٥ حديث ٦٠٧٦. ورواه الترمذي في سننه أبواب البر والصلة، باب ما جاء في كراهية الهجرة جـ ٣ ص ٢١٩ حديث ١٩٩٧. والإمام أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٤١٦.

(٢) المرجع السابق الجزء والصفحة حديث ٦٠٧٧.

(٣) مسلم الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة. باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي. م ٤ جـ ٨ ص ٩، ١٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا. أنظروا هذين حتى يصطلحا وفي رواية إلا المتهاجرين»[1].

فهذه الأحاديث الصحيحة صريحة في تحريم الهجر إذا لم يكن له مبرر شرعي.

فعلى المسلمين أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر فيما يحل ويحرم.

فباب الهجر عظيم. فهو الذي يبين قوة الإيمان من ضعفه.

والمداهنة في هذا العصر قد كثرت ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ فتجد الشخص يجالس شخصاً آخر وهو يعلم أنه لا يصلي ـ مثلاً ـ فيجيب دعوته ويؤاكله ويشاربه ويبتسم في وجهه. فلا هو يهجره ولا يجد من ينكر عليه فعله. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

---

(١) المرجع السابق الجزء والباب ص ١١.

الفصل الثاني

التغيير على من هو أعلى

المبحث الأول

التغيير على الملوك والأمراء

مما لا شك فيه أن في صلاح الراعي صلاحاً للرعية، حيث إن للراعي سلطة وقوة ونفوذاً ليست بيد أحد من أفراد الرعية.

وإذا كان المسؤول عن معظم الطوائف والجماعات والفئات صالحاً انعكس صلاحه على من تحته فما بالك بالسلطان.

لذا فإنه ينبغي ألا يتولى أمور المسلمين إلا من هو أهل لذلك ممن يتصف بالتقوى والخوف من الله تعالى ومراقبته والقوة في الرأي والسداد والحكمة في المنطق، ولكن قد يتولى على المسلمين من ليس أهلاً لذلك فيذعن المسلمون له وللأمر الواقع نظراً لما يترتب على ذلك من جلب المصالح ودفع المفاسد.

ولكن على أي الحالين فلا بد أن يسعى العلماء والمصلحون إلى بذل جميع الأسباب إلى إصلاح الراعي وتذكيره ونصحه، والسعي لإصلاح من حوله. انطلاقاً من توجيهات الشرع. يقول ﷺ: «الدين النصيحة ـ ثلاثاً ـ قلنا لمن يا رسول الله. قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[1] .

---

(١) تقدم تخريجه انظر صفحة «١٥٥» من هذا البحث.

والسلطان لا بد أن يكون له بطانة يتأثر بها، وهذه البطانة قد تكون صالحة فيكون نفعها للإسلام والمسلمين، وقد تكون سيئة فيكون ضررها على الإسلام والمسلمين. ومن هنا يأتي دور العلماء.

حكم دخول العلماء على الحكام:

اختلف العلماء في الدخول على السلاطين والجلوس معهم، فبعضهم يرى أن الدخول عليهم مشروع بل واجب لمناصحتهم وتذكيرهم والحيلولة دونهم وقرناء السوء.

وبعضهم يرى الابتعاد عنهم وعدم الدخول عليهم ومجالستهم؛ لأن في الدخول عليهم إهانة للعلم والعلماء وذلة لهم.

يقول الإمام مالك بن أنس[١] : «حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه؛ لأن العالم إنما يدخل على السلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي ليس بعده فضل»[٢] .

وقيل للإمام مالك: إنك تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون قال: «يرحمك الله فأين المتكلم بالحق»[٣] .

---

(١) مالك بن أنس الأصبحي فقيه الأمة وإليه ينسب المذهب المالكي. وأهم مصنفاته الموطأ وله كتب ورسائل توفي سنة ١٧٩هـ.

الوفيات ١/٤٣٩، التهذيب ١٠/٥.

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك. عياض بن موسى عياض «القاضي عياض» تحقيق أحمد بكير محمود. دار مكتبة الحياة بيروت جـ ١ ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) تقدمة الجرح والتعديل. ابن أبي حاتم الرازي جـ ١ ص ٣٠. دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند ١٣٧١.

ولأهمية صلاح الراعي فإننا نجد أن كثيراً من العلماء يدعون لهم بالصلاح في قنوتهم، بل وعلى المنابر في كل جمعة، كل ذلك رجاء صلاحهم.

ولذلك فإنه يروى عن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ أنه قال: «لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان» ويروى أيضاً عن الفضيل بن عياض أنه قال: «لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام؛ لأن به صلاح الرعية فإذا صلح أمنت العباد والبلاد»[(١)].

وسفيان الثوري[(٢)] ـ رحمه الله ـ رغم شدته وتحذيره من السلاطين فإنه يغشاهم أحياناً للمصلحة، وقد كان جريئاً وصريحاً معهم وبنفس الوقت فهو حذر من أساليبهم وخداعهم[(٣)].

ويقول إبراهيم بن أدهم[(٤)] : «كل ملك لا يكون عادلاً فهو واللص

---

(١) البداية والنهاية ٩٩/١٠.

(٢) سفيان الثوري الكوفي ولد سنة ٩٧ هـ كان عالماً ورعاً تقياً لا يخاف في الله لومة لائم. قال عنه الإمام أحمد «لا يتقدمه في قلبي أحد» خرج من الكوفة وسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي فتوارى ومات بالبصرة سنة ١٦١ هـ مستخفياً.

سير الأعلام ٢٢٩/٧. طبقات ابن سعد ٣٧١/٦ وفيان الأعيان ٢١٠/١.

(٣) كتاب الإمام سفيان الثوري. أبو الفتح البيانوني. دار السلام للطباعة. القاهرة. ص ١٦٣.

(٤) إبراهيم بن أدهم التميمي. من كبار الزهاد والعلماء المشهورين وكان تقياً ورعاً. وله مآثر كثيرة. قال عنه سفيان الثوري. إنه يشبه الخليل. ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً.

الحلية ٣٦٧/٧ وسير الأعلام ٣٨٧/٧.

سواء، وكل عالم لا يكون تقياً فهو والذئب سواء وكل ذل لغير الله فهو والكلب سواء»[1] .

وأما القسم الثاني فهم الذين يرفضون الدخول على الحكام خوفاً من وقوع بعض المفاسد.

ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين معه، قيل ولم؟ قال: لأنه يرضيه بسخط الله[2] .

ويروى أن حماد بن سلمة[3] رفض أن يستجيب للسلطان عندما دعاه. وقال مستنكراً :«أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء؟ والله ما فعلت».

وكان سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ يحذر أقرانه وأصدقاءه من الاحتكاك بالسلاطين والقرب منهم وعدم مخالطتهم؛ لئلا يتأثروا بدنياهم أو يلينوا معهم. فقد جاء في الرسالة التي بعث بها إلى عباد بن عباد[4] قال فيها: وإياك والأمراء والدنو منهم وأن تخالطهم في شيء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلوم مظلمته فإن تلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سُلَّماً»[5] .

---

(١) سير الأعلام ٣٩٤/٧.

(٢) إحياء علوم الدين. جـ ٢ ص ١٢٦.

(٣) حماد بن سلمة بن دينار. إمام ثقة وقدوة في الحديث وقيل إنه كان مستجاب الدعوة. قال عنه الإمام أحمد: حماد عندنا من الثقات. ما نزداد فيه كل يوم إلا بصيرة. ت (١٦٧). الحلية ٢٤٩/٦. تذكرة الحفاظ ٢٠٢/١.

(٤) انظر سير الأعلام ٢٦٢/٧.

(٥) تقدمة الجرح والتعديل ٨٨/١.

وكلم يوماً بعض الناس سفيان الثوري وقالوا له: «لو دخلت عليهم - أي على أصحاب السلطان - فقال إني أخشى أن يسألني الله عن مقامي ما قلت فيه؟ فقيل له: تقول وتتحفظ. قال: تأمرون أن أسبح في البحر ولا تبتل ثيابي»[1] .

فإن قيل كيف ينصح الناس وهو يدخل على السلاطين أحياناً نقول:

إما أنه ينصحهم لخوفه عليهم من ألاّ يقوموا بواجبهم على الوجه المطلوب. هذا بالنسبة لهم.

وأما بالنسبة له. فلأن دخوله يعتبر نادراً، وهو أيضاً واثق من نفسه بأنه سيقول كلمة الحق وأنه لا يخاف في الله لومة لائم.

والذي نراه - والعلم عند الله - أن الأمر يحتاج إلى توسط فلا إفراط ولا تفريط. فالذهاب إليهم - بقلة - لنصحهم وإرشادهم وتذكيرهم مطلوب وهو من باب المناصحة التي أمر بها الشارع الحكيم، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولأنه إذا ترك العلماء الولاة تصور الواحد منهم نفسه أنه مصيب وأنه على حق وأصبح ذلك فرصة لقرناء السوء للإحاطة به وتزيين الباطل له، ومن ثم يقبل منهم؛ لأنه لا يجد من يقول له هذا خطأ وهذا صحيح وهذا حرام وهذا حلال.

ولكن إذا زاره العلماء وذكروه بالله ونصحوا له، وقالوا له: هذا حرام وهذا فيه فساد للمجتمع، وبينوا له أمراض المجتمع وعلاجها. فلا شك أن

---

(١) كتاب الإمام سفيان الثوري. البيانوني ص ١٦٢.

لذلك تأثيراً عليه، وإذا لم يقبل منهم كل ما طلبوه حقق لهم بعضه.

وكم نشاهد في عصرنا هذا من القضايا التي يذهب يطالب بها العلماء وطلبة العلم ويتصلون بالولاة مباشرة فنجد أنه يتحقق منها أمور كثيرة بينما لو تركت فإنه لا يتحقق منها شيء.

والمحظور في هذه القضية هو كثرة الاختلاط بهم، والأخذ من دنياهم ومداهنتهم ونحو ذلك. والله المستعان.

أدلة الإنكار على السلطان:

ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألاّ ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول الحق أينما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم»[1].

وعن طارق بن شهاب أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ وقد وضع رجله في الغرز، أي الجهاد أفضل قال: كلمة حق عند سلطان جائر[2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«لا يحقرن أحدكم نفسه، أن يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقوله فيقول الله:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأحكام. باب كيف يبايع الإمام الناس جـ ٤ ص ٣٤٣.

ورواه مسلم في كتاب الإمارة. وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية م ٣ جـ ٦ ص ١٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٤ ص ٣١٥.

ما منعك أن تقول فيه فيقول: رب خشيت الناس فيقول: وأنا أحق أن يخشى»[1].

فهذه النصوص وغيرها من الأحاديث تبين الوقوف أمام السلاطين، وقول كلمة الحق عندهم، وأنه إذا حصل لهم شيء يكرهونه بسبب هذا الأمر فهو في ذات الله وهم مأجورون عليه.

وإذا كان الإسلام رغب في الجهاد وحث عليه وجعله من أعلى مراتب الدين رغم أنه في ظاهره هلاك للنفس والمال وكل شيء، ولكن عاقبته في النهاية حميدة؛ لأن فيه نصراً للإسلام والمسلمين. وهو محبوب إلى الله. إذاً فيكون باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آكد؛ لأن القتل فيه والأذى ظن وليس متأكد بل هو ظن أغلبه السلامة.

ولذلك شواهد ذكرها العلماء منها قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مُرضاة الله والله رؤوف بالعباد ﴾ [2] .

ورد عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجراً إلى رسول الله ﷺ فاعترضه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وأخرج ما في كنانته من السهام، وأخذ قوسه ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا له: يا صهيب لقد جئتنا صعلوكاً لا مال لك، وقد أصبحت غنياً، والله لا نتركك تخرج بمالك أبداً فدلنا على مالك. فقال لهم: إن دللتكم على مالي تخلوا

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٣ ص ٣٠.

(٢) سورة البقرة آية [٢٠٧].

سبيلي؟ قالوا: نعم. فدللتهم عليه بمكة. فخلوا سبيلي فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى. فنزلت الآية وتلاها رسول الله ﷺ أخرجه الحاكم والبيهقي»[١].

وبين سبحانه أن للذي يفر يوم الزحف، رغم خطورته، عذاباً أليماً. وجعله الرسول ﷺ من الكبائر.

يقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [٢].

فتبيين الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس فيما يحصل في سبيله تهلكة.

مفهوم قول الله تعالى: ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [٣].

ورد أن رجلاً قال للبراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ إن حملت على العدو وحدي أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة؟ قال: لا. قال الله لرسوله ﷺ: ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك.. ﴾[٤] فإنما ذاك في النفقة»[٥].

عن أسلم أبي عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً

---

(١) أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين. عبد الفتاح القاضي ص ٣٢، ٣٣.

(٢) سورة الأنفال آية [١٥، ١٦].

(٣) سورة البقرة جزء من الآية [١٩٥].

(٤) سورة النساء جزء من الآية [٨٤].

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٤ ص ٢٨١.

عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن في أرض الروم»[١] .

فقد بين أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه المفهوم الصحيح للآية الكريمة، وبين أن الذي يقاتل في سبيل الله ويجاهد لإعلاء كلمة الله بالسيف والقلم والكلمة ليس من الذين يلقون بأنفسهم إلى التهلكة. وإنما الذي ينغمس في دنياه أو يتقاعس إذا لاح له أمر فيه إعزاز لدين الله هذا هو الذي يلقي بنفسه وغيره إلى التهلكة.

ورد عن أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ ما سمعت كلمة كانت أقوى لقلبي وأقر لعيني في المحنة من كلمة سمعتها من فقير أعمى قال: لي: يا أحمد إن تهلك في الحق مت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً»[٢] .

---

(١) رواه الترمذي في سننه. كتاب التفسير جـ٤ ص ٢٨٠ حديث ٤٠٥٣. قال الترمذي حسن غريب.

(٢) الآداب الشرعية جـ ٢ ص ٢٤.

وقال إسحاق بن حنبل عم أحمد:«يا أبا عبد الله قد أعذرت فيما بينك وبين الله وقد أجاب أصحابك واليوم بقيت في الحبس والشر، فقال لي: يا عم إذا أجاب العالم تقية والجاهل بجهل فمتى يتبين الحق، فأمسكت عنه»[1] .

فهلا يفطن الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر لذلك.

أسلوب الإنكار على السلطان:

من توجيهات الإسلام العظيمة استعمال الأسلوب اللين الحسن في بداية الأمر مع المأمورين بالمعروف والمنهيين عن المنكر، وإذا كانت توجيهات الإسلام مع عامة الناس كذلك فهي آكد في حق السلطان.

يقول تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [2] .

ويقول تعالى: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [3] .

ويقول تعالى آمراً موسى عليه السلام بأن يخاطب فرعون بهذا الأسلوب:

﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [4] .

---

(١) المرجع السابق الجزء والصفحة.

(٢) سورة النحل جزء من الآية [١٢٥].

(٣) سورة فصلت جزء من الآية [٣٤].

(٤) سورة طه آية [٤٤].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ : «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1] .

وفي رواية أخرى: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»[2] .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من يحرم الرفق يحرم الخير»[3] .

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة كلها تأمر المسلمين بأن يستخدموا الحكمة والرفق في أمرهم ونهيهم؛ لأنه أقرب للقبول والنفوس مجبولةٌ على سماع الكلام الطيب الرفيق الذي يظهر العطف والشفقة على المأمور، ومن ثم تحصل الإجابة أو على الأقل لا يجعل رد فعل، وإن تيسر وعظه سراً بينه وبينه فهو أفضل وأولى، لئلا تأخذه العزة بالإثم. فيجلس معه وحده ويذكره بالله ووعده ووعيده، ويرغبه بما عند الله إن هو قام بما يجب وهكذا.

وقد ورد أن النبي ﷺ قال: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له»[4] .

وإذا تأملنا في الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ بهذا الخصوص

(١، ٢، ٣) رواها مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق م ٤ جـ ٨ ص ٢٢.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٣ ص ٤٠٤.

وجدنا أن نصح السلطان يخضع لظروف تتعلق أحياناً بالأمر، وأخرى بالسلطان، وثالثة بالآمر.

ولكن على الآمر بالمعروف أن يلبس لكل حالة لبوسها وينظر إلى أي الأبواب يلج منها. حتى يتحقق مراد الشرع من أمره ونهيه.

فلا يشتد حينما يطلب اللين، ولا يلين حينما تطلب الشدة، ولا يجهر حينما يكون الإسرار أفضل، ولا يسر حينما يكون الجهر أفضل.

والله المستعان.

نموذج من أمر السلطان بالحق وعدم الخوف منه:

استدعى أبو جعفر المنصور ابن طاووس[1] وكان معه الإمام مالك بن أنس، فلما دخلا عليه أطرق ساعة ثم التفت إلى ابن طاووس فقال له: حدثني عن أبيك طاوس فأجابه: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه. فأدخل الجور في عدل» فأمسك المنصور ساعة. قال مالك: فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه. ثم التفت إليه أبو جعفر. فقال: عظني يا ابن طاووس قال: نعم يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ﴾ [2] .

---

(١) عبد الله بن طاووس بن كيسان اليماني محدث ثقة. قال ابن سعد: مات في خلافة السفاح سنة ١٣٢هـ. سير الأعلام ١٠٣/٦. تهذيب التهذيب ٢٦٧/٥.

(٢) سورة الفجر آية [٦ - ١٤].

قال مالك: فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه فأمسك عنه ثم قال: ناولني الدواة. فأمسك عنه. قال: ما يمنعك أن تناولنيها ؟ فقال: أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكاً فيها. فلما سمع ذلك، قال: قوما عني.

قال طاووس: ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم. قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاووس فضله»[1] .

الإنكار على الأمراء:

يجب على ولي الأمر ألا يضع مسؤولاً عن شؤون المسلمين في أي عمل من الأعمال ولا سيما المهمة منها إلا من هو مؤهل لذلك، يتسم بالصلاح والتقوى والخوف من الله والقوة في الرأي. وعلى وجه الخصوص الأمراء؛ لأن لهم صلاحيات كثيرة فهو صورة مصغرة لولي الأمر.

ولذلك نجد الولاة في العصور الأولى يهتمون بالأمراء فلا يكلفون بالإمارة إلا الأكفاء. وبنفس الوقت فهم يتابعونهم ويوصونهم بالقيام بأعمالهم تجاه الرعية على أحسن وجه.

ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ لما بعث سعد بن مالك الزهري على جيش العراق «أمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه وأمرهم بالنية الصالحة والصبر، فإن النصر يأتي من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة»[2] .

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ ١/١٦٠.

(٢) انظر البداية والنهاية. ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧.

وورد عن علي بن أبي طالب ﷺ .. أنه إذا بعث سرية ولّى أمرها رجلاً وأوصاه فقال له: أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه، وعليك بالذي يقربك إلى الله تعالى فإن ما عند الله خير من الدنيا »[1] .

فأسلوب الولاة دائما وصية الأمراء بالإخلاص للرعية، وأما إذا حصل منه منكرات أو ممن تحته فإنه ينطبق عليه ما ينطبق على ولي الأمر في كل ما ذكرنا. والله أعلم.

* * *

المبحث الثاني

تغيير الابن على والده والزوجة على زوجها

لقد جعل الله سبحانه وتعالى للوالدين حقوقاً كثيرة وكبيرة فمهما عمل الولد تجاه والديه فإنه لا يعتبر موفياً حقوقهما بل ولا جزءاً منها.

والدليل على ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قرن طاعته بطاعتهم فقال تعالى: ﴿ وقضى ربك ألاّ تعبدو إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ [2] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ أمر الله ـ سبحانه ـ بعبادته وتوحيده وجعل

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٢٨.

(٢) سورة الإسراء آية [٢٣، ٢٤].

بر الوالدين مقروناً بذلك، كما قرن شكرهما بشكره فقال: ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ [(١)] وقال: والبر بهما والإحسان إليهما ألاَّ يتعرض لسبهما ولا بعقهما فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف»[(٢)] .

وقد ورد في صحيح البخاري أن عبد الله سأل النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل فقال: الصلاة على وقتها. قال ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»[(٣)] الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك قال: ثم من ؟ قال: أمك. قال: ثم من قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك»[(٤)].

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم عقوق الأمهات»[(٥)] الحديث.

وعن أبي بكر عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال الإشراك بالله، وعقوق الوالدين..»[(٦)] الحديث.

فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على عظمة حقوق الوالدين، فقبل أن يقدم على أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر عليه أن يضع قاعدة طاعتهما وحقوقهما نصب عينيه.

---

(١) سورة لقمان جزء من الآية [١٤].

(٢) الجامع لأحكام القرآن م ٥ جـ ١٠ ص ٢٣٨.

(٣، ٤، ٥، ٦) روى هذه الأحاديث البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأدب باب البر والصلة جـ ٤ ص ٨٦ إلى ٨٨ حديث ٥٩٧٠، ٥٩٧١، ٥٩٧٥، ٥٩٧٦.

وكون لهما هذه الحقوق العظيمة فإن ذلك لا يعني ولا يمنع من أن يأمرهما بالمعروف وينهاهما عن المنكر، فهما من جملة من أمر الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، إلا أنه بناء على الحقوق التي جعلها الله لهما فإنه يجب أن يكون هناك أسلوب خاص عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر.

فنقول ينبغي أن يتبع الخطوات التالية عند أمرهما أو نهيهما:

١- عليه أن يقوي علاقته بهما ويسمع كلامهما - ما أمراه بطاعة - وينفذ أوامرهما حتى يكون محبوباً لهما، وإذا أحباه صعب عليهما رفض أمره، ولا سيما إن كان أمره أمراً لله. وعلى هذا جبلت النفوس على محبة من أحسن إليها.

٢- إذا رآهما تركا معروفاً أو فعلا منكراً فعليه بالتعريض أولاً والتعريف ثانياً. كأن يقول: ما حكم هذا، وسمعت العالم الفلاني يقول كذا، وما رأيكم بمن فعل كذا، وغير ذلك من الأساليب الكثيرة التي يستنتجون منها أن هذا حرام، وهذا حلال وأن هذا مكروه وأن هذا مستحب.

٣- فإن أصرا على ذلك يقلل من الأكل والشرب أمامهما ويبين أن سبب ذلك خوفه عليهما من عذاب الله تعالى.

٤- فإن أصرا على ذلك استأذنهما في الخروج من المنزل إن كان لديه مقدرة أو صبر واحتسب حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولا أتصور أن الوالدين يمتنعان من طاعة ولدهما - في الغالب - إذا كانت علاقته بهما جيدة. بل إننا نشاهد من خلال الواقع أن البيت يتغير بأكمله عند صلاح أحد الأبناء شريطة أن تكون علاقة هذا الولد في البيت طيبة.

وهل يلزم الولد إتلاف المنكر الذي عند والديه من آلات اللهو بشتى أنواعها وإراقة الخمر ورد المغصوب عندهم ونحو ذلك؟.

يقول الغزالي: «له ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك..»[1] .

قلت: وفي كلامه نظر؛ لأن سلطة الوالد في البيت أقوى وأمكانيته أكثر ولن ينجم عن ذلك إلا ضرر أكبر وهو حصول سخط الوالد الذي ربما ينتج عنه العقوق.

فمثلاً لو كان عند الوالد آلات لهو كالعود مثلاً. ثم قام الولد وكسره. فبإمكان الوالد أن يشتري اثنين ويسخط على الولد، وننصح الشباب الذين يحاولون بطرق مباشرة إتلاف ما في البيوت من آلات لهو ونحوها كالتلفاز والمذياع وغيرهما فيحصل صراع بينهما وعداوة وقطيعة رحم وأضرار كبيرة. وكان ينبغي أن يعالج هذه الأمور بالتي هي أحسن ويتبع الخطوات التي أمر بها الشرع حتى لا يقع في محظور أكبر.

وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على الوالد؟ قال يعظه ما لم يغضب فإن غضب سكت عنه[2] .

ما الحكم إذا اعتدى الوالد على الولد بسبب أمره ونهيه؟

إذا اعتدى الوالد على ولده بالسب والضرب ونحو ذلك فإنه لا يرد عليه بالمثل بل يصبر ويحتسب، فإن الشرع لا يجيز له ردود الفعل؛ لأن الشارع نهى أن يقال لهما أدنى كلمات التوبيخ.

---

(١) إحياء علوم الدين. م ٣ جـ ٧ ص ٢٤ باختصار.

(٢) انظر أصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن النحاس ص ٣٨.

بل التضجر الذي ربما يعمله الولد ولا يعلمه الوالد ﴿ولا تقل لهما أف﴾.

وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً «لا يقاد الوالد بالولد»[1] وفي رواية «وإذا قذفه لا يحد»[2] .

إنكار الوالد على الولد:

وأما إنكار الوالد على الولد فهو من الأمور التي نص عليها الشرع وأكد عليها.

يقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ [3] .

يقول الزمخشري: «قوا أنفسكم» بترك المعاصي وفعل الطاعات. بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم [4] .

ويقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ حول هذه الآية: «إنها تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله ثقيلة رهيبة. فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك..»[5] .

فهذا أمر من الله تعالى يتضمن معنى النصيحة بأن يبذل الإنسان جهده في إصلاح نفسه وأهله حتى يحول صلاحه وأهله دون النار.

(١، ٢) رواهما الترمذي في سننه. كتاب الحدود. باب ما جاء في الرجل يقتل ابنه يقاد منه أم لا جـ٢ ص ٤٢٨ حديث ١٤٢٠، ١٤٢١.

(٣) سورة التحريم جزء من الآية [٦].

(٤) تفسير الكشاف م ٣ جـ ٦ ص ١٣٠.

(٥) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٦١٨.

وورد في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(١) .

فهذا الحديث العظيم يبين مسؤولية الرجل تجاه أولاده بل تجاه أسرته.

وورد عن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»(٢) .

وجاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن»(٣) .

وروى أبو داود في سننه بسنده عن النبي ﷺ «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»(٤) .

وفي رواية «مروا أولادكم بالصلاة..»(٥) .

فهذه الأحاديث كلها تبين مسؤولية الوالد تجاه أبنائه فعليه أن يتقي

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأحكام. باب قول الله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» جـ٤ ص ٣٢٨ حديث ٧١٣٧.

(٢، ٣) رواهما الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة. باب ما جاء في أدب الولد جـ ٣ ص ٢٢٧ حديث ٢٠١٧، ٢٠١٨.

(٤، ٥) رواهما أبو داود. كتاب الصلاة. باب متى يؤمر الغلام بالصلاة جـ ١ ص ١٣٣ حديث ٤٩٤، ٤٩٥.

الله ويحسن تربيتهم، فهي أمانة في عنقه وعليه أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ومن أهم المعروف ربطهم بالمساجد وحلق الذكر وتعليم القرآن وربطهم بالشباب الصالح الأتقياء الذين يدلونهم على كل خير ويحذرونهم من كل شر.

وعليه أن ينهاهم عن المنكر. ومن أعظم المنكرات اتصالهم بالشباب الفاسد المنحرف الذين يدلونهم على كل شر ويبعدونهم من كل خير.

دور المرأة في الإنكار على أولادها:

ولا ننسى أن للمرأة دوراً كبيراً في تربية أولادها، وحتى مع وجود والدهم؛ لأن المرأة جالسة في البيت طيلة الوقت بخلاف الرجل فهي تعرف أموراً لا يعرفها الرجل، فعليها أن تتقي الله وتحسن تربية أولادها وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، وتنفذ خطاب الرسول ﷺ الذي خاطبها به بقوله: «والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم»[1].

فهذا نص صريح من الرسول ﷺ بأن المرأة مسؤولة عن تربية أولادها وإصلاحهم.

يقول أبو بكر الجصاص حول قول الله تعالى عن أمِّ مريم ـ عليها السلام ـ: ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾ [2].

يقول: يدل على أن للأم ضرباً من الولاية على الولد في تأديبه وتعليمه وإمساكه وتربيته، لو أنها لا تملك ذلك لما نذرت في ولدها»[3].

---

(١) سبق تخريجه انظر الصفحة «٥٦١» من هذا البحث.

(٢) سورة آل عمران الآية [٣٥].

(٣) أحكام القرآن جـ ٢ ص ١٢.

تغيير الزوجة على زوجها:

تغيير الزوج على الزوجة واضح الدلالة في الكتاب والسنة. وهو مقبول شرعاً وعقلاً للقوامة التي جعلها الله للرجل على المرأة .

يقول تعالى:

﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ [1] الآية.

يقول الجصاص: «قيامهم عليهن بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة»[2].

ولكن الذي يحتاج إلى توضيح هو «تغيير الزوجة على الزوج» فنقول: كثيراً من الزوجات تبلى بزوج غير صالح، فإما أن يكون من التاركين لصلاة الجماعة أو الصلاة كلية وقد يكون مبتلى بشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك.

فما هو موقف الزوجة من ذلك؟

لا شك أن الزوجات يختلفن ـ أيضاً ـ كالرجال صلاحاً وفساداً قوة وضعفاً، فبعض النساء تكون مستسلمة لزوجها العاصي وحتى لو كانت صالحة فهي ساكتة عنه تراه يفعل المنكرات صباح مساء ولا تنكر عليه، بل ربما كانت تهيئ له الجو لفعل ذلك.

وبعضهن تنكر تارة وتسكت أخرى وتغضب تارة وترضى بعدها .

---

(١) سورة النساء جزء من الآية [٣٤].

(٢) أحكام القرآن جـ ٢ ص ٢٢٩.

والواجب على كل زوجة أن تتقي الله تعالى وتعرف أنها مسؤولة عن إصلاح زوجها بقدر المستطاع. فتنظر إلى المنكرات التي يفعلها زوجها فإن كانت صغائر أو غير مكفرة تحاول معه وتكثر المحاولة وتستخدم الأساليب الجيدة التي تراها تناسب زوجها وينقاد معها فيها وكل امرأة أعرف بظروف زوجها، وأما إذا كانت المنكرات مكفرة كترك الصلاة كلية فعليها أن تبين أحكام الصلاة له وحكم تاركها وتبين أن العلاقات الزوجية لا تصلح من دون الصلاة وتحاول مرة بعد مرة فإن أصر استعانت بأهلها وأهله، فإن أصر على ذلك فلها الحق أن تطلب الطلاق. والشرع يطلقها منه ولو لم يرضَ إذا ثبت فعلاً أنه لا يصلي البتة.

وفي الغالب إذا كانت المرأة حكيمة وقوية بنفس الوقت وقد ملأت قلب الرجل حباً في إخلاصها ووفائها وخوفها من ربها وطاعتها فإنه لا يعصي لها أمراً.

فعليها أن تقوم بما يجب حياله حتى تكون مسموعة الكلمة.

***

المبحث الثالث

تغيير الضيف على مضيفه

الإسلام دين العظمة والترابط والكرامة والأخوة ولذلك نجد أنه شرع إكرام الضيف؛ لأنه في الغالب قد انتقل من بلده وأهله إلى مكان آخر قد لا يعرف به أحداً أو يعرف القليل فهو بحاجة إلى من يكرمه ويؤنسه لمدة يسيرة حددها الشارع.

وإذا كانت ظروف الحياة في هذا العصر تغيرت فأوجدت المطاعم والمقاهي والفنادق ونحو ذلك فإن كثيراً من الناس لا يرغبها ولا يرتاح إليها. وأيضاً بعض الأماكن والقرى قد لا يوجد فيها شيء من ذلك.

فمهما يكن من أمر فعلى المسلم أن يقوم بالحق الذي أوجبه عليه الإسلام تجاه ضيوفه المسافرين والزائرين ويستقبلهم استقبالاً يليق بهم ولا يتضايق منهم ويخدمهم ويبتسم لهم ويظهر فرحه بهم تنفيذاً لتعاليم الإسلام.

ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1].

وعن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته[2] يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما بعد

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأدب، باب حق الضيف جـ ٤ ص ١١٦ حديث ٦١٣٨.

(٢) جائزته: أي ما يجتاز به الطريق من طعام وماء.

ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي[1] عنده حتى لا يحرجه»[2] .

وفي حديث عبد الله بن عمرو قال: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: بلى قال: فلا تفعل قم ونم وصم وأفطر. فإن لجسدك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً، وإن لزورك[3] عليك حقاً»[4] الحديث.

فهذه الأحاديث تبين حق الضيف والزائر.

وأما إنكار الضيف على مضيفه. فنقول:

هناك منكرات كثيرة يواجهها الضيوف والزوار وسوف نذكر بعضاً من هذه المنكرات وموقف الضيف أو الزائر منها. فمن هذه المنكرات:

أولاً: الإسراف في الوليمة:

يلاحظ من خلال الواقع حصول تبذير وإسراف في مناسبات شتى؛ فالذي عنده ضيف يصنع طعاماً يكفي لعشرة والذي عنده عشرة يصنع طعاماً يكفي لمائة والذي عنده مائة يصنع طعاماً يكفي للألف.

ولنفرض أنه لا يصل إلى هذه النسبة فالواقع أن الذي صنع للمدعوين يكفي أضعاف أضعاف العدد.

وفي نهاية المناسبة يؤخذ ما تبقى من الطعام واللحوم ـ وفيه جزء لم

---

(١) أي يقيم أطول من ذلك.

(٢) البخاري: كتاب الأدب، حديث ٦١٣٦.

(٣) أي زائريك.

(٤) المرجع السابق حديث رقم ٦١٣٤.

تمسه الأيدي ـ ثم بعد ذلك يرمى في الزبالة ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

إن هذا الفعل يعتبر من المنكرات العظيمة التي يخشى بسببها أن تزول تلك النعم، لمخالفتها لتعاليم الإسلام يقول تعالى: ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [1] ويقول: ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ [2] .

ولا شك أن من فعل هذا يعتبر مسرفاً ومبذراً، لذا يجب على الضيف أن ينكر على مضيفه هذا الفعل ولكن بالأسلوب المناسب بحيث لا يكلمه إلا بعد خروج الناس، فيبين له حكم الإسلام في ذلك ويوضح له أن هناك أناساً يموتون لعدم وجود لقمة العيش، فإذا كان ثَمَّ زيادة في الدخل فعليه أن يصرفها إلى أولئك بدلاً من رميها في القمامة.

ثانياً: وجود آلات اللهو:

بعض الناس عندما يكون عنده مناسبة ما كزواج ونحوه فإنه إما أن يأتي بمغنين ومغنيات للرجال والنساء، وإما أن يأتي بأشرطة غناء ومسجلات. ويزيد الأمر فظاعة أنه يضع لذلك مكبرات صوت حتى يسمع من حوله ومن في الداخل والخارج.

ولا شك أن ذلك يعتبر من المنكرات العظيمة التي ابتلي بها بعض المسلمين ـ هداهم الله ـ لأن هذا فعل محرم فالإسلام قد حرم آلات اللهو والطرب.

---

(١)الأعراف جزء من الآية [٣١].

(٢) سورة الإسراء آية [٢٧].

يقول تعالى: ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾ [1] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ وقد فسر ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والنخعي بأن «لهو الحديث» الغناء، بل إن ابن مسعود أقسم ثلاث مرات بقوله: والذي لا إله إلا هو إنه الغناء[2] .

وقد جاءت أحاديث كثيرة تبين تحريم الغناء وليس هذا هو موضوع بسطها.

والمقصود أن نعرف أن هذا المنكر يفعل في كثير من المناسبات.

لذا يجب على الضيف إنكار ذلك في الحال ولا يتأخر حتى نهاية هذه المناسبة ولكن بالأسلوب المناسب فإن استجيب له وإلا خرج منها، لأنه لا يجوز له الاستماع إلى محرم.

ثالثاً: الاختلاط والتبرج:

ومن المنكرات التي تحصل في بعض المناسبات ولا سيما الكبيرة منها الاختلاط بين الرجال والنساء ومرور النساء أمام الرجال وهن متجملات.

وهذا من المنكرات العظيمة التي تحصل في هذه المناسبات حيث إن النساء تدخل إلى أماكن الرجال والرجال إلى أماكن النساء ويحصل أيضاً

---

(١) سورة لقمان آية [٦].

(٢) الجامع لأحكام القرآن. م ٧ جـ١٤ ص ٥١، ٥٢

وانظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الخلال ١٤٢، ١٤٤.

تبرج وسفور بالنسبة للنساء، أمام الرجال ولا شك أن ذلك من المنكرات الكبيرة التي يجب إزالتها ومحاربتها فعلى الضيف إذا رأى مثل ذلك أن يأمر المسؤول عن الضيافة بمنع ذلك، ويبين تحريمه، فإن امتثل فذاك وإلا فإن عليه أن يخرج ويخبر الجهات المختصة بذلك لمحاربة هذا الانحراف والفساد.

وقد يتساهل بعض الأسر فإذا كانت المناسبة صغيرة فلا يُدعى إليها إلا الأعمام وأولادهم وبنات العم وبعض الأقارب ويحصل بذلك اختلاط وسفور وتبرج ويقولون ليس بيننا غريب وهذا منكر يجب إزالته فكل شخص ليس ذا محرم فلا يجوز أمامه التبرج والسفور(١) .

رابعاً: التصوير:

ومن المنكرات الشائعة في الضيافة: التصوير. سواء التصوير الفوتوغرافي أو بوساطة آلات تصوير «الفيديو»، والمصيبة أنه يحصل للرجال والنساء فتصور كل حركات النساء الصغيرة والكبيرة ويحصل التصوير للنساء الصالحات والطالحات وأحياناً يحصل بعلم وأحياناً بغير علم، حيث يكون في البيت شبكات تصوير.

ولا شك أن هذه مصيبة عظيمة حيث إن الرجل يأتي بأهله إكراماً لصاحب الضيافة وما يعلم إلا وصور أهله بين أيدي الناس يتداولونها.

ولا شك أن هذا منكر عظيم، ومرتكبه مرتكب جرم كبير.

ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) انظر الأدلة التفصيلية بتحريم ذلك في كتاب الحجاب والسفور في الكتاب والسنة. لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ أمد الله في عمره ـ.

«إن أشد الناس عذاباً عند اللّٰه يوم القيامة المصورون»[1] .

وجاء في حديث آخر « .. إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة »[2] .

وورد في حديث ثالث «لعن اللّٰه آكل الربا... والمصور»[3] .

فهذه الأحاديث تبين حرمة هذا المنكر.

لذا يجب على الضيف ألاَّ يسكت عن هذا المنكر فعليه تغييره بالطرق المشروعة، وإن رفضوا فعليه أن يبلغ هذا الأمر إلى الجهات المختصة لكي تبرأ الذمة بذلك.

ومن جهة أخرى. يجب أن يوضع علامة من كتابة أو نحوها على البيوت المشتركة والتي يكون فيها شبكات تصوير حتى يكون المستأجر والضيف على بينة من أمره فلا يخدع في ذلك.

وإذا لم يكن ثمة ضمير لأن يفعل ذلك فعلى الضيف أن يسأل بأي طريقة هل في هذا البيت شبكات تصوير أم لا ؟ فإن كان فيه لم يذهب إلا وحده لقصد الإنكار فقط.

خامساً: السهر والتأخير ليلاً:

ومن المنكرات التي تحصل في المناسبات ولا سيما مناسبات الأفراح أنهم يسهرون ويتأخرون إلى قرب صلاة الفجر، وهذا السهر بلا شك ليس على طاعة بل هو على معصية في الغالب. ويترتب على هذا التأخر سلبيات كثيرة منها:

(١، ٢، ٣) روى هذه الروايات الإمام البخاري في صحيحه. كتاب اللباس جـ ٤ ص ٨١، ٨٣ حديث ٥٩٥٠، ٥٩٥٧، ٥٩٦٢.

١- ترك صلاة الفجر؛ لأن الذي نام قرب الفجر كيف يستيقظ للفجر؟!.

٢- أن الشرع نهى عن الحديث بعد العشاء إلا لمصلحة وقطعاً التأخر الذي بهذه الصفة ليس فيه مصلحة.

٣- تعريض النساء والأطفال للأخطار إذ إنهم يخرجون والناس نيام فربما تعرضوا للفساق والمجرمين الذين يسهرون الليل كله للبحث على صيدهم.

لذا يجب على الضيف أن ينكر هذه العادة السيئة المنكرة ويأمر أصحاب الشأن بإعلان انتهاء المناسبة في الوقت وإن تيسر الإعلان قبل ذلك فهو أمر حسن وتكون على شكل ملاحظة توزع مع الدعوة يكتب فيها نهاية المناسبة كما أنهم يكتبون ذلك في بدايتها.

الخلاصة في المبحث

إن ما ذكرناه عبارة عن أمثلة قليلة لما يحدث في الضيافة والذي لم نذكره أكثر وأكثر. وفي الحقيقة إن المجتمعات الإسلامية أخذت تقلد الغرب في معظم الأشياء وتأخذ عنهم كل عادة سيئة وتطبقها في مجتمعاتها مع وجود الفارق الكبير بين المجتمعات المسلمة وبين الكافرة.

فما كانت المجتمعات الإسلامية من قبل تعرف هذه الأمور الدخيلة من اللهو والطرب والتصوير والإسراف والسهر والاختلاط والتبرج والسفور وغير ذلك؛ لأن الإسلام نهى عنها. وإذا وجد شيء من هذه الأمور فهو بشكل ضيق من أسر محدودة وأفراد معدودة.

لذا فإنه يجب على المسلمين أن يهبوا لإنكار تلك الأمور قبل أن تزيد وتسري إلى الآخرين وقبل أن يتسع الخرق على الراقع.

فهرس الموضوعات